

بيـــان

كيف تُستثمر الأوقات

من حديث سيد السادات

صلى الله عليه وسلم

بقلم

ناصر الدين

الشيخ الدكتور/ عبد الله عبد العليم محمد على فرج الصبان

رئيس قسم الحديث وعلومه

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

بالزقازيق -فرع جامعة الأزهر

(١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)

إهـــداء

إلـــى مـــن تعلمـــت منـــه معنـــى الإســـــلام والإيمـــــان

إلـــى مـــن تعلمـــت منـــه حـــب الخـــير لبنـــى الإنســـــان

إلـــى القلـــب الـــذى صـــوره الله فـــى صـــورة إنســـــان

إلـــى حبيبـــى الـــذى يســـر لـــــــى ســـــبيل الإحســـــان

إلى من لا أستطيع توفيته حقه ، ولا ســـبيل إلـــى الإمكـــان

إلى مـــن لـــه قلبـــى وروحـــى ووجدانـــى وكـــل كيـــانى

الولى الصالح الوالد / عبد العليم الصبان .

طيب الله ثراه ، وجعل الجنة مثواه

المخلص

ابنك / عبد الله

إهـــــــــــداء

ياشعـــــراوي (١)

يآية جاءت لشــرح المحكــم .... وعطية المولي الكريم المنعــم

ياخضرنا في عصرنا للمسلم .... وكليم قادتنـا لـدفـع المظلـم

بلسان أحمد جئتنا متحـدثا .... وبهـديـه وبسمتــه تترســم

حتي رأينا الحق فيك مبلغـا .... ورسولنا في الناس جاء ليحكم

جددت فينا دينـــه وكتابــه .... وزففت بشـراه لكـل العالــم

المخلص المحب

أ.د / عبدالله عبدالعليم الصبان

---

(١) - ديوان قصاصات الأوقات للمؤلف.

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

- وبعد -

كأنه الأمس القريب ، ليلة جاء أخي " السيد " غاضباً يشتكي لأمي من تصرف أحد أقاربها من تعرُضه له أثناء ذكره لحديث من أحاديث المصطفى ﷺ ، حيث إن أخي كان يحرص على سماع العلم وحضور حلق الذكر ، فإذا بهذا القريب وبعض الناس يستمعون لأخي منصتين له يقوم بالتهجم عليه بأسئلةٍ هذا القريب لا يُدرك مغزاها ولا معناها ، ولكنه يريد أن يُسكت أخي من استرساله في الحديث بأية حال فإذ به يسأله من روى هذا الحديث ؟ وفي أي كتاب قرأته ؟ وما دليلك على صحته ؟ . أسئلة من هذا القبيل التي لا يعلمها صاحب الأسئلة ذاته ولكنها " القنعرة " وإظهار التعالم أمام الناس ، وبعد أن كان المجلس مجلس علم أصبح مجلس جدلٍ ونقاش لا طائل من ورائه ولا فائدة فيه ، ولم يستطع الناس أن ينتهروا هذا القريب ، حيث إن به من البجاحة ما يستطيع تناولهم ، كما أن حاجاتهم له كثيرة ثم إن الأمر شأن قريب مع قريبه ، وكما يقول المثل " يا داخل بين البصلة وقشرتها ما ينوبك إلا صنتها " .

أخي يحكي لأمي حواره وأمي تهدئة إنك تعرف قريبنا فلان ، وتعرف طبعه ، وماذا نصنع من رجلٍ به كثير من الحقد والغيرة تجاهنا ، وكان الأولى أن يكون سعيداً عند حديثك فرحاً بسماع الناس لك ، حيث إنك مع صغر سنِّك تتحدث في الخير ، أو ليس ذلك أفضل ممن هم في مثل سنك حيث لا حديث لهم سوى الكلام عن البنات وإن فلانة جاءت فلانة ذهبت .

غضبت وأنا الطفل الصغير من أجل أخى وأنا أيضاً أعرف هذا الرجل فرغم صغر السنّ إلا أن نظراته تُبدى ما فى داخله من شر ولكن فعله هذا لفتنى إلى تلك الأسئلة التى سألها ولكن بشكل آخر إننى أسمع الخطيب على المنبر يوم الجمعة يقول قال الله تعالى ، ثم يتلو كلاماً يقول عنه أنه كلام الله ، فمثلاً يُريد أن يُدلل على شئ فيقول : قال الله فى قرآنه ثم يتلو كلمات بصوت مُنَغَّمٍ عذب وجميل، وإذا بالخطيب أيضاً يستشهد لموضوعٍ ما فيقول : وقال الله تعالى فى حديثه القدسى ثم يتكلم بكلام له هيبته وروعته ونوره ، ولكن ليس بذلك النغم الذى يخرج منه عندما يتلو القرآن ، وكذلك أسمعه على المنبر يقول : ويقول النبى ﷺ ، ثم يقول كلاماً بلغياً فصيحاً ، والكل له روعة وجلال وله روحانية تأخذ بالخاطر والبال .

وكذلك الشأن والحال مع الناس عندما يتحدثون فيتطرقون إلى أمر من أمور الدنيا والدين إذ بأحدهم يقول للآخر فى مجلس صلح مثلاً يا أخى إن الله يقول " **والعافين عن الناس** " ، والثانى يتحدث عن ظلم وقع عليه فيقول له صاحبه يا أخى إن رسول الله قال " إن الظلم ظلمات يوم القيامة " ، وتسمع من ثالث يقول : وعلى رأى المثل .

ما هذا الكلام ، وما حقيقة هذا الأمر وهل المثل أيضاً من الدين ، وما معنى الدين ، ولماذا أنا مسلم وزميلى الذى يجلس معى فى الفصل بل وفى التختة مسيحى؟ وما الفرق بين الدينين ومن منا سيدخل الجنة التى يخبر عنها سيدنا الشيخ على المنبر ومن سيدخل النار ؟ ومن محمد ، ومن إبراهيم ، ومن آدم ، ومن إسماعيل ، ومن يوسف ومن موسى وعيسى وأمور وأمور وفى أى الأماكن يدرسون هذا الكلام، وهل لى أن أدرسه ؟ **وزاد على ذلك** موت زميل لى فى المدرسة بحادث سيارة على الطريق ، والآخر كان أشطر الفصل ثم إذ به يُصاب بمرض عقلى فيحوله من تلميذ شاطر إلى تلميذ خائب بل ويأكله المرض ويترك الدراسة ، وكنت

أراه وهو يمشى فأحياناً يمشى معتدلاً وأحياناً أخرى يرفع رجله فـــى الـــهواء كأنـــه يمشى فى الهواء فتضطرب رجليه فيقع على الأرض ، ثم نراه يُصاب بحال ويقـــع على الأرض عاضاً على لسانه ويزرق اللسان من قسوة الأسنان ويحاول مـــن هـــم أكبر منا من إفاقته ومحاولة إدخال لسانه فى فمه ، وانتهى الحال بزميلى " فريد عبـد الحافظ " إلى الموت ، كما سبق الموت وأخذ صديقى " محمد عبد الرحمن " ، فـــأى شئ هذا الموت وكيف يأتى ، وكيف يذهب ، ولماذا سكت زميلى عن الكلام وقد كان يتكلم؟ ولماذا لم يعد يتنفس؟ ولماذا وضعوه فى هذا الصندوق ثم ذهبـــوا بـــه إلـــى المسجد ثم بعد ذلك إلى " الترب " المقابر ثم وضعوه وأغلقوا عليه، إنـــهم ظـــالمون يغلقون عليه وهو الصغير ألا يتركونه مع أمه وإخوته وأبيه ؟ إننى أراهم يبكون فقد لبست أمه وإخوته الثوب الأسود والبكاء والعويل والهم الثقيل ملأ كل كيانهم ، أمـــا الأب فهو فى ذهول وحوله مجموعة من الناس ممسكين به وكأنهم يخافون أن يعـود فينبش القبر ليخرج ولده فإذا صرخ بأعلى صوته منادياً " يا ولدى " يقولـــون لـــه : خليك عاقل " **إنا لله وإنا إليه راجعون** " والآخر يقول : إنه من الأبرار وإنـــه فـــى جنات النعيم . فهل هناك بعد الموت هذا حياة ؟ وما شكل هـــذه الحيـــاة ، وطبيعـــة العيش فيها ؟ وهل يشتغلون هناك فـــى " الغيـــط " الحقـــل ، ويذهبـــون للمـــدارس والمصالح الوظيفية أم لا يعملون ؟ ولماذا بيوتنا كبيرة ، و " الترب " المقابر صغيرة ؟ وهل من يذهبون إلى المقابر يأكلون أو يشربون أم لا يأكلون ولا يشـــربون ؟ وإن كانوا لا يأكلون فكيف يعيشون ؟ وما هى طبيعة الحياة فى القبر وفى الجنـــة التـــى يتحدثون عنها لا بد أن أعرف ... لا بد أن أعرف ... مهما كلفنى الثمن ؟ إنى أُحب زميلىّ الذين ماتا فلا بد أن أعرف إلى أين يذهبون ؟ كما أن كل يوم يموت آخريـــن أقارب وغير أقارب فإلى أين يذهبون ؟ وكيف سنلتقى بهم من جديـــد ؟ ومـــا هـــى طبيعة اللقاء وكيفيته ؟ إننى رأيت زميلى " محمد " فى النوم فقد جاء ولعـــب معـــى

وجرينا سوياً وأكلنا معاً ، فلما أصبح الصبح لم أجده فلمـــاذا يزورنـــى وأنـــا نـــائم ولا يزورنى وأنا مستيقظ ؟ ولماذا لا يأتى مرة أخرى ؟ ألم يكف أن يجلـــس فـــى " الترب " المقابر شهر أو شهرين ثم يعود لنلعب من جديد لماذا لم يأتى لمـــاذا ... ؟ لماذا ... ؟

لا بد أن أعرف ... لا بد أن أعرف ... مهما كلفنى الثمن ؟ **وســألت أبـــى :** كيف أتعلم القرآن الكريم فقال : عند سيدنا الشيخ "محمود" لو أردت فعلاً أن تحفظه؟ قلت له : وكيف أتعلم ما يقوله الشيخ على المنبر يوم الجمعة ؟ فقال : هذا التعليم فى الأزهر ، وأين هذا الأزهر ؟ أليس هو مدرسة مثل مدرستنا قال : أجل ولكن العلـوم التى تدرس فيه علوم الدين ، فقلت له : وما علوم الدين ؟ قـــال : القـــرآن الكريـــم وشرحه ومعرفة معانيه ، والحديث النبوى وشرحه ومعانيه ، وفقه المذاهب الأربعـــة الشافعى والمالكى والحنبلى والحنفى وغيرها الكثير ، ثم قال " ياه ومين يطول العـــز ده ، والنعيم ده ؟ هؤلاء قال الله فيهم " **إنما يخشى الله من عباده العلماء** " فقلت لـــه يأبى : كيف الدخول فى دراسة الأزهر ؟ قال : يا بنى إنت فـــى مدرســـة التربيـــة والتعليم وليس لك حظ أو نصيب فى هذا فالمعاهد المخصصة لذلك ليست ببلدنا ففـــى كل بلد مدرسة وفى كل مدينة معهد ، ثم إن علومه كثيرة وثقيلة مين يقدر عليها ؟

وسكت أبى وكأنه كان يتمنى أن يكون له ولد عالم أزهرى ، وسكت أنا وأنـــا فى قمة الإصرار أن أدرس فى الأزهر مهما كلفنى ذلك من ســـبيل ، وكنـــتُ ألفـــة الفصل ورائده وكان الأستاذ يسألنى ماذا تريد أن تكون فى المستقبل يـــا عبـــد الله ؟ أقول له : أستاذ فى كلية أصول الدين ، فيقول يا ولدى هذا أمر مستحيل ، فنحن فـــى وادٍ وهم وادٍ آخر ، **فأقول له :** ولكن ذلك رغبتى ، فيقول أنت ورغبتك ولكـــن مـــا نحن فيه لا يؤهلك إلى ما تريد ، ومرتْ الأيام وجاد الله بالفضل وعدلـــت مســـارى نهائياً إلى الأزهر ودراسة علومه بقصة طويلة ليس هذا مجالـــها – فســـوف أقـــوم

بكتابتها فى القريب - ودخلت أصول الدين وتفوقت فيها ، وكان ترتيبى الأول فـــى " الليسانس " وعُينت معيداً ، ثم مدرساً مساعداً ، ثم الآن مدرساً بالجامعة الأزهريـــة فهذا فضل الله ومنّه ، وعرفت ما كنت أود معرفته ، وتعلمت ما لم يخطـــر ببـــالى أو بال أبى تعلمه ، وعرفت فى الأزهر حقائق الإسلام وأنواره وأمور الدنيا والآخرة وسعدت سعادة يتمناها أى زميل ، وزملائى الذين كنت معهم فى الابتدائى يذكـــرون ويُذكرونى بتلك القصة ويقولون حقق الله أملك " **وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضـــل الله عليك عظيماً** " .

وبعد : فليعتز كل أزهرى وأزهرية بفضل الله فإن رسولنا الكريم قال " **مـــن يرد الله به خيراً يفقه فى الدين** " ، وقال تعالى " **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** " .

وكتابى هذا الذى أعددته إنما هو كتاب قصدت به بيان كيف يملأ المسلم وقتـــه بكل ما هو نافع ومفيد من أمور الدين والدنيا ، كيف يستثمر المســـلم وقتـــه ويمـــلأ فراغه بكل أمر نافع ومُجدٍ ولا يضيع وقته فى ما لا فائدة فيه وسميته " بيان كيـــف تُستثمر الأوقات من حديث سيد السادات ﷺ " مستلهماً ما فيه من آيات الله البينـــات فى القرآن الكريم ، وكذلك الأحاديث القدسية ومتوجاً بأحاديث خير البرية ﷺ .

هذا : والكتاب كله وحدة واحدة فى هذا المجال يظهر ذلك من فهرسه الخـــاص بالموضوعات . وقد قصدت بالكتاب الإفادة عسى الله أن ينفع به ويجـــزل الثـــواب ببركته إنه سميع قريب .

<u>كتبه</u>

ناصر الدين

الشيخ الدكتور / عبد الله عبد العليم محمد على فرج الصبان - ديرب نجم

غرة رجب الفرد ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١/٩/١٨ م

" أوقات الفراغ وكيفية الاستفادة منها "

روى البخارى بسنده عن ابن عباس ﷺ قال : قال النبى ﷺ " نِعمتانِ مغبونٌ فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ "(١) .

معانى المفرادت :

١- **نعمتان** : تثنية نعمة وهى : الحالة الحسنة ، **وقيل** : هى المنفعة المفعولة على جهة الإحسان للغير .

٢- **مغبون** : الغبن بالسكون وبالتحريك ، قال الجوهرى : هو فى البيع بالسكون وفى الرأى بالتحريك ، وعلى هذا فيصح كل منهما فى هذا الخبر فإن من لا يستعملها فيما ينبغى فقد غبن لكونه باعهما ببخس ولم يحمد رأيه فى ذلك .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

فى هذا الحديث يخبرنا ﷺ أن أوقات الفراغ وصحة الإنسان نعمتان عظيمتان، إذا توفرتا للإنسان ، وهى بحمد الله متوفرة لكثير من الناس ، وهاتان النعمتان فرصة للخير العظيم والسبيل إلى النعيم المقيم ، ففى أوقات الفراغ يستطيع الإنسان أن يحصل من العلم الشئ الكثير ، وفى أوقات الفراغ يستطيع الإنسان أن يقوم بأعمال كثيرة من أعمال الخير من زيارة مريض والمشى فى حاجة من له حاجة من : مصالحة بين متخاصمين ، أو إرشاد بعض الغافلين ، أو لزيارة أحد الصالحين ، أو لرحم من الأرحام التى أمر الله أن توصل ، كما أن الأولى فى ذلك

---

(١) أخرجه البخارى " فتح البارى " كتاب الرقاق ، باب ما جاء فى الرقاق ، وأن لا عيش إلا عيش الآخرة ٢٢٩/١١ ، وأخرجه الترمذى كتاب الزهد ، باب الصحة والفراغ ... إلخ ٣/٧ . تحفة الأحوذى ، وأخرجه ابن ماجه كتاب الزهد باب الحكمة ١٣٩٦/٢ وغيرهم .

أيضاً مسامرته أهله وزوجته وملاعبته لولده ، والتدريس لـــه إذا كـــان الأب مـــن المثقفين ، وأنواع الخير فى ذلك كثيرة سوف أذكرها ليستفاد منها فى أوقات فراغنـــا حيث إن الوقت أغلى من الذهب حيث إنه العمر الذى يذهب ولا يعود فإهدار هـــذا العمر الثمين دون منفعة مثل الجلوس على المقاهى ، ولعب الطاولة والشطرنج طول النهار وجزء كبير من الليل لا يُفيد ولا يجدى ، وكذا سهرات الجوزة والمخـدرات ، وارتكاب المحرمات أمر مخزى ، فى حين أن إهدار الفراغ والصحة التى هى طاقـة الإنسان لن يغفله الديان حيث " لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسئل عن أربـع : عن جسمه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه فيما انتفـــع به " والذى تلهيه لقمة العيش والبحث عن الرزق معذور فعليه الفرائض وما استطاع من النوافل ، أما البلية ففى الذين يجلسون بدأ من أول اليوم أو عصره بعد انقضـــاء العمل الرسمى بلا استفادة من أوقاتهم غير القيل والقال من الغيبة والنميمة ، والتلفظ بالألفاظ الفاحشة والذميمة وكأنهم لم يقرءوا قول الله تعالى " **قد أفلح المؤمنـــون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون** " ولم يقرءوا قوله تعالى " **وإذا سَمِعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين** " ولم يقرءوا قوله تعـــالى " **وَلا يغتـــب بعضكـــم بعضـــاً أيحـــب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله** " وغـــير ذلـــك مـــن الآيـــات والأحاديث، والوقت يمر والعمر ينتهى وهو لا يعرف أذكار الصباح وأذكار المساء، ولا يعرف أوقات تفضُّل الله بالمنن والعطاء فهو عند من يعرفـــون معنـــى الوقـــت وقيمته " كالأطرش فى الزفة " فكيف به وقد ضاعت صحته وانحنى ظهره وضعفت خطوته وشاركته العصى رجلاً ثالثة مع عينين اختلط عليها سواد الليل من بيـــاض النهار فأصبح يرى كل شئ اثنين مع دوام الوجع فى العين ، مع شيب قد دبَّ فى كل شعر رأسه وحواجبه وبدنه ومع أسنان قد فرّت من مساوئ اللسان .

ولقد نظمت فى الشيب ومساوئه قصيدة أسميتها :

" الضيف المحتل "

قلت فيها :

١- ضيفى الذى جاء ... يمشى على استحياء
٢- فى مقدم الرأس ... يرفع أسنة بيضاء
٣- فى كل يوم تزيد ... جيوشه الحمراء
٤- قد فرق الجند فيها ... فى خفة ودهاء
٥- لا يستحى من صديقى ... وزوجتى الحسناء
٦- وأسرع السير فيها ... ففرت السوداء
٧- لم يسلم الوجه منه ... ولحيتى فى عناء
٨- وشاربى زاغ منى ... واكتظ بالشهباء
٩- تم احتلال لجسمى ... من وشيه الوضاء
١٠- هجرتنى صورى الجميلة ... وتسربت فى الهواء
١١- ما لم أره فى حياتى ... ولم تقله السماء
١٢- أن الذى جاء ضيفا ... يظل حتى الفناء
١٣- والضيف ظل خفيف ... لا ثقلة رعناء
١٤- يأكل ويشرب عفيفا ... ولا يطل فى البقاء
١٥- هكذا خبرنى عنه ... أهل الحضر والفضاء
١٦- لكن ضيفى هذا ... لا يستحى من عطاء
١٧- وكل يوم يعثر ... ينشط معانى البلاء
١٨- ظهر الوهن فى الحواجب ... فتناثرت بيضاء

١٩- والرمــش أرخــى ســدوله	والجفــن غــض حيـــاء
٢٠- علمـت سـنانى بحالـــه	ومعظـــم الأعضــــــاء
٢١- فتكاســلوا عـــن كفـــاح	وتجــابنوا عـــن لقـــاء
٢٢- فالســن لـــم تبـــق ودا	وتفرقــت فـــى الخـــلاء
٢٣- والرجــل تـــهتز فرقـــا	والظــهر مـــال انحنــــاء
٢٤- لـــم يأبـــهوا بعصــــاة	لـــم يســـمعوا لـــدواء
٢٥- دب الوهن فـــى ضلوعـــى	والســـمع قـــل جفـــاء
٢٦- هربـــت معـــانى الحيــــاة	فصـــرت كالموميـــاء[1]

وماذا بعد أن يصير الإنسان كالمومياء ؟ يذكر الله ويعرفه ، آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ، إذا فالآن الفرصة سانحة (صحة وفراغ) فمن تركهما فـهو مغبون كمن باع الشئ الكبير الجميل بثمن بخس هزيل فهو مضحـــوك عليــه مـــن الشيطان ونفسه الأمارة بالسوء فقد أطاعهما وعصى الرحمن فكانت عاقبته خســرا ، باع الجنة والنعيم المقيم بالدنيا الفانية التى لا تستقر على حال وكل حالها أوحـــال ، فكانت آخرته أن يسقى من طينة الخبال لا تنفعه زوجة ولا عيـــال ولا كـــثرة مـــال **" يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم "** .

ولقد قال الإمام البوصيرى محذرا من النفس والشيطان وخداعهما لبنى الإنسان:

وخالف النفس والشيطان واعصـــهما	وإن هما محضاك النصـــح فاتـــهم
ولا تطع منهما خصمـــا ولا حكمـــا	فأنت تعرف كيد الخصـــم والحكـــم
والنفس كالطفل إن تهمله شب علـــى	حب الرضاع وإن تفطمـــه ينفطـــم

(١) ديوان " قصاصات الأوقات " للمؤلف .

فاصرف هواها وحـــاذر أن توليـه إن الهوى ما تولى يعمى أو يصـم
وراعها وهى فى الأعمـال سـائمة وإن هى استحلت المرعى فلا تسم

يقول ابن بطال : معنى الحديث أن المرء لا يكون فارغا حتى يكـون مكفيـا صحيح البدن ، فمن حصل له ذلك فليحرص على أن لا يغبن بأن يـترك شـكر الله على ما أنعم به عليه ، ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه ، فمن فـرط فـى ذلك فهو المغبون ، وأشار بقوله " كثير من الناس " إلى أن الذى يوفق لذلك قليل .

وقال ابن الجوزى : قد يكون الإنسان صحيحـا ولا يكـون متفرغـا لشـغله بالمعاش ، وقد يكون مستغنيا ولا يكون صحيحا ، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عـن الطاعة فهو مغبون ، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة وفيها التجارة التى يظهر ربحـها فى الآخرة ، فمن استعمل فراغه وصحته فى طاعـة الله فـهو المغبـوط ، ومـن استعملها فى معصية الله فهو المغبون " أى الخاسـر " لأن الفـراغ يعقبـه الشـغل والصحة يعقبها السقم .

إذا فمما يستفاد من الحديث :

١- استغلال الصحة والفراغ فى الأمور التى تجدى سواء انتفع بها الشخص نفسـه أو مجتمعه الذى يعيش فيه ، فما أبدع المبدعون وعلا كعب المفكرون إلا مـن أوقات الفراغ التى عرفوا قدرها فلم يهملوها ، وانتفعوا بها ولم يهدرها .

٢- أن لا يبيع الإنسان آخرته بدنياه حيث إن بيع الآخرة بالدنيا هو عين الخسـران وأسوأ البخس .

٣- للصحة والفراغ ثمن وهو الشكر لله على ما أنعم فكم من محروم منـهما معـا أو من أحدهما على الأقل فمن صفا له وقته وصحته فليحمد الله ربه .

هذا : وهناك أمور من الخير يمكن للإنسان أن ينشغل بها فى أوقات فراغـــه سوف أذكرها مفصلة بعناوين تحملها فى هذا الكتاب **وهى الآتى :**

١- فضل تلاوة القرآن وأجر تاليه .

٢- ذكر الله عز وجل وشكره وأثره على الذاكر .

٣- الاستغفار وأثره .

٤- الدعاء وأثره .

٥- الصلاة على النبى ﷺ وفضلها .

٦- وأمور أخرى من النوافل ترفع الدرجات .

وغيرها من الموضوعات تذكر فى حينها متسلسلة تبين كيفية الاستغلال للوقت الفائض أروع استغلال .

١- فضل تلاوة القرآن وأجر تاليه .

القرآن الكريم هو كتاب الله المنزل على لسان حبيبه سيدنا محمد ﷺ ليبلغه للناس كافة من غير زيادة ولا نقصان ، وأخبرنا نبينا أن القرآن الكريم عز الدنيا والآخرة وسعادتهما " فمن أراد الدنيا فعليه بالقرآن ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن ومن أرادهما معا فعليه بالقرآن " وأن " من أراد عيش السعداء ، وموت الشهداء والغنيمة من كل بر والظل يوم الحرور ، فاقرءوا القرآن ، فإنه كلام الرحمن ، حرز من الشيطان ورجحان فى الميزان ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ومن سار على هديه هدى إلى صراط مستقيم ، وهو الذى إذا سمعته الجن قالوا " **إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن شرك بربنا أحدا** " وهو الذى لا تنقضى عجائبه ولا يخلق " يبلى " من كثرة الرد " أى التلاوة " وهو الفصل ليس بالهزل ، فيه نبأ من قبلنا وحكم ما بيننا ، وهو حبل الله المتين ، وصراطه المستقيم .

وخير الناس من المسلمين هو " من تعلم القرآن وعلمه " والله عز وجل يستمع لتاليه ، ويجزل التالى له والعامل به ، فالحرف بحسنة والحسنة بعشر أمثالها ، والماهر به مع السفرة الكرام البررة والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران ، ويقال له يوم القيامة إقرأ وارقى ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها ، كما أن تاليه والمداوم عليه يرفع عنه عذاب القبر ، كما حذرنا الله ورسوله من مغبة عدم تلاوته وحفظه والعمل به ، فأخبرنا رسولنا ﷺ " أن الذى ليس فى جوفه شئ من القرآن كالبيت الخرب " وأن من لم يعمل بآياته يأتى يوم القيامة أعمى ﴿ **قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى * وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى**[1] ﴾ .

---

(١) سورة طه الآيات من ١٢٥ حتى ١٢٧ .

هذا : وللقرآن الكريم صولة فى قلب ووجدان تاليه ، وإعمال فـــى باطنـــه ، ولكن ذلك لا يأتى إلى بفهم أصل الكلام ثم التعظيم له ثم حضور القلب ثم التدبر ثـــم التفهم ثم التخلى عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقى ثم التبرى وإليـــك التفصيل :

الأول : فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه فى نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه ، فلينظر كيف لطف بخلقه فى إيصال معانى كلامه الذى هو صفة قديمه قائمة بذاته إلى أفهام خلقه ، وكيف تجلت لهم تلك الصفة فى طى حروف وأصوات هى صفات البشر ، إذ يعجز البشر عن الوصـــول إلى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جلالة كلامـــه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمـــة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى ﷺ لما أطاق لسماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادى تجليه حيث صار دكا ، ولا يمكن تفـــهيم عظمـــة الكـــلام إلا بأمثلة على حد فهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال : إن كل حـــــرف من كلام الله عز وجل فى اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف وإن الملائكة عليـــــهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه حتى يأتى جبريل عليـــــه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله بإذن الله عز وجل ورحمته لا بقوتـــــه وطاقتـــه ولكن الله عز وجل طوقه ذلك واستعمله به .

ولقد تأنق بعض الحكماء فى التعبير عن وجه اللطف فى إيصال معانى الكـــلام مع علو درجته إلى فهم الإنسان وتثبيته مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم يقصــــر فيه وذلك : أنه دعا بعض الملوك حكيم إلى شريعة الأنبياء عليهم السلام فسأله الملك عن أمور فأجاب بما لا يحتمله فهمه فقال الملك : أرأيت ما تـــأتى بـــه الأنبيـــاء إذا

ادعت أنه ليس بكلام الناس وأنه كلام الله عز وجل فكيف يطيق الناس حملـه فقـال الحكيم : إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون مـن تقديمها وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأو الدواب يقصر تمييزها عن فـهم كلامـهم الصادر عن أنوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه فنزلوا إلى درجـة تمييـز البهائم وأوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لائقة بهم من النقـر والصفير والأصوات القريبة من أصواتها لكى يطيقوا حملها وكذلك الناس يعجـزون عن حمل كلام الله عز وجل بكنهه وكمال صفاته ، فصاروا بما تراجعوا بينهم مـن الأصوات التى سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذى سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معانى الحكمة المخبوءة فى تلك الصفات من أن شرف الكـلام أى الأصوات لشرفها وعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكـم للصوت نفسا وروحا فكما أن أجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك أصـوات الكلام تشرف للحكمة التى فيها ، والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السـلطان نافذ الحكم فى الحق والباطل وهو القاضى العدل والشاهد المرتضى يـأمر وينـهى ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة ، كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة ، كمـا لا طاقـة لـهم أن ينفـذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس مـا تحيـا بـه أبصارهم ويستدلوا به على حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحبوب الغـائب وجهـه النافذ أمره وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الظاهرة التى قـد يهتدى بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح الخزائن النفيسة ، وشراب الحياة الـذى من شرب منه لم يمت ، ودوام الأسقام الذى من سقى منه لم يسقم . فهذا الذى ذكـره الحكيم نبذه من تفهيم معنى الكلام .

الثاني : التعظيم للمتكلم فالقارئ عند البداية بتـــلاوة القــرآن ، ينبغـــى أن يحضر فى قلبه عظمة المتكلم ، ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشـــر وأن فـــى تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر فإنه تعالى قال " **لا يمســـه إلا المطـــهرون** " ، وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشـــرة اللامـــس ، إلا إذا كان متطهرا فباطن معناه أيضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلـــب إلا إذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير ، وكما لا يصلح لمـــس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كـــل قلـــب ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبى جهل إذا نشر المصحف غشى عليه ويقـول : " هو كلام ربى هو كلام ربى " فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ولن تحضـــره عظمـــة المتكلم ما لم يتفكر فى صفاته وجلاله وأفعاله فإذا حضر بباله العـــرش والكرســـى والسماوات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والـــدواب والأشـــجار وعلـــم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد وأن الكل فى قبضة قدرته مـــتردد بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته إن أنعم فبفضله وإن عاقب فبعدله وأنه الذى يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى وهؤلاء إلى النار ولا أبالى ، وهذا غايـــة العظمـــة والتعالى فبالتفكر فى أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام .

الثالث : حضور القلب وترك حديث النفس ، قيل فى تفسير " يا يحيـــى خـــذ الكتاب بقوة " أى بجد واجتهاد وأخذه بالجد أن يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة إليه عن غيره وقيل لبعضهم إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشئ فقال : أو شئ أحب إلى من القرآن حتى أحدث به نفسى وكان بعض السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فإن المعظم للكلام الـــذى يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه ففى القرآن ما يستأنس به القلـــب إن كـــان التالى أهلا له فكيف يطلب الأنس بالفكر فى غيره وهو فى متنزه ومتفـــرج والـــذى

يتفرج فى المتنزهات لا يتفكر فى غيرها فقد قيل : إن فى القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياضا وخانات : فالميمات ميادين القرآن ، والراءات بساتين القرآن ، والحاءات مقاصيره ، والمسبحات عرائس القرآن ، والحاميمات ديابيج القرآن ، والمفصل رياضه ، والخانات ما سوى ذلك ، فإذا دخل القارئ الميادين وقطف من البساتين ، ودخل المقاصير ، وشهد العرائس ، ولبس الديابيج ، وتنزه فى الرياض ، وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك ، وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ، ولم يتفرق فكره .

الرابع : التدبر وهو وراء حضور القلب ، فإنه قد لا يتفكر فى غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره ، والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لأن الترتيل فى الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن قال على ﷺ : " لا خير فى عبادة لا فقه فيها ، ولا فى قراءة لا تدبر فيها " ، وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد فليردد إلا أن يكون خلف إمام فإنه لو بقى فى تدبر آية وقد اشتغل الإمام بآية أخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه ، وكذلك إن كان فى تسبيح الركوع وهو متفكر فى آية قرأها إمامه فهذا وسواس ، **فقد روى عن عامر بن عبد قيس أنه قال :** الوسواس يعترينى فى الصلاة فقيل فى أمر الدنيا فقال : لأن تختلف فى الأسنة أحب إلى من ذلك ولكن يشتغل قلبى بموقفى بين يدى ربى عز وجل وأنى كيف أنصرف فعد ذلك وسواسا وهو كذلك فإنه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله بمهم دينى ولكن يمنعه به عن الأفضل ، **ولما ذكر ذلك للحسن قال :** إن كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا ، عن أبى ذر قال " قام رسول الله بنا ليلة فقام بآية يرددها وهى - إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت

العزيز الحكيم -[١] " . وقال تميم الدارى قمت ليلة بهذه الآيـــة " أم حسـب الذيـن اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتـهم ساء ما يحكمون[٢]" وغيرهم .

وقال بعضهم : إنى لأفتتح السورة فيوقفنى بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم يقول آية لا أتفهمها ولا يكون قلبى فيها لا أعد لـها ثوابا ، **وحكى عن أبى سليمان الدارانى أنه قال** : إنى لأتلوا الآية فأقيم فيها أربـع ليال أو خمس ليال ولولا أنى أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها .

وعن بعض السلف أنه بقى فى سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ مـن التدبر فيها . **وقال بعض العارفين** : لى فى كل جمعة ختمة وفى كل شهر ختمة وفى كل سنة ختمة ولى ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجـات تدبره وتفتيشه ، وكان هذا أيضا يقول أقمت : نفسى مقام الأجراء فأنا أعمل مياومـة ومجامعة ومشاهرة ومسانهه .

الخامس : التفهم ، وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر أفعاله وذكر أحوال الأنبياء عليـهم السـلام ، وذكر أحوال المكذبين لهم وأنهم كيف أهلكوا ، وذكر أوامره وزواجره وذكر الجنـة والنار ، أما صفات الله عز وجل فكقوله تعالى " ليس كمثلـه شـئ وهـو السـميع البصير" ، وكقوله تعالى " الملك القدوس السلام المؤمن المـهيمن العزيـز الجبـار المتكبر " ، فليتأمل معانى هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها فتحتها معان

---

(١) سورة المائدة آية رقم {١١٨} .　　(٢) سورة الجاثية آية رقم {٢١} .

مدفونة لا تتكشف إلا للموفقين ، **وإليه أشار سيدنا على ﷺ بقوله : ما أسر إلـــى** ﷺ شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عز وجل عبدا فهما فـــى كتابــه فليكـن حريصا على طلب ذلك الفهم . **وقال ابن مســعود** ﷺ : مــن أراد علــم الأوليـن والآخرين فليثور القرآن ، وأعظم علوم القرآن تحت أسمائه عز وجل وصفاته إذ لـم يدرك أكثر الخلق منها إلا أمور لائقة بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارهـــا . وأمـا أفعاله تعالى فكذكره خلق السماوات والأرض وغيرها فليفهم التالى منها صفـات الله عز وجل وجلاله إذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمتـــه فينبغــى أن يشهد فى الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه فى كل شئ إذ كل شئ فــهو منه وإليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه فى كل ما يراه فكأنه ما عرفه ومن عرفه عرف أن كل شئ ما خلا الله باطل ، وأن كل شئ هالك إلا وجهه لا أنـه سيبطل فى ثانى الحال بل هو الآن باطل إذ اعتبر ذاته من حيث هـــو إلا أن يعتــبر وجوده من حيث إنه موجود بالله عز وجل وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبــات وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادئ علم المكاشفة ، ولهذا ينبغـى إذا قرأ التالى قوله عز وجل " **أفرأيتــم مـــا تحرثــون** " " **أفرأيتــم مــا تمنــون** " " **أفرأيتم الماء الذى تشربون** " " **أفرأيتم النار التى تورون** " فلا يقصر نظره علـى الماء والنار والحرث والمنى بل يتأمل فى المنى وهو نطفة متشابهة الأجزاء ثم ينظر فى كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفيـــة تشــكل أعضائـــها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم إلى ما ظـــهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قـال الله تعالى " **أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين** " فيتأمل هـذه

العجائب ليترقى منها إلى عجب العجائب وهو الصفة التي منها صدرت هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع .

وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام : فإذا سمع منها أنهم كيف كُذبوا وضُربوا وقُتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل إليهم ، وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر فى ملكه شيئاً ، وإذا سمع نصرتهم فى آخر الأمر فليفهم قدرة الله عز وجل عن الرسل والمرسل إليهم ، وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر فى ملكه شيئاً فليفهم قدرة الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق .

وأما أحوال المكذبين : كعاد وثمود وما جرى عليهم ، فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته ، وليكن حظه منه الاعتبار فى نفسه ، وأنه إن غفلَ وأساء الأدب واغتر بما أمهل فربما تدركه النقمة ، وتنفذ فيه القضية ، وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما فى القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منها لأن ذلك لا نهاية له ، وإنما لكل عبد منه بقدر رزقه فلا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين . " **قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً** " ، **ولذلك قال سيدنا على كرم الله وجهه :** لو شئتُ لأوقرتُ سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب " . فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهم لينفتح بابه فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه ، ومن لم يكن له فهم ما فى القرآن ولو فى أدنى الدرجات ، دخل فى قوله تعالى " **ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً أولئك الذين طبع الله على قلوبهم** " والطابع هى الموانع التى سنذكرها فى موانع الفهم ، **وقد قيل :** لا يكون المريد مريداً حتى يجد فى القرآن كل ما يريد ، ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغنى بالمولى عن العبيد .

السادس : التخلى عن موانع الفهم ، فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معـــانى القرآن لأسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجــائب أســرار القرآن .

وحُجب الفهم أربعة :

أولها : أن يكون الهمُ منصرفاً إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجـــها ، وهذا يتولى حفظه شيطان وُكِلَ بالقراء ليصرفهم عن فهم معانى كلام الله عز وجــل فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه فهذا يكـون تأمله مقصوراً على مخارج الحروف فأنى تتكشف لــه المعــانى وأعظــم ضحكــة للشيطان من كان مطيعاً لمثل هذا التلبيس .

ثانيها : أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد ، وجمد عليه وثبت فـــى نفســه التعصب له ، بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة ، فهذا شخص قيَّدهُ معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقـــده فصــار نظره موقوفاً على مسموعه ، فإن لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعانى التــى تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة ، وقال كيف يخطر هذا ببـــالك وهــو خلاف معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثلــه ولمثل هذا قالت الصوفية : " إن العلم حجاب " وأرادوا بالعلم العقائد التـــى اســتمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها إليهم فأما العلم الحقيقى الذى هو الكشف والمشاهدة بنور البصـــيرة فكيــف يكون حجاباً وهو منتهى المطلب ، وهذا التقليد قد يكون باطلاً فيكون مانعاً لمن يعتقد الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فإن خطر له مثلاً فى اسمْ " القدوس " أنــه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك فى نفسه ولــو استقر فى نفسه لانجرّ كشفٍ ثانٍ وثالث ولتواصل ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عـــن

خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون أيضا مانعا من الفهم والكشف لأن الحق الذى كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى الغور الباطن .

ثالثها **:** أن يكون مصرا على ذنب أو متصفا بكبر أو مبتلى فى الجملة بهوى فى الدنيا مطاع ، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المرآة فيمنع جلية الحق من أن يتجلى فيه ، وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكثرون ، وكلما كانت الشهوات أشد تراكما كانت معانى الكلام أشد احتجابا ، وكلما خَفَ عن القلب أثقال الدنيا قرب تجلى المعنى فيه ، فالقلب مثل المرآة والشهوة مثل الصدأ ، ومعانى القرآن مثل الصور تتراءى فى المرآة والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة .

رابعها : أن يكون قد قرأ تفسيرا ظاهرا واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما ، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى وأن من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار ، فهذا أيضا من الحجب العظيمة وأن ذلك يناقض قول على ﷺ (إلا أن يأتى الله عبدا فهما فى القرآن) وأنه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلفت الناس فيه .

السابع **: التخصيص** ، وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب فى القرآن فإن سمع أمرا أو نهيا قدر أنه المنهى والمأمور ، وإن سمع وعدا أو وعيدا فكمثل ذلك وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود ، وإنما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج إليه ، فما من قصة فى القرآن إلا وسياقها لفائدة فى حق النبى ﷺ وأمته ، ولذلك قال تعالى " **وكلا نقص عليك من أنباء**

الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكـــرى للمؤمنيـــن[1] . فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبيـــاء وصـــبرهم علـــى الإيذاء ، وثباتهم فى الدين لانتظار نصر الله تعالى وكيف لا يقدر هذا والقرآن مـــا أنزل على رسول الله ﷺ لرسول الله خاصة بل هو شفاء وهـــدى ورحمـــة ونـــور للعالمين ، ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى " **واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكـــم بـــه** " وقـــال عـــز وجـــل " **لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون** " وقوله تعالى " **وأنزلنا إليـــك الذكـــر لتبين للناس ما نزل إليهم** " وقال تعالى " **كذلك يضرب الله للناس أمثالهم** " وقولـــه تعالى " **واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم** " وقوله " **هذا بصائر للناس وهـــدى وموعظة للمتقين** " وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد فـــهذا القـــارئ الواحد مقصود فماله ولسائر الناس فليقدر أنه المقصود قال الله تعالى " **وأوحى إلـــى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ** " . **قال محمد بن كعب القرظى** : من بلغه القـــرآن فكأنما كلمه الله ، وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرؤه كما يقرأ العبـــد كتاب مولاه الذى كتبه إليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه ، **ولذلك قال بعض العلماء** : هـــذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده نتدبرها فى الصلوات ونقف عليـــها فى الخلوات وننفذها فى الطاعات والسنن المتبعات .

وكان مالك بن دينار يقول : ما زرع القرآن فى قلوبكم يا أهـــل القـــرآن إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض .

وقال قتادة : لم يجالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان قـــال تعـــالى " **هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا** " .

---

(١) سورة هود آية رقم {١٢٠} .

الثامن : التأثر ، وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات ، فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه فإن التضييق غالب على آيات القرآن فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله عز وجل " وإني لغفار " ثم أتبع ذلك بأربعة شروط وهى " لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى " وقوله " **والعصر * إن الإنسان لفى خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** "، ذكر أربعة شروط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال تعالى " **إن رحمة الله قريب من المحسنين** " فالإحسان يجمع الكل ، وهكذا من يتصفح القرآن من أوله إلى آخره ، ومن فهم ذلك فجدير بأن يكون حاله الخشية والحزن ، **ولذلك قال الحسن البصرى :** والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلا كثر حزنه ، وقل فرحه ، وكثر بكاؤه ، وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته . **وقال وهيب بن الورد :** نظرنا فى هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا أرق للقلوب ولا أشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره ، فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت ، وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح ، وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته ، وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله عز وجل ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر فى باطنه حياء من قبح مقالتهم ، وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا إليها وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها ، [ولما قال رسول الله ﷺ لابن مسعود أقرأ على القرآن قال أقرأ عليك وعليك أنزل (الحديث سوف يتأتى بشرحه) ، والشاهد فيه " **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا** " ، فقال حسبك :

فنظرت فإذا عيناه تذرفان] ، وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكليـــة . ولقد كان فى الخائفين من خر مغشيا عليه عند آيات الوعيد ومنهم مـــن مـــات فـــى سماع الآيات ، فمثل هذه الأحوال يخرجه عن أن يكون حاكيا فى كلامه ، فإذا قـال " **إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم** " ، ولم يكن خائفا كان حاكيا ، وإذا قال " **عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير** " ، ولم يكن حاله التوكـل والإنابـة كـان حاكيا، وإذا قال " **ولنصبرن على ما آذيتمونا** " ، فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة ، فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحـالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه فى قوله تعـالى " **ألا لعنة الله على الظالمين** " ، وفى قوله تعالى " **كبر مقتا عنـد الله أن تقولـوا مـالا تفعلون** " إلى غير ذلك من الآيات ، وكان داخلا فى معنى قوله عز وجل " **ومنـهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى** " يعنى التلاوة المجردة ، وقوله تعالى " **وكـأين من آية فى السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون** " لأن القرآن هو المبين لتلك الآيات فى السماوات والأرض ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها ، **ولذلك قيل** : إن من لم يكن متصفا بأخلاق القرآن فإذا قرأ القرآن نـاداه الله تعالى : مالك ولكلامى وأنت معرض عنى دع عنك كلامى إن لم تتب إلى " ، ومثال العاصى إذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك فى كل يوم مرات ، وقـد كتب إليه فى عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها، ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت ، **ولذلك قال يوسف ابن أسباط** : إنى لأهم بقراءة القرآن فإذا ذكرت ما فيه خشيت المقت .

وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلـب فحفـظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل ، وحفظ العقل تفسير المعـانى ، وحفـظ القلـب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والإئتمار ، فاللسان يرتل ، والعقل يترجم ، والقلب يتعظ .

التاسع : الترقى ، وأعنى به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه فدرجات القراءة ثلاث :

أدناها : أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل واقفا بين يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال .

وأوسطها : أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بألطافه ويناجيه بإنعامه وإحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم .

أعلاها : أن يرى فى الكلام المتكلم وفى الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى تعلق الإنعام به من حيث إنه منعم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين ، وما قبله درجة أصحاب اليمين ، وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين ، وعن الدرجة العليا أخبر **جعفر الصادق** ﷺ **حيث قال :** " والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه فى كلامه ولكنهم لا يبصرون " ، **وقال أيضا :** وقد سألوه عن حالة لحقته فى الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سرى عنه قيل له فى ذلك فقال : ما زلت أردد الآية على قلبى حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمى لمعاينة قدرته " ففى مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ، **ولذلك قال بعض الحكماء :** كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأنى أسمعه من رسول الله ﷺ يتلوه على أصحابه ، ثم رفعت إلى مقام فوقه كنت أتلوه كأنى أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله ﷺ ، ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما ولا أصبر عنه .

وقال عثمان بن عفان وحذيفة بن اليمان ﷺ : " لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن ، وإنما قالوا ذلك لأنها بالطهارة تترقى إلى مشاهدة المتكلم فى

الكلام ، **ولذلك قال ثابت البنانى** : كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشـــرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد متمثلا لقوله عز وجل " ففروا إلـــى الله " ولقوله " ولا تجعلوا مع الله إلها آخر " فمن لم يره فى كل شئ فقد رأى غـــيره وكل ما التفت إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفـــى بـــل التوحيد الخالص أن لا يرى فى كل شئ إلا الله عز وجل .

العاشر : التبرى ، وأعنى به أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بعين الرضا والتزكية فإذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بـــل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوف إلى أن يلحقه الله عز وجل بـــهم وإذا تـــلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقدر أنه المخاطب خوفـــا وإشفاقا ، **ولذلك كان ابن عمر** ﷺ **يقول** : اللهم إنى أستغفرك لظلمى وكفرى وقيـــل له هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله عز وجل " **إن الإنسان لظلوم كفـــار** " ، **وقيـــل ليوسف بن أسباط** : إذا قرأت القرآن بماذا تدعو فقال بماذا أدعو! أستغفر الله عـــز وجل من تقصيرى سبعين مرة . " فإذا رأى نفسه بصورة التقصير فى القراءة كـــان رؤيته سبب قربه فإن من شهد البعد فى القرب لطف به فى الخوف حتـــى يســـوقه الخوف إلى درجة أخرى فى القرب ورآها ومن شهد القرب فى البعد مكر به بالأمن الذى يفضيه إلى درجة أخرى فى البعد أسفل مما هو فيه ومهما كان مشاهدا نفســـه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يشـــاهد إلا الله تعالى فى قراءته كشف له سر الملكوت .

قال أبو سليمان الدارانى ﷺ : وعد ابن ثوبان أخا له أن يفطر عنـــده فأبطـــأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه أخوه من الغد فقال له : وعدتنى أنك تفطر عندى فأخلفت فقال : لولا ميعادى معك ما أخبرتك بالذى حبسنى عنك إنى لما صليت العتمة قلت : أوتر قبل أن أجيئك لأنى لا آمن ما يحدث من الموت فلما كنت فى الدعاء من الوتر

رفعت إلى روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة فما زلت أنظر إليها حتى أصبحت " ، وهذه المكاشفات لا تكون إلا بعد التبرى عن النفس وعدم الالتفات إليها وإلى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب أحوال المكاشف فحين يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تتكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا ، وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف ، وذلك بحسب أوصافه إذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب فى اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقارنها إذ يستحيل أن يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالى وكلام حنان متعطف لا يهمل[١] .

هذا : ونسلط الضوء على عدة أحاديث من الأحاديث النبوية فى بيان فضل القرآن وتعلمه وتعليمه وأثره فى الدنيا والآخرة .

نص الحديث الأول

روى البخارى بسنده عن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال : " مثل الذى يقرأ القرآن كالأترجة ، طعمها طيب وريحها طيب ، والذى لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ، طعمها مر ولا ريح لها " ________ . كما أخرجه البخارى فى باب إثم من راءى بقراءة القرآن ، أو تأكل به أو فجر به ، ما نصه : " المؤمن الذى يقرأ القرآن

---

(١) إحياء علوم الدين ، للإمام الغزالى ، صـ - بتصرف .

ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والمؤمن الذى لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كالحنظلة ، طعمها مر أو خبيث وريحها مر " ـــــــ .

وفى كتاب التوحيد ، باب قراءة الفاجر والمنافق ..إلخ ما نصه : " مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب ، وريحها طيب ، والذى لا يقرأ كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها[1] " .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

التعريف براوى الحديث : هو الصحابى الجليل عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن عتر بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر أبو موسى الأشعرى . **قيل :** إنه قدم مكة قبل الهجرة فأسلم ثم هاجر إلى أرض الحبشة ثم قدم المدينة مع أصحاب السفينتين بعد فتح خيبر . **وقيل :** بل خرج من بلاد قومه فى سفينة فألقتهم الريح بأرض الحبشة فوافقوا بها جعفر بن أبى طالب فأقاموا عنده ورافقوه إلى المدينة وهذا أصح . واستعمله النبى ﷺ على زبيد وعدن ، واستعمله عمر على الكوفة ، قال فيه رسول الله ﷺ " لقد أوتى

---

(١) أخرجه البخارى كتاب فضائل القرآن ، باب فضل القرآن على سائر الكلام ٩/٦٦ فتح البارى و ١٣/٥٦٢ عمدة القارئ ، وباب إثم من راءى ......إلخ ٩/١٠٠ وعمدة القارئ ١٣/ ٥٩٥ . وكتاب التوحيد باب قراءة الفاجر والمنافق فتح البارى ١٣/٥٣٥ ، وعمدة القارئ ١٦/٧٣٤ . كما أخرجه مسلم فى الصلاة ، وأبوب داود فى الأدب ، والترمذى فى الأمثال ، والنسائى فى الوليمة وغيرهم .

مزمارا من مزامير آل داود . ومناقبه كثيرة جمه .(٢٠١)

قوله " مثل الذى يقرأ القرآن .. إلخ " قال البدر العينى : اعلم أن هذا التشبيه والتمثيل فى الحقيقة وصف اشتمل على معنى معقول صرف لا يبرزه عن مكنونه إلا تصويره بالمحسوس المشاهد ، ثم إن كلام الله المجيد له تأثير فى باطن العبد وظاهره ، وإن العباد متفاوتون فى ذلك ، فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير وهو المؤمن القارئ ، ومنهم من لا نصيب له ألبتة وهو المنافق الحقيقى ، ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه وهو المرائى أو بالعكس وهو المؤمن الذى لم يقرأه ، وإبراز هذه المعانى وتصويرها فى المحسوسات ما هو مذكور فى الحديث ، ولم يجد ما يوافقها ويلائمها أقرب ولا أحسن ولا أجمع من ذلك لأن المشبهات والمشبه بها واردة على التقسيم الحاصر ، لأن الناس إما مؤمن أو غير مؤمن ، والثانى إما منافق صرف أو ملحق به ، والأول إما مواظب عليها ، فعلى هذا قس الأثمار المشبه بها ووجه التشبيه فى المذكورات مركب منتزع من أمرين محسوسين: طعم وريح ، وقد ضرب النبى ﷺ المثل بما تنبته الأرض ويخرجه الشجر للمشابهة التى بينها وبين الأعمال فإنها من ثمرات النفوس ، فخص ما يخرجه الشجر من الأترجة والتمر بالمؤمن ، وبما تنبته الأرض من الحنظلة والريحانة بالمنافق تنبيها على علو شأن المؤمن وارتفاع عمله ودوام ذلك ، وتوفيقا على ضعة شأن المنافق ، وإحباط عمله وقلة جدواه **وقوله** " مثل الذى يقرأ القرآن " فيه إثبات القراءة على صيغة المضارع ، **وفى قوله** " لا يقرأ " بالنفى ليس المراد منها حصولها مرة ونفيها بالكلية بل المراد منها الاستمرار والدوام عليها . قوله " كالأترجة " بضم الهمزة وسكون التاء ، وضم الراء وتشديد الجيم وقد تخفف ،

---

(١) تهذيب الكمال ٤١/١٥ .

(٢) تهذيب التهذيب ٣٢٠/٥ .

ويروى اترنجة بالنون الساكنة بعد راء ، **وقيل فيها** : ترنجة وترنج وترج . ووجـه التشبيه بالأترجة لأنها كما قيل : أفضل ما يوجد من الثمار فـي سـائر البلـدان ، وأجدى لأسباب كثيرة جامعة للصفات المطلوبة منها ، والخواص الموجودة فيها فمن ذلك : كبر حجمها ، وحسن منظرها ، وطيب مطعمها ، ولين ملمسها تأخذ الأبصـار صبغة ولونا فاقع لونها تسر الناظرين تتوق إليها النفس قبل التناول ، تفيد آكلها بعـد الالتذاذ بذوقها طيب نكهة ودباغ معدة وهضم واشتراك الحـواس الأربـع البصـر والذوق والشم واللمس فى الاحتظاء بها ، ثم إن أجزاءها تنقسم على طبائع : قشـوها حار يابس ، ولحمها حار ورطب ، وحامضها بارد يابس وبرزها حـار مجفـف ، وفيها من المنافع ما هو مذكور فى الكتب الطبية .

قال الحافظ ابن حجر فى قوله " طعمها طيب وريحها طيب " **قيـل** : خـص صفة الإيمان بالطعم وصفة التلاوة بالريح لأن الإيمان ألزم للمؤمن مـن القـرآن إذ يمكن حصول الإيمان بدون القراءة ، وكذلك الطعم ألزم للجوهر من الريح فقد يذهب ريح الجوهر ويبقى طعمه ، **ثم قيل** : الحكمة فى تخصيص الأترجة بـالتمثيل دون غيرها من الفاكهة التى تجمع طيب الطعم والريح كالتفاحة لأنه يتداوى بقشرها وهـو مفرح بالخاصية ، ويستخرج من حبها دهن له منافع ، **وقيل** إن الجن لا تقرب البيت الذى فيه الأترج فناسب أن يمثل به القرآن الذى لا تقربه الشياطين وغـلاف حبـه أبيض فيناسب قلب المؤمن ، وفيها أيضا من المزايا كبر جرمها وحسـن منظرهـا وتفريح لونها ولين ملمسها ، وفى أكلها مع الالتذاذ طيب نكهة ودباغ معدة وجـودة هضم . ووقع فى الرواية الثانية " المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به " وهى زيـادة مفسرة للمراد وأن التمثيل وقع بالذى يقرأ القرآن ولا يخالف ما اشتمل عليه من أمـو ونهى لا مطلق التلاوة ، **فإن قيل** لو كان كذلك لكثر التقسيم **كأن يقال** الـذى يقـرأ ويعمل وعكسه والذى يعمل ولا يقرأ وعكسه ، والأقسام الأربعة ممكنة فـى غـير

المنافق وأما المنافق فليس له إلا قسمان فقط لأنه لا اعتبار بعمله إذا كان نفاقه نفاق كفر ، وكأن الجواب عن ذلك أن الذى حذف من التمثيل قسمان : الذى يقرأ ولا يعمل ، والذى لا يعمل ولا يقرأ ، وهما شبيهان بحال المنافق فيمكن تشبيه الأول بالريحانة ، والثانى بالحنظلة فاكتفى بذكر المنافق ، والقسمان الآخران قد ذكرا . **قوله** " ولا ريح فيها " وفى رواية " لها " . **قوله** " ومثل الفاجر الذى يقرأ " و " مثل المنافق كمثل الريحانة ريحها طيب ، وطعمها مر " واستشكلت هذه الرواية من جهة أن المرارة من أوصاف الطعوم فكيف يوصف بها الريح ؟ وأجيب بأن ريحها لما كان كريها استعير له وصف المرارة ، وأطلق الزركشى هنا أن هذه الرواية وهم ، وأن الصواب ما فى رواية هذا الباب "ولا ريح لها " **ثم قال** فى كتاب لما جاء فيه "ولا ريح لها " هذا أصوب من رواية الترمذى " طعمها مر وريحها مر " ثم ذكر توجيها وكأنه ما استحضر أنها فى هذا الكتاب وتكلم عليها فلذلك نسبها للترمذى [١،٢] كذا **قال الحافظ ابن حجر** ، كما أن البدر العينى لم يذكر فيها كلام .

وأقول : إن الحديث واضح فى هذه النقطة ولا يحتاج إلى غموض حيث إن النص فسر نفسه فالنص يقول " ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب، وطعمها مر " إذ المقصود بالطعم المر ليس الريح ، وإنما هى الريحانة الشجرة ذاتها فمن ذاق أغصانها أو ثمارها فهى مرة ، أما ريحها فواضح طيبة فكان تشبيه خروج التلاوة من فمه وهى حروف وكلمات خارجة مع الهواء أثناء التلاوة فهذه الأحرف والكلمات التى حملها الهواء من جوفه عطرت الهواء وعطرت الجو بطيبها حيث أنها كلام الله العلى وحيث أن المصدر التالى نفسه خبيث لم يتغير خبثه فلم يؤثر خبثه على طيب الحروف والكلمات بل الحروف والكلمات كان لها تأثير

---

(١) فتح البارى ٩/ ٦٧ .

(٢) عمدة القارئ ١٣/٥٦٣ .

عليه رغم أنفه بطيبها ، وهذا الحديث يعطينا حقيقة المؤمن فى علاقته بربه وعلاقته بالناس فهو متكامل مزين بزينة القرآن ، والمؤمن الذى لا يقرأ القرآن هو هادئ صامت لا يكاد يعرف حتى إذا عامله أحد الناس وجد فيه الخير الكثير ولذا كان حاله حال التمرة حيث إنها تشبه قطعة الخشب الصغيرة فى خشونتها ويبسها ولكن تفرق عن الخشب أن بها من بعض اللين الذى تستطيع مضغه الأسنان وبها من الحلاوة المركزة لمن استمر فى المضغ فهو فى حالته مكتشف يكتشفه ذو البصيرة أما المؤمن القارئ فهو معروف للأعمى والبصير حيث إن رائحته لا تخفى فإن اختفت فإن لونه لا يخفى فإن لم ير اللون فإن الطعم لا يختلف عليه أحد ، وليس لهذا الإشكال الذى خلقه الزركشى معنى يذكر والله أعلم .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- مكانة ومنزلة المؤمن الصادق الذى زانه إيمانه ، فكانت تلاوته للقرآن زيادة له فى المنزلة والرفعة فقد التقى نور القرآن مع نور الإيمان فكان نور على نور .

٢- ثم الحالة الأقل وهى نور الإيمان والذى لم يزين بتلاوة القرآن فلم يظهر أثره للناس بسهولة حيث إن عدم تلاوته قللت درجته ولكنه لم يعدم الخير ، وإن كان الحديث يصحح مساره ، ويطلبه أن يرقى بالتلاوة لتكمل درجته ولا يبقى على حاله فتذبل مع الأيام سريرته ، حيث إن القرآن يزين صاحبه ويزيد أجره .

٣- مكانة ذلك المنافق المدعى المتظاهر بالطاعة مع خبث باطنه وعدم طيب قلبه فيسمع الناس تلاوته فتعجبهم فإذا تعاملوا معه فى أى معاملات ظهر الجانب الخبيث فيه فكأنه وضع تلاوته وتظاهره قناع يصطاد به الأبرياء من الناس فإذا وقعوا فى براثنه ورأوا صدأ قلبه وفجور نفسه هربوا فارين ولكل أفعاله وأقواله مخالفين ، فربما كان هو السبب فى بعدهم عن القرآن وسلوك أهل الإيمان لأنه خدعهم بهذا الطريق وهذا السبيل . **وقد صدق فيه المثل القائل** " أسمع كلامك

أصدقك ، أشوف أمورك أستعجب " ، **وصدق فيه القول المأثور** " وكم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه " .

٤- أما ذلك المنافق الذى لا يقرأ القرآن فإن حاله من الشر واضح من الطرفين فهيئته تدل عليه ، ولا فعل حسن يستتر به فهو لا يحتاج إلى عظيم برهان ليعرف فهو واضح للعيان ، ومن المعلوم أن هذا المنافق الذى لا ريح له أرحم على الناس من ذلك المنافق الذى أعياهم بمظهره مع سوء مخبره .

" فضل البكاء من خشية الله عند سماع القرآن "

الخشية هى : الخوف المقرون بإجلال وذلك للعلماء بالله تعالى قال الله تعالى: " **إنما يخشى الله من عباده العلماء** " [١].

والداعى للبكاء : إما أن يكون شوقا للقاء الله ، أو الخوف من عذابه أو تفكر فى صنعته ، أو لصدق ما وقع إليه من قول الحق عز وجل : قال تعالى : " **إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا * ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا** "[٢].

نص الحديث الثانى

عن ابن مسعود ﷺ **قال :** قال لى النبى ﷺ : " إقرأ علَى القرآن ، قلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : إنى أحب أن أسمعه من غيرى ، فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بكل على هؤلاء شهيدا} ، قال : حسبك الآن . فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان "[٣] .

---

(١) جزء اية من سورة فاطر .

(٢) أية من سورة الإسراء .

(٣) أخرجه البخارى كتاب التفسير ٢٥٠/٨ ، وكتاب فضائل القرآن ٩٣/٩ ، ٩٤ ، ٩٨ .

التعريف براوى الحديث : سوف يأتى .

المفردات :

١- **شهيد** : أى شاهد يشهد عليها بعلمها وهو نبيها .

٢- **هؤلاء** : جميع الكفار من الناس .

٣- **حسبك** : يكفيك ذلك .

٤- **تذرفان** : تسيل دموعهما .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

يخبرنا الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لــه : إقرأ على القرآن فقال له : أقرأ عليك وعليك أنزل " بتقدير همزة الاستفهام قبلـه : "أى أأقرأ عليك وعليك لا على غيرك أنزل ؟ " الجملة الحالية من ضمير المخاطب والرابط الواو ، فهم ابن مسعود ﷺ أنه ﷺ أمره بالقراءة ليتلذذ بقراءته لا ليختبر ضبطه فلذا سأل متعجبا وإلا فلا مقام للتعجب " قال : إنى أحب أن أسمعه من غيرى " لكونه أبلغ فى التفهم والتدبر ، لأن القلب حينئذ يخلص لتعقل المعانى والقارئ مشغول بضبطه لألفاظ القراءة وأدائها حقها ، ولأنه اعتاد سماعه من جبريل والعادة محبوبة بالطبع ولهذا كان عرض القرآن على الغير سنة .

قوله " فقرأت عليه سورة النساء " فيه رد على من قال ينبغى أن يقال السورة التى يذكر فيها كذا " حتى جئت " أى وصلت " إلى هذه الآية " وعطف على عطف بيان قوله " **فكيف** " أى فكيف حال الكفار " **إذا جئنا من كل أمة بشهيد** " يشهد عليها بعملها وهو نبيها " **وجئنا بك على هؤلاء** " أى الأشخاص المعنيين من الكفرة "**شهيدا**" وقيل أراد به أمته الكفار وقيل اليهود والنصارى ، وقيل كل كفار قريش وفيما يشهد به البلاغ أو الإيمان بالأقوال أو الأعمال . قال " حسبك " أى يكفيك ذلك

" الآن " فالتفت إليه " أى لأنظر الداعى إلى الأمر بالكف عن القراءة بعد الأمر بها .
قوله " فإذا عيناه تذرفان " أى تسيل دموعها يقال ذرف الدمع وذرفت العين دمعــــيا فلما كان الرسول ﷺ هو الشاهد وهو السامع بكى على المفرطين منـــهم ، **وقيــل :** بكى لعظم ما تضمنته الآية من هول المطلع وشدة الأمر ، " إذ يؤتى بالأنبياء شـهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب " ، **وقيل :** بكى فرحا بقبول شهادة أمته وتزكيته لـهم فى ذلك اليوم ، وقيل : بكاؤه عليهم لفرط رأفته وفريد شفقته حيث عز عليه عنتهم .

قال ابن النحوى فى شرح البخارى : روى عبد بن حميـــد فـــى تفســيره أن عبد الله بن مسعود لما قرأ هذه الآية قال ﷺ : من سره أن يقرأ القرآن غضا طريـا فليقرأ على قراءة ابن أم عبد .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- استحباب سماع القرآن من الآخرين فهو أدعى للفهم والتدبر ، لعــــدم اشـــتغاله بضبط الألفاظ وأدائها حقها .
٢- جواز قراءة الطالب على المعلم وعدم أنفة الفاضل من الأخذ عن المفضول .
٣- جواز أمر الآخرين بقطع القراءة إذا كان فى قطعها مصلحة .
٤- الحث على تدبر القرآن عند تلاوته أو سماعه حتى يكون له أثر فى النفس .
٥- فضيلة البكاء خشية من الله عز وجل عند سماع آياته مع التزام السكون وحســن الصمت وعدم الصراخ .
٦- بيان رأفة النبى وشفقة النبى ﷺ على الناس جميعا مؤمنهم وكافرهم ، وتمنـــى الرسول للجميع الهداية والتوفيق والبعد عن النيران والتكذيب " يوم لا ينفع مــال ولا بنون " ، " ويوم يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بـــهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا " .

نص الحديث الثالث

روى البخارى بسنده عن عائشة ﵂ قالت : " قال رسول الله ﷺ " الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران " .

وفى رواية أخرى : " قوله ﷺ مثل الذى يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام ، ومثل الذى يقرأه ويتعاهده وهو عليه شديد فله أجران "[(١)] .

التعريف براوية الحديث : سوف يأتى .

المفردات :

١- **الماهر بالقرآن ، قال النووى :** الماهر الحاذق الكامل الحفظ الذى لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة لجودة حفظه وإتقانه .

٢- **السفرة :** جمع سافر ككاتب وكتبه ، والسافر : الرسول ، والسفرة : الرسل لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله ، **وقيل السفرة :** الكتبة .

٣- **الكرام :** جمع كريم أى المكرمين على الله المقربين عنده لعصمتهم ونزاهتهم عن دنس المعصية والمخالفة .

٤- **البررة :** جمع البار ، وهم المطيعون . **من البر :** وهو الطاعة .

٥- **يتتعتع فيه :** يتردد فى تلاوته لضعف حفظه وضعف ضبطه .

٦- **شاق :** أى يصيبه شدة ومشقة .

٧- **أجران :** أى جزاءان .

---

(١) أخرجه البخارى (فتح البارى) كتاب التفسير ، باب سورة " إذا الشمس كورت " ٦٩٣/٨ . وعمدة القارى ، ٦٤/١٣ ؛ وأخرجه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ٨٤/٦، ٨٥ ، وأخرجه الترمذى (تحفة الأحوذى) كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء فى فضائل قارئى القرآن ١٨٢/٨ كلهم عن عائشة . كما رواه غيرهم من أصحاب الكتب .

" المعنى العام للحديث وبيان ما يستفاد "

يخبرنا نبينا وحبيبنا محمد ﷺ عن أجر وجزاء من يكون سباقا فى تلاوة القرآن بلسانه ، مصدقا به بجنانه ، معايشا له فى سلوكه ووجدانه ، ماهرا فى ذلك فهو محترف فى تلاوته بالأحكام الكاملة مجملا صوته ، محسنا مخارجه ، قائما بأحكامه غير مقصر فيها " مع السفرة الكرام البررة " أى مع الملائكة الكرام السفراء بين السماء والأرض ، فهو فى درجتهم ، وفى معيتهم فلا يقربه شيطان ، ولا يكون له عليه سلطان ، مستجاب الدعاء ، موفور الجزاء مقبول منه كل رجاء ، فهو فى الدنيا فى حراستهم وحوزتهم ، وفى الآخرة له منازل كمنازلهم ودرجات كدرجاتهم ، حيث قال قد تخلق بأخلاق القرآن ، وطبق تعاليمه من إيمان وإحسان ، "والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران " والذى يقرأ القرآن مجتهدا فى تلاوته ولكنه يخطئ فى بعض الحروف والكلمات غير قاصد لذلك ولا متعمده ، ولكن لعدم خبرته بالتلاوة ، أو لعدم وجود معلم له ، والقرآن يؤخذ بالتلقى عن حافظ دارس لأحكامه، ولكن هذا الشخص لم تتوفر لديه فرصة التلاوة على يد هذا العالم الدارس بظروف فيه من حيث طلب العيش وضرورة البحث عن الرزق ، وضيق ذات اليد ، وعدم توفر الوقت ، حيث إنه ينتهى مثلا من وقته وقد غاب النهار فمن ذا الذى يجالسه أو يفرغ له ، وهو يريد أن يتبرك ببعض التلاوة لأخذ الأجر والثواب ، وتذكرا بعهد الله وميثاقه " له أجران " أجر التلاوة التى يتلوها ، وأجر المشقة التى وقع فيها – هذا رأى – وهو الظاهر للحديث .

والرأى الحديث : وهو أن هذا الشخص يحسن التلاوة والأحكام ولكنه لا يحسن تطبيق ما يعلم من أوامر القرآن لضعف نفسه وميلها إلى الآثام ، أو لتسلط الشيطان عليه فى بعض الأوقات ، أو لضعف همته فى بعده عن المحرمات فهو يحاول الهروب من المعصية فيشق ذلك عليه فهو فى منازعة دائمة بين داعى القرآن

وداعى الشيطان فيغلب مرة ويغلب أخرى فمثلا : هو لا يريد أن ينظر إلى امـــرأة حيث إنه مطلوب منه أن يغض بصره ، ولكنه لكثرة السائرات فى الطريق بالملابس الفاتنة والأجسام العارية مرة يغض ، ومرة يلتفت ، مرة يغلب شيطانه ومرة يغلبـه شيطانه بمساعدة تلك الشيطانة التى لم تراعى لله حرمة ولا للمسلمين عهدا ولا ذمـة فمثله نقول له حاول الاستمرار فى غض البصر أكبر قدر فإنك مأجور على ذلـك ، وإذا غولبت فى دفعك لنفسك بين أن تنظر أولا تنظر فلك أجران أجـر لمحـاولتك للالتزام ، وأجر لما قمت به من التزام فعلا ، فدوام على المحاولة فالمسألة مسـألة تمرين على فعل الشئ فمثلا : ليس هناك من إنسان أمسك القلم وهو وصغير فكتـب مباشرة الحروف والكلمات ، ولكنه كم قصف من أقلام حتى تمكن من ذلك ، وكذلـك فليس هناك من إنسان ولد ثم مشى دون أن يتعلم الجلوس أولا ثم كيف يحبو ثم كـم محاولة قام بها من أجل أن يقف على رجلين ثم كيف كانت خطوته الأولى ، وبعـد كم من الوقوع على الأرض حصل على تلك الخطوة ، ثم بعد ذلـك إذ هـو يسـير ويجرى ويلعب بل ربما كان أفضل عداء فى العالم ، فلو قال فى أول أمره لا حاجـة لى فالقيام والمشى حيث قد حاولت مرة فلم أستطع لظل قعيد الفراش ، فاقدا لكل مـا فى المشى من إحساس ، ولذا يقول حبيبنا ﷺ " إنما العلم بـالتعلم ، وإنمـا الحلـم بالتحلم " وهذا رأيى الذى أميل إليه لأنه : كم من منافق يتلو القرآن بصوت جميـل مع إتمام لكل أحكام التلاوة مع أنه أخل به تطبيقا وتصديقـا فمـا قـرأه فـى واد ، وأعماله الطالحة فى واد آخر ، فكم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه .

هذا : وليس هناك للفريقين من عذر فلقد أصبح تداول شرائط الكاسيت التـى بها القرآن الكريم وبأصوات أعظم القراء موجود فى الأسواق وتباع بأثمان زهيـدة فى مقابل الشرائط التى تباع مصدرة الأغانى الهابطة ففى اسـتطاعة أى إنسـان أن يجلس فى أى وقت يحب ويفتح التسجيل على الآيات والسور التى يريـد سـماعها

فيسمعها مرة ومرة وهو ممسك بمصحفه حتى إذا قرأه بعد ذلك قرأ قراءة صحيحة لا لبس فيها ولا غموض .

ونقول للمتتعتع فى العمل والتخلق بأخلاق القرآن عليك بصحبة الأخيار من الناس ففى صحبتهم خير لك وحماية من الانزلاق فى الشهوات فخير الأصحاب من إذا ذكرت الله أعانك وإذا نسيته ذكرك ، وشر الأصحاب من إذا ذكرت الله لم يعنك، وإذا نسيته لم يذكرك .

كما أنه ليس معنى الحديث أن الذى يتتعتع عليه القرآن له من الأجر أكثر من الماهر به ، بل الماهر أفضل وأكثر أجرا لأنه مع السفرة فله أجور كثيرة ، فكيف يلحق به من لم يعتن بكتاب الله تعالى وحفظه وإتقانه وكثرة تلاوته ودرايته كاعتنائه حتى مهر فيه .

ولذا فإن مما يرشد إليه الحديث :

١- الحرص على الوصول إلى أعلى لتفوق فى تلاوة القرآن والعمل به ، حيث إنها الدرجة العليا والمنزلة العظمى حيث درجة السفرة الكرام البرره .

٢- إن هناك من المسلمين من يبلغ درجة الملائكة المقربين .

٣- إن أفضل ما يتقرب به المتقربون ، ويتعبد به المتعبدون هو تلاوة القرآن وتدبره ومدراسته وتطبيق ذلك أخلاقا وسلوكا فقد سئلت السيدة عائشة رواية هذا الحديث عن خلقه ﷺ قالت : " كان خلقه القرآن " ، وفى الرواية " كان قرآنا يمشى بين الناس " ولما امتدحه الله لكمال خلقه قال له " وإنك لعلى خلق عظيم ".

٤- لا يحرم المجتهد والمحاول من شرف اجتهاده ومحاولته فإن الإسلام يراعى ذلك حيث جعل الأجر أجران أجر العمل وأجر التعب الذى وقع فى العمل ، ولم

يكافئ على العمل وحده ، وأهدر طاقة المحاولة كما نصنع نحن فى حياتنا حيث نلتفت إلى ما وقع من عمل قام به الشخص فعلاً فنعطيه ولا نلتفت إلى ما أصابه فيه ، ولكن الله العظيم يعطى أجرين وليس أجراً كما نصنع ويصنع الناس ، وهذا هو الفضل وهذا هو عين الكرم .

٥- وفى الحديث تنبيه وحث تنبيه لكل من تاقت نفسه للكمال إلى أن أسبابه ووسائله موجودة ومتوفرة وقريبة فهذا هو القرآن موجودٌ فأين الماهر الذى يريد أن يمهر به ؟

ولما كان الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة كان مقدماً من قبل الله ومن قبل رسوله فى إمامة الناس ومن أمَّ فى الصلاة وجب أن يؤمَّ فى أمور الحياة ، وهذا الحديث الذى معنا يبين منزلة ذلك عند الله وعند رسوله .

نص الحديث الرابع

عن أبى مسعود عقبة بن عامر البدرى الأنصارى ﷺ قال : قال ﷺ " يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا فى الهجرة سواء فأقدمهم سناً ، ولا يؤُمَّنَّ الرجل فى سلطانه ولا يقعد فى بيته على تَكْرِمَتِهِ إلا بإذنه "[1] .

المفردات :

١- **يؤم القوم أقرؤهم** : أى أكثرهم قراءة .

٢- **لكتاب الله** : جملة خبرية لفظاً طلبية معنى : أى ليؤمهم .

٣- **سلطانه** : محل ولايته أو الموضع الذى يختص به فى عمله أو مسكنه .

٤- **تكرمته** : بفتح الحاء وكسر الراء وهو ما ينفرد به من فراش وسرير ونحوهما.

---

(١) أخرجه مسلم ، " كتاب المساجد " ، " باب من أحق بالإمامة " ، ١/٤٦٥ .

" المعنى العام وبيان ما يستفاد "

عن أبى مسعود عقبة بن عامر البدرى نسب إليها كونه سكن بدرا ولم يشـهدها مع النبى ﷺ قال " قال رسول الله ﷺ " يؤم القـوم أقرؤهـم ... الحديـث " . أى أكثرهم قراءة لكتاب الله ومعرفة به ، فإن كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة .

قال القرطبى : تأول أصحاب الحديث بأن الأقرأ فى الصدر الأول هو الأفقـه لأنهم كانوا يتفقهون فلا يوجد قارئ إلا وهو فقيه ، وكان من عرفهم تسمية الفقـهاء بالقراء، وقد قدم الإمام الشافعى ومالك رحمهما الله الأفقه على الأقـرأ لأن حاجـة الصلاة إلى الأفقه أتم منها إلى الأقرأ .

وقال القرطبى : السنة هى أحاديث السنن عن النبى ﷺ وفى قوله ﷺ " يـؤم القوم أقرؤهم " حجة لمنع إمامة المرأة للرجال ، لأن القوم هم الرجال ، حيث إن بهم يقوم الأمر . **قوله :** " فإن كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرة " أى إذا كانوا علـى دراية جميعا بسنة المصطفى ﷺ فأقدمهم هجرة إلى دار الإسلام أو إلى النبـى ﷺ ويراعى ذلك فى أولادهم ، فأولاد الأقدم هجرة مقدمين على غـيرهم ممـن كـانت هجرتهم متأخرة على هجرة آبائهم ، وفيه فضل الهجرة الأولى إن انقطعت ففضيلتها باقية . **قوله :** " فإن كانوا فى الهجرة سواء فأقدمهم سنا " أى فـى الإسـلام فيقـدم الشاب القديم المدة فى الإسلام على الشيخ الكبير الحديث إسلامه ، وهـذه لفضيلـة السبق إلى الإسلام . **قوله :** " ولا يؤمن الرجل الرجل فى سلطانه " فرب الدار مقدم على الضيف والمعير على المستعير والسيد على عبده غير المكاتب .

وقوله : " ولا يقعد فى بيته على تكرمته " أى على الوسادة . ووجه المنع مـن هذا ما فيه التصرف فى حق الغير بغير إذن ، وإذا منع من التكرمة بغير الإذن مـع التساهل معها والتخفيف فيها فالمنع من باقى حقوق الغير بغير إذنه أولى .

ولذا فمما يرشد إليه الحديث الآتى :

١- أن الأحق بالإمامة هو الأقرأ لكتاب الله لكرامته ومنزلته لما يحمل فى صدره من القرآن الكريم ، فإن استووا فى القراءة فالأعلم بالسنة فإن استووا فالأقدم هجرة ، فإن استووا فالأكبر سنا .

٢- إن صاحب البيت والمجلس وإمام المسجد أحق بالإمامة من غيره ما لم يأذن واحد منهم .

٣- بيان فضيلة الهجرة وفضيلة السبق إلا الإسلام .

٤- فى قوله ﷺ " يؤم القوم " حجة لمنع إمامة المرأة للرجال لأن لفظ القوم خاص بالرجال ، أما إمامة المرأة للمرأة فلا حرج فيه ، وتأخذ من الأجر ما يأخذه الرجال فى ثواب الجماعة .

ولما كانت درجة ومكانة حافظ القرآن فى الصلاة هكذا نوضح من حديث المصطفى ﷺ بيان مكانة صاحب القرآن أيضا ومنزلته عند الله وعند الناس .

نص الحديث الخامس

روى البخارى بسنده عن عثمان بن عفان ﷺ عن النبى ﷺ قال : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " .

وعنه بسنده عن عثمان ﷺ قال : " قال النبى ﷺ إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه "(١) .

التعريف بالصحابى : هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى ، أبو عمروا ، وأبو عبد الله ، ويقال : أبو ليلى ، أمير المؤمنين ، ذو النورين ﷺ مناقبه كثيرة لا تحصيها المجلدات فهو أحد السابقين الأولين ، والخلفاء الأربعة والعشرة المبشرين بالجنة(٢)(٣) .

---

(١) أخرجه البخارى " كتاب فضائل القرآن " ٩/٧٤ . (٢) تهذيب الكمال ١٩/٤٤٥ . (٣) تهذيب التهذيب ٧/١٢٤ .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

قوله : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " وفى رواية " أو علمه " وأو للتنويع وليست للشك . وفى مسند أحمد بزيادة " إن " فى أوله " مع " أعلمه " وكذا أخرجه الترمذى من حديث " على " وهى أظهر من حيث المعنى لأن التى بأو تقتضى إثبات الخبرية المذكورة لمن فعل أحد الأمرين فيلزم أن من تعلم القرآن ولو لم يعلمه غيره أن يكون خيرا ممن عمل بما فيه من غير أن يتعلمه ولم يعلمه غيره ، لأنا نقول يحتمل أن يكون المراد بالخيرية من جهة حصول التعليم بعد العلم ، والذى يعلم غيره يحصل له النفع المتعدى بخلاف من يعمل فقط ، بل من أشرف العمل تعليم الغير ، فمعلم غيره يستلزم أن يكون تعلمه ، وتعليمه لغيره عمل وتحصيل نفع متعد ولا يقال لو كان المعنى حصول النفع المتعدى لاشترك كل من علم غيره علما ما فى ذلك ، لأنا نقول القرآن أشرف العلوم فيكون من تعلمه وعلمه لغيره أشرف ممن تعلم غير القرآن وإن علمه فيثبت المدعى . ولا شك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه وغيره جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدى ولهذا كان أفضل وهو من جملة من عنى سبحانه وتعالى بقوله " ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين "(١) ، والدعاء إلى الله يقع بأمور شتى من جملتها تعليم القرآن وهو أشرف الجميع ، وعكسه الكافر المانع لغيره من الإسلام كما قال تعالى " فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها "(٢) . **فإن قيل :** فليزم على هذا أن يكون المقرئ أفضل من الفقيه ، **قلنا :** لا ، لأن المخاطبين بذلك كانوا فقهاء النفوس لأنهم كانوا أهل اللسان فكانوا يدرون معانى القرآن بالسليقة أكثر مما يدريها من بعدهم بالاكتساب ، فكان الفقه لهم سجية ، فمن كان فى مثل شأنهم شاركهم فى

---

(١) آية من سورة فصلت .

(٢) جزء آية من سورة الأنعام .

ذلك ، لا من كان قارئا أو مقرئا محضا لا يفهم شيئا من معانى ما يقرؤه أو يقرئه ، **فإن قيل :** فيلزم أن يكون المقرئ أفضل ممن هو أعظم غناء فى الإسلام بالمجاهدة والرباط والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مثلا ، قلنا حرف المسألة يدور على النفع المتعدى ، فمن كان حصوله عنده أكثر كان أفضل ، فلعل " من " مضمرة فى الخبر ، ولابد مع ذلك من مراعاة الإخلاص فى كل صنف منهم ويحتمل أن تكون الخيرية وإن أطلقت لكنها مقيدة بناس مخصوصين خوطبوا بذلك ، كان اللائق بحالهم ذلك ، أو المراد خير المتعلمين من يعلم غيره لا من يقتصر على نفسه ، أو المراد مراعاة الحيثية لأن القرآن خير الكلام فمتعلمه خير من متعلم غيره بالنسبة إلى خيرية القرآن ، وكيفما كان فهو مخصوص بمن علم وتعلم بحيث يكون قد علم ما يجب عليه عينا .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- الحث على تعلم القرآن حيث إن من يفعل ذلك خير الناس .

٢- حث من تعلم القرآن على تعليمه للناس فهو دعوة الخلق إلى مائدة الحق الذى دعا به وله رسولنا ﷺ وقام بها بعده أصحابه ، فمن قام بها فكأنما شارك فى حمل النبوة والرسالة حيث يقول الحق " ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا".

٣- بيان أن الناس درجات وأفضلهم من تعلم القرآن وعمله .

ولما كانت هذه منزلة القرآن ومنزلة من حفظ القرآن ومن قام بالقرآن حذرنا رسول الله ﷺ من نسيانه وأمرنا بتعاهده بالتلاوة الدائمة ، حيث إنها شفاء من كل داء وبها العز والبهاء فى الدنيا والآخرة .

نص الحديث السادس

عن أبى موسى الأشعرى ﷺ **عن النبى** ﷺ **قال :** " تعاهدوا هذا القرآن فــو الذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل فى عقلها "(١) .

نص الحديث السابع

عن عبد الله بن عمر ﷺ **قال :** قال رسول الله ﷺ إنما مثل صاحب القــرآن كمثل صاحب الإبل المعلقة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت "(٢) .

مفردات الحديثين :

١- **تعاهدوا هذا القرآن :** واظبوا على تلاوته .

٢- **تفلتا :** تخلصا .

٣- **فى عقلها :** جمع عقال وهو حبل يشد به البعير فى وسط الذراع .

٤- **المعلقة بضم الميم وفتح العين والقاف المشددة :** أى الإبل المشدودة بالعقـــال والعقال هو الحبل الذى تشد به ركبة البعير .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

الحديث الأول : كانت ليلة عظيمة القدر حين نزل القرآن على رسول الله ﷺ محمد بن عبد الله نزل نورا يضئ ليل البشرية بعد أن تخبطت طويلا فى حالك ظلامه فأخرجها من الظلمات إلى النور ، وهداها إلى الطريق المستقيم ورفع عنها إصرها والأغلال التى كانت عليها ، ونقلها من الشرك إلى التوحيد ومن الجهل إلى

---

(١) أخرجه البخارى " كتاب فضائل القرآن " ، "باب استذكار القرآن وتعاهده " ٧٩/٩ ، وأخرجه مسلم " كتاب صلاة المسافرين " ، " باب فضائل القرآن " ٥٤٥/١ واللفظ له . وغيرهم

(٢) أخرجه البخارى " كتاب فضائل القرآن " ، " باب استذكار القرآن " ٧٩/٩ ، وأخرجه مسلم " كتاب صلاة المسافرين " ، " باب فضائل القرآن " ٥٤٣/١ . وغيرهم

العلم ، ومن الظلم إلى العدل ، ومن الذل إلى العز ، ومن الفوضى إلى النظام ، بل لم تلبث الجن حين سمعته أن قالت " إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا " .

وقد بلغه رسول الله ﷺ كما أمره ربه " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك " ، ورتله كما أمره ربه " ورتل القرآن ترتيلا " ، وقام به الليل " ومن الليل فتهجد به نافلة لك " وحكم به بين الناس كما أمره ربه " إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله " .

وقد كان الرسول ﷺ فى حياته تطبيقا عمليا لأوامر القرآن الكريم ومنتهيا بنهيه فقد أقام حياته على منهاج القرآن الكريم فقد سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ فقالت " كان خلقه القرآن " ، وقد كان الصحابة كذلك يتعلمون العشر من الآيات لا يتجاوزونها حتى يعملوا بما فيها فيتعلمون العلم والعمل معا .

وقد دعا النبى ﷺ إلى تعلم القرآن وتعليمه فقال عليه أفضل الصلاة والسلام " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " وجعل حفظه نعمة تدعوا إلى غبطة صاحبها والتنافس فى تحصيلها فقال " لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار " .

ولا تدوم هذه النعمة على صاحبها إلا بتعهدها ورعايتها وتجديد العهد بها وذلك يكون بملازمة تلاوته وحفظه والتزامه بقراءته والمداومة على هذه القراءة ، أما إذا أهمل التلاوة انفلت منه القرآن كما ينفلت البعير من صاحبه بعدما أطلق عقاله وخص الإبل فى الحديث بالذكر لأنها الحيوان الإنسى الأشد نفورا وفى تحصيلها وإرجاعها بعد نفارها صعوبة شديدة .

والحديث الثانى : " إنما مثل صاحب القرآن " أى الحافظ له عن ظهر قلب إنما صفته العجيبة الشأن " كمثل صاحب الإبل المعلقة " بضم الميم وفتح العين أى المربوطة بالعقال وبين وجه الشبه بقوله " إن عاهد عليها " أى بالربط " أمسكها " أى استمر إمساكه لها " وإن أطلقها بفك العقال عنها " ذهبت " وكذا صاحب القرآن إن داوم على تعهده بالتلاوة قر وإن ترك فر من حفظه ولا يقدر على عوده إلا بعد غاية الكلفة والمشقة ولا ينافى تشبيه صاحب القرآن بصاحب الإبل ما مر من تشبيه القرآن بالإبل لأنه كما يشبه القرآن بالإبل يشبه صاحبه بصاحبها فى احتياج كل إلى تعهد ما عنده حتى لا يفقده .

هذا : وينبغى لقارئ القرآن أن يكون على وضوء مستعملا الأدب لأن ذلك أفضل الذكر وإن كانت القراءة للمحدث جائزة فى مكان نظيف طاهر مراعاة لجلال القراءة ويستحب الإسرار بالقراءة ولا بأس بالجهر بالقراءة فى بعض الأوقات لمقصود صحيح كإقاظ القلب وتجديد النشاط وانصراف السمع إلى القراءة وتعدى القراءة إلى السامعين واستجماع المشاعر للتفكير والنظر والتدبر أما إذا خشى على نفسه من النفاق فالإسرار أفضل أو خشى أن يكون الجهر بالقراءة فيه تشويش على المصلين وأن تكون قراءته ترتيلا وتدبرا قال ابن عباس ﷺ : لأن أقرأ البقرة وآل عمران وأرتلهما أحب إلى من أن أقرأ القرآن كله هزرمة " الهزرمة السرعة فى القراءة " وأن تكون قراءته ترتيلا يعطى الحروف حقها من المد والإدغام " .

قال تعالى " ورتل القرآن ترتيلا "[1] وعليه أن يقرأ بخشوع ووقار وسكينة وعليه أن يستاك قبل البدء فى القراءة ، وأن يتعوذ فى بدايتها لقوله تعالى " **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** "[2] وينبغى لقارئ القرآن أن يحافظ

---

(١) سورة المزمل الآية {٤} . (٢) سورة النحل ، الآية {٩٨} .

على البسملة فى بداية كل سورة سوى سورة براءة لأنها آية على الراجح ، وعليـــه أن يتدبر كلام الله سبحانه وتعالى لأنه المقصود من القراءة وأن يستوضح من كـــل آية ما يليق بها ويتفهم ذلك فإذا تلا قوله تعالى " **خلـــق الســـماوات والأرض** "(١) ، فليعلم عظمته سبحانه وتعالى فى كل ما يراه وغير ذلك من الآيات ، كما أنه إذا تـــلا أحوال المكذبين فليشعر بالخوف من السطوة إن غفل عن امتثال الأمر .

هذا : وقد ذكرنا فى هذا الموضوع سبعة أحاديث متنوعة الأهداف متنوعـــة المعانى وغيرها من أحاديث المصطفى ﷺ الكثير والكثير ويحمل فى طيـــه العلـــم الغزير ، وكتب الصحاح لمن أراد هى الزاد وهى الهداية ، ولكن ما مر من حديـــث يقع تحت قوله تعالى " وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين "(٢).

---

(١) سورة الأنعام آية رقم {١} .

(٢) سورة الذاريات ، الآية {٥٥} .

٢- ذكر الله عز وجل وأثره على الذاكر

من المعلوم أنه ليس هناك بعد تلاوة القرآن الكريم عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله تعالى ، ويدل على فضيلة الذكر كثير من الآيات القرآنية مثل قوله تعالى " **فاذكرونى أذكركم** "[١]، وقال تعالى " **اذكروا الله ذكرا كثيرا** "[٢] ، وقال تعالى " **فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم**"[٣] ، وقال عز وجل " **فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آبائكم أو أشد ذكرا** "[٤] ، وقال تعالى " **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم** "[٥] ، وقال تعالى " **فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم** "[٦] ، وقال عز من قائل " **واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين** "[٧] ، وقال تعالى " **ولذكر الله أكبر** "[٨] .

قال ثابت البنانى : إنى أعلم متى يذكرنى ربى عز وجل ففزعوا منه ، قالوا : كيف تعلم ذلك ؟ فقال : إذا ذكرته ذكرنى .

وقال ابن عباس فى قوله تعالى " فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم " أى بالليل والنهار فى البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية .

وفيما يلى نقوم بدراسة بعض الأحاديث القدسية والنبوية التى تبين فضل الذكر وأثره على المسلم فى علاقته بربه وعلاقته بدنياه وآخرته . **وهذا أول البدأ :**

---

(١) جزء آية من سورة البقرة .
(٢) جزء آية من سورة الأحزاب .
(٣) جزء اية من سورة البقرة .
(٤) جزء آية من سورة البقرة .
(٥) جزء آية من سورة آل عمران .
(٦) جزء آية من سورة النساء .
(٧) جزء اية من سورة الأعراف .
(٨) جزء آية من سورة العنكبوت .

نص الحـديث الأول

روى البخارى بسنده عن أبى هريرة ﷺ قال : قال النبى ﷺ يقول الله تعالى (أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ، ذكرتـــه فـــى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ، ذكرته فى ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلـــى بشـــبر ، تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلى ذراعا ، تقربت إليه باعا ، وإن أتانى يمشـــى ، أتيته هرولة) .

وفى رواية مسلم (أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه حين يذكرنى ، إن ذكرنى فى نفسه ، ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ، ذكرته فى ملأ هم خير منـــهم ، وإن تقرب منى شبرا ، تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلى ذراعا ، تقربت منه باعا، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة)(١) .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

يخبرنا حبيبنا ﷺ عن حال ربنا مع عباده حيث يذكر لنا حديثا قدسيا قالـــه الله لحبيبه ، وحبيبه يرويه لنا بلا زيادة ولا نقصان – وسوف أتحدث بشئ من التفصيـل عن الحديث القدسى والحديث النبوى والقرآن الكريم فى حديث سيأتى – يقول تعالى (أنا عند ظن عبدى بى) أى قادر على أن أعمل به ما ظن أنى عامل به .

قال الكرمانى : وفى السياق إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء علـــى الخـــوف وكأنه أخذه من جهة التسوية فإن العاقل إذا سمع ذلك لا يعدل إلى ظن إيقاع الوعيد ،

---

(١) أخرجه البخارى " كتاب التوحيد " ، باب قوله تعالى " ويحذركم الله نفسه " ، " فتح البارى ٣٨٤/١٣ ، وعمدة القارئ ٦٠١/١٦ " . وأخرجه مسلم " كتاب الذكر والدعاء والتوبة " ، " باب الحث على ذكر الله تعالى " ٢٠٦١/٤ عن أبى هريرة . وغيرهم

وهو جانب الخوف لأنه لا يختاره لنفسه بل يعدل إلى ظن وقوع الوعد وهو جـــانب الرجاء ، وهو كما قال أهل التحقيق مقيد بالمحتضر ويؤيد ذلك حديث : لا يموتـــن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ، وهو عند مسلم من حديث جابر ، وأما قبل ذلـــك ففى الأول أقوال ثالثها الاعتدال .

وقال ابن أبى جمرة : المراد بالظن هنا العلم وهو كقوله " وظنوا أن لا ملجـــأ من الله إلا إليه " .

وقال القرطبى فى المفهم : قيل معنى ظن عبدى بى ظن الإجابة عند الدعاء ، وظن القبول عند التوبة ، وظن المغفرة عند الاستغفار ، وظن المجازاة عنـــد فعـــل العبادة بشروطها تمسكا بصادق وعده ، قال ويؤيده قوله فى الحديث الآخر " ادعـــوا الله وأنتم موقنون بالإجابة " ، **قال :** ولذلك ينبغى للمرء أن يجتهد فى القيام بما عليـــه موقنا بأن الله يقبله ويغفر له لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد ، فـــإن اعتقـــد أو ظن أن الله لا يقبلها وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبـــائر ، ومن مات على ذلك وكل إلى ما ظن كما فى بعض طرق الحديث المذكور " فليظـــن بى عبدى ما شاء " ، **قال :** وأما ظن المغفرة مع الإصرار ، فذلك محـــض الجـــهل والغرة ، وهو يجر إلى مذهب المرجئة .

قوله " وأنا معه إذا ذكرنى " أى بعلمى وهو كقوله "إننى معكما أسمع وأرى"[١] والمعية المذكورة أخص من المعية التى فى قوله تعالى " **ما يكون من نجوى ثلاثـــة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معـــهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شئ عليم** "[٢] .

---

(١) جزء من آية فى سورة طه .   (٢) جزء من آية فى سورة المجادلة .

وقال ابن أبى جمرة : معناه فأنا معه حسب ما قصد من ذكره لى . قال : ثـم يحتمل أن يكون الذكر باللسان فقط أو بالقلب فقط أو بهما أو بامتثال الأمر واجتنـاب النهى ، وقال والذى يدل عليه الإخبار أن الذكر على نوعين : **أحدهمـا** - مقطـوع لصاحبه بما تضمنه هذا الخبر ، **والثانى** - على خطر ، **قال والأول يسـتفاد مـن قوله تعالى " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره " ، والثانى من الحديث الذى فيه "** من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا " لكن إن كان فى حـال المعصية بذكر الله بخوف ووجل مما هو فيه فإنه يرجى له . **قوله** " فإن ذكرنى فـى نفسه ذكرته فى نفسى " أى إن ذكرنى بالتنزيه والتقديـس سـرا ذكرتـه بـالثواب والرحمة سرا .

وقال ابن جمرة : يحتمل أن يكون مثل قوله تعالى " اذكرونى أذكركم " ومعناه اذكرونى بالتعظيم أذكركم بالإنعام ، وقال تعالى " ولذكر الله أكبر أى أكبر العبـادات فمن ذكره وهو خائف آمنه أو مستوحش آنسه[١] ، قال تعالى " **ألا بذكر الله تطمئـن القلوب** " . **وقال المازرى :** النفس تطلق فى اللغة على معان منها : الدم ومنها نفس الحيوان وهما مستحيلان فى حق الله تعالى ومنها الذات والله تعالى له ذات حقيقيـة ، وهو المراد بقوله تعالى " فى نفسى " ومنها الغيب ، وهو أحد الأقوال فى **قوله تعالى** " تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك " أى ما فى غيبى فيجوز أن يكون أيضـا مراد الحديث أى إذا ذكره خاليا أثابه الله وجازاه عما عمل بما لا يطلع عليه أحـد[٢]. **قوله** " وإن ذكرنى فى ملأ " **الملأ :** بفتح الميم واللام مهموز أى جماعة " ذكرته فى ملأ خير منهم " ، **قال بعض أهل العلم يستفاد منه :** أن الذكر الخفى أفضـل مـن الذكر الجهرى ، **والتقدير :** إن ذكرنى فى نفسه ذكرته بثواب لا أطلع عليه أحـدا ، وإن ذكرنى جهرا ذكرته بثواب اطلع عليه الملأ الأعلى .

---

(١) فتح البارى ١٣/ ٣٨٦ .   (٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٢/١٧ .

وقال ابن بطال : هذا نص فى أن الملائكة أفضل من بنى آدم وهو مذهب جمهور أهل العلم وعلى ذلك شواهد من القرآن مثل " إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين " ، والخالد أفضل من الفانى ، فالملائكة أفضل من بنى آدم ، وتعقب بأن المعروف عن جمهور أهل السنة أن صالحى بنى آدم أفضل من سائر الأجناس والذين ذهبوا إلى تفضيل الملائكة الفلاسفة ثم المعتزلة وقليل من أهل السنة من أهل التصوف وبعض أهل الظاهر ، فمنهم من فاضل بين الجنسين فقالوا : حقيقة الملك أفضل من حقيقة الإنسان ؛ لأنها نورانية وخيرة ولطيفة مع سعة العلم والقوة ، وصفاء الجوهر ، وهذا لا يستلزم تفضيل كل فرد على كل فرد لجواز أن يكون فى بعض الأناسى ما فى ذلك وزيادة ، ومنهم من خص الخلاف بصالحى البشر والملائكة ، ومنهم من خصه بالأنبياء ثم منهم من فضل الملائكة على غير الأنبياء ومنهم من فضلهم على الأنبياء أيضا إلا على سيدنا محمد ﷺ ، ومن أدلة تفضيل النبى على الملك أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم على سبيل التكريم له حتى قال إبليس " أرأيتك هذا الذى كرمت على " ومنها قوله تعالى " لما خلقت بيدى " لما فيه من الإشارة إلى العناية به ولم يثبت ذلك للملائكة ، ومنها قوله تعالى " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين " ، ومنها قوله تعالى " وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض " فدخل فى عمومه الملائكة ، والمسخر له أفضل من المسخر ولأن طاعة الملائكة بأصل الخلقة وطاعة البشر غالبا مع المجاهدة للنفس لما طبعت عليه من الشهوة والحرص والهوى والغضب ، فكانت عبادتهم أشق ، وأيضا فطاعة الملائكة بالأمر الوارد عليهم وطاعة البشر بالنص تارة وبالاجتهاد تارة أخرى والاستنباط تارة ، فكانت أشق ولأن الملائكة سلمت من وسوسة الشياطين وإلقاء الشبه والإغواء الجائزة على البشر ، ولأن الملائكة تشاهد حقائق الملكوت والبشر لا يعرفون ذلك إلا بالإعلام فلا يسلم منهم من إدخال الشبهة

من جهة تدبير الكواكب وحركة الأفلاك إلا الثابت على دينه ولا يتم ذلك إلا بمشـــقة شديدة ومجاهدات كثيرة .

وأما أدلة الآخرين فقد قيل : إن حديث الباب أقوى ما استدل به لذلك للتصريح بقوله فيه " في ملأ خير منهم " ، والمراد بهم الملائكة ، **حتى قال بعض الغلاة فـــي ذلك** : وكم من ذاكر لله في ملأ فيهم محمد ذكرهم الله في ملأ خير منهم ، **وأجــــاب** بعض أهل السنة بأن الخبر المذكور ليس نصا ولا صريحا في المراد بـــل يطرقـــه احتمال أن يكون المراد بالملأ الذين هم خير من الملأ الذاكر الأنبياء والشهداء فإنـــهم أحياء عند ربهم فلم ينحصر ذلك في الملائكة ، **وأجاب آخر وهو أقوى مـــن الأول بأن** : الخيرية إنما حصلت بالذاكر والملأ معا فالجانب الذي فيه رب العزة خيرا من الجانب الذي ليس هو فيه بلا ارتياب ، فالخيرية حصلت بالنســبة للمجمـــوع علـــى المجموع . **قال الحافظ ابن حجر** : وهذا الجواب ظهر لي وظننت أنه مبتكـــر ، ثـــم رأيته في كلام القاضي كمال الدين بن الزملكاني في الجزء الذي جمعه في الرفيــــق الأعلى ، **فقال** : إن الله قابل ذكر العبد في نفسه بذكره له في نفسه ، وقابل ذكر العبد في الملأ بذكره له في الملأ ، فإنما صار الذكر في الملأ الثاني خيرا من الذكر فــــي الأول لأن الله هو الذاكر فيهم والملأ الذين يذكرون والله فيهم أفضل من الملأ الذيـــن يذكرون وليس الله فيهم .

ومن أدلة **المعتزلة** : تقديم الملائكة في الذكر في قوله تعالى " **من كان عـــدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين** " ، وقوله تعالى " **شـــهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إلـــه إلا هـــو العزيـــز الحكيم** " ، وقوله تعالى " **الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس** " ، ورد عليهم بأن مجرد التقديم في الذكر لا يستلزم التفضيل ؛ لأنه لم ينحصر فيه ، بل له أســـباب

أخرى : كالتقديم بالزمان فى مثل قوله تعالى " **ومنك ومن نوح وإبراهيم** " ، فقدم نوحا على إبراهيم لتقدم زمان نوح مع أن إبراهيم أفضل ، ومنها قوله تعالى " **لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون** " ، وبالغ الزمخشرى فادعى أن دلالتها لهذا المطلوب قطعية بالنسبة لعلم المعانى ، فقال فى قوله تعالى " **ولا الملائكة المقربون** " أى ولا من هو أعلى قدرا من المسيح ، وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل وإسرافيل ، **قال** : ولا يقتضى علم المعانى غير هذا من حيث أن الكلام إنما سيق للرد على النصارى لغلوهم فى المسيح ، **فقيل لهم** : لن يترفع المسيح عن العبودية ولا من هو أرفع درجة منه ، **وأجيب** : بأن الترقى لا يستلزم التفضيل المتنازع فيه ، وإنما هو بحسب المقام ، وذلك أن كلا من الملائكة والمسيح عبد من دون الله ، فرد عليهم بأن المسيح الذى تشاهدونه لم يتكبر عن عبادة الله ، وكذلك من غاب منكم من الملائكة لا يتكبر ، والنفوس لما غاب عنها أهيب ممن تشاهده ، ولأن الصفات التى عبدوا المسيح لأجلها من الزهد فى الدنيا والإطلاع على المغيبات وإحياء الموتى بإذن الله موجودة فى الملائكة ، فإن كانت توجب عبادته فهى موجبة لعبادتهم بطريق الأولى ، وهم مع ذلك لا يستنكفون عن عبادة الله تعالى ، ولا يلزم من هذا الترقى ثبوت الأفضلية المتنازع فيها .

وقال البيضاوى : احتج بهذا العطف من زعم أن الملائكة أفضل من الأنبياء ، وقال هى مساقة للرد على النصارى فى رفع المسيح عن مقام العبودية ، وذلك يقتضى أن يكون المعطوف عليه أعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه ، وجوابه : أن الآية سيقت للرد على عبدة المسيح والملائكة ، فأريد بالعطف المبالغة باعتبار الكثرة دون التفضيل ، **كقول القائل** : أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وعلى تقدير إرادة التفضيل فغايته تفضيل المقربين

ممن حول العرش بل من هو أعلى رتبة منهم على المسيح ، وذلك لا يستلزم فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقا . **وقال الطيبى : لا تتم لهم الدلالة إلا إن سلم أن** الآية سيقت للرد على النصارى فقط فيصح : لن يترفع المسيح عن العبودية ولا من هو أرفع منه ، والذى يدعى ذلك يحتاج إلى إثبات أن النصارى تعتقد تفضيل الملائكة على المسيح ، وهم لا يعتقدون ذلك بل يعتقدون فيه الإلهية فلا يتم استدلال من استدل به ، قال وسياق الآية من أسلوب التتميم والمبالغة لا للترقى ، وذلك أنه قدم قوله " إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السماوات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا " . فقرر الوحدانية والمالكية والقدرة التامة ، ثم أتبعه بعدم الاستنكاف ، **فالتقدير** : لا يستحق من اتصف بذلك أن يستكبر عليه الذى تتخذونه أيها النصارى إلها لاعتقادكم فيه الكمال ولا الملائكة الذين اتخذها غيركم آلهة لاعتقادهم فيهم الكمال . **قال الحافظ ابن حجر قلت** : وقد ذكر ذلك البغوى ملخصا ، **ولفظه** : لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام عيسى بل ردا على الذين يدعون أن الملائكة آلهة فرد عليهم كما رد على النصارى الذين يدعون التثليث ، ومنها قوله تعالى " **قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك** " فنفى أن يكون ملكا ، فدل على أنهم أفضل ، وتعقب بأنه إنما نفى ذلك لكونهم طلبوا منه الخزائن وعلم الغيب ، وأن يكون بصفة الملك من ترك الأكل والشرب والجماع، وهو من نمط إنكارهم أن يرسل الله بشرا مثلهم فنفى عنه أنه ملك ، ولا يستلزم ذلك التفضيل ، ومنها أنه سبحانه لما وصف جبريل ومحمدا **قال فى جبريل " إنه لقول رسول كريم "** ، وقال فى حق ﷺ " **وما صاحبكم بمجنون** " ، وبين الوصفين بون شاسع ورد عليهم بأن ذلك إنما سيق للرد على من زعم أن الذى يأتيه شيطان ، فكان وصف جبريل بذلك تعظيما للنبى ﷺ ، فقد وصف النبى ﷺ فى غير هذا الموضع بمثل ما وصف به جبريل هنا وأعظم منه ، وقد أفرط الزمخشرى فى سوء الأدب

هنا ، وقال كلاما يستلزم تنقيص المقام المحمدى ، وبالغ الأئمة فى الرد عليـــه فـــى ذلك وهو من زلاته الشنيعة .

قوله " وإن تقرب إلى شبرا " ، **وفى رواية** " بشبر " ، **وفى رواية إســـماعيل** "منى" ، **وفى رواية الطيالسى** " إن تقرب منى عبدى " ، **والأصل هنا** الإتيان بمـــن ، لكن يفيد استعمال " إلى " بمعنى الانتهاء فهو أبلغ . **قوله** " تقربت إليه ذراعـــا ، وإذا تقرب إلى " وفى رواية " منى " . **قوله** " ذراعا تقربت منه باعا ، وإذا أتانى يمشـــى أتيته هرولة " . **قال ابن بطال :** وصف سبحانه نفسه بأنه يتقرب إلى عبده ووصـــف العبد بالتقرب إليه ووصفه بالإتيان والهرولة كل ذلك يحتمل الحقيقة والمجاز فحملـــها على الحقيقة يقتضى قطع المسافات وتدانى الأجسام وذلك فى حقـــه محـــال ، فلمـــا استحالت الحقيقة تعين المجاز لشهرته فى كلام العرب فيكون وصف العبد بـــالتقرب إليه شبرا وذراعا وإتيانه ومشيه معناه التقرب إليه بطاعته وأداء مفترضاته ونوافله ، ويكون تقربه سبحانه من عبده وإتيانه والمشى عبارة عن إثابته على طاعته وتقربـــه من رحمته ، ويكون قوله " أتيته هرولة " أى أتاه ثوابى مسرعا .

ونقل عن الطبرى : أنه إنما مثل القليل من الطاعة بالشبر منه والضعف مـــن الكرامة والثواب بالذراع فجعل ذلك دليلا على مبلغ كرامته لمن أدمن على طاعتـــه أن ثواب عمله له على عمله الضعف وإن الكرامة مجاوزة حده إلى مـــا يثيبـــه الله تعالى . **وقال ابن التين** : القرب هنا نظير ما تقدم فى قوله تعالى " فكان قاب قوسين أو أدنى " فإن المراد به قرب الرتبة وتوفير الكرامة " والهرولة " كناية عن ســـرعة الرحمة إليه ورضا الله عن العبد وتضعيف الأجر ، **قال :** والهرولة : ضـــرب مـــن المشى السريع وهى دون العدو .

وقال القاضى عياض : المراد بما جاء فى هذا الحديث سرعة قبول توبـــة الله للعبد أو تيسير طاعته وتقويته عليها وتمام هدايته وتوفيقه والله أعلم بمرداه .

وقال الراغب : قرب العبد من الله التخصيص بكثير الصفات التى يصح أن يوصف الله بها ، وإن لم تكن على الحد الذى يوصف به الله تعالى نحو الحكمة والعلم والحلم والرحمة وغيرها ، وذلك يحصل بإزالة القاذورات المعنوية من الجهل والطيش والغضب وغيرها بقدر طاقة البشر وهو قرب روحانى لا بدنى ، وهو المراد بقوله " إذا تقرب العبد منى شبرا تقربت منه ذراعا " . **وقال الخطابى :** البلع معروف وهو قدر مد اليدين . **وقال الباجى :** الباع طول ذراعى الإنسان وعضديه وعرض صدره وذلك قدر أربعة أذرع ، وهو من الدواب قدر خطوها فى المشى ، وهو ما بين قوائمها . **وقوله** "وإن أتانى يمشى أتيته هرولة" سبق فيها قول الخطابى.

وقال الكرمانى : لما قامت البراهين على استحالة هذه الأشياء فى حق الله تعالى وجب أن يكون المعنى : من تقرب إلى بطاعة قليلة جازيته بثواب كثير ، وكلما زاد فى الطاعة أزيد فى الثواب ، وإن كانت كيفية إتيانه بالطاعة بطريق التأنى يكون كيفية إتيانى بالثواب بطريق الإسراع ، **والحاصل :** أن الثواب راجح على العمل بطريق الكيف والكم ، ولفظ القرب والهرولة مجاز على سبيل المشاكلة أو الاستعارة أو إرادة لوازمها .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- إحسان الظن بالله فى كل صغيرة وكبيرة والاطمئنان على ما يقدره الرحمن ويقضى به فهو أحن علينا من أبينا وأمنا والخلق أجمعين .

٢- أن الله يكافئ العبد على ما يقدم من عمل مكافأة فوق ما يتوقعها العبد من الرب، حيث إن الله يجزى على صغير العمل كثير وكبير الثواب .

٣- تصوير الرحمن إقباله على عبده بصورة تقرب مدى فضله مع استحالة الفعل من جانب الرحمن حيث عبر كيف يمكن قربه فمن تقرب شبرا تقرب هو ذراعا

ومن تقرب ذراعاً تقرّب هو باعاً ، وأن من أتاه يمشي أقبل الله عليه مـــهرولاً ، والشرح والتفصيل قد مرّ من قريب .

هذا : ولما كان لذكر الله هذه المنزلة والمكانة ، كان لمجالس الذكـــر أيضـــاً أثرها وفضلها ، وهو ما يحدثنا عنه الحديث الآتي :

نـص الحــديث الثاني

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال ﷺ : " إن لله ملائكةً يطوفون فـــي الطُــرُقِ ، يلتمسونَ أهلَ الذكرِ . فإن وجدُوا قوماً يذكرون الله تنادوا : هَلُمُّوا إلـــي حـــاجتِكُمْ . قال : فيُحفُّونَهُمْ بأجنحتهم إلى السماء الدنيا . قال : فيسألُهُمْ ربُّهُمْ ، وهو أعلمُ منـــهمْ ما يقول عبادي ؟ قالوا : يقولون ، يُسبِّحُونَكَ ، ويُكبِّرُونكَ ، ويحمدُونك ، ويمجِّدونكَ . قال : فيقول : هل رأوني ؟ قال : فيقولونَ لا والله ما رأوكَ . قال : فيقولُ وكيف لو رأوني ؟ قال : يقولون ، لو رأوكَ كانوا أشدَّ لك عبادة وأشدَّ لك تمجيداً ، وأكثر لـــك تسبيحاً . قال : يقولُ فما يسألوني ؟ قال : يسئلونَكَ الجنَّة . قال : يقولُ وهل رأوها ؟ قال : يقولون لا والله يارب ما رأوها . قال : يقولُ فكيف لو أنهم رأوهـــا ؟ قـــال : يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرْصاً وأشدْ لها طلباً ، وأعظمَ فيها رغبـــة . قال : فَمِمَّ يتعوّذونَ ؟ قال : يقولون من النار . قال : يقولُ : وهل رأوهـــا . قـــال : يقولون لا والله ما رأوها . قال : يقول : وكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون لو رأوهـــا كانوا أشدَّ منها فراراً ، وأشدَّ لها مخافةً . قال : فيقول فأشهدُكم أني قد غفرتُ لـــهم . قال : يقول ملكٌ من الملائكة : فيهم فلانٌ ليس منهم ، إنما جاءَ لحاجةٍ . قال : هـــم الجُلساء لا يشقى بهم جليسُهُم "(١) .

---

(١) أخرجه البخاري " كتاب الدعوات " ، " باب فضل ذكر الله عز وجل " ٢٠٨/١١ .

نـص الحـــديث الـثالث

عن أبى موسى ﷺ قال : قال النبى ﷺ : مَثَلُ الذى يذكر ربه والذى لا يذكـرُ ربه مَثَلُ الحى والميت "(١) .

" المعنى العام للحـــديث الثانى "

المراد بالذكر هنا الإتيان بالألفاظ التى ورد الترغيب فى قولها والإكثار منـــها مثل الباقيات الصالحات وهى " سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكـــبر " ، وما يلتحق بها من الحوقلة والبسملة والحسبلة والاستغفار ونحو ذلك والدعاء بخيرى الدنيا والآخرة ، ويطلق ذكر الله أيضاً ويراد به المواظبة على العمـــل بمـــا أوجبـــه أو ندب إليه كتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة ، ثم الذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق ، ولا يشترط استحضاره لمعناه ولكن يشـــترط أن لا يقصد به غير معناه وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمـــل ، فـــإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفـــى النقائص عنه ازداد كمالاً ، فإن وقع ذلك فى عمل صالح مهما فرض مـــن صـــلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالاً ، فإن صحح التوجه وأخلص لله تعالى فى ذلك فـــهو أبلغ الكمال . **وقال الفخر الرازى** : المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التســـبيح والتحميد والتمجيد ، والذكر بالقلب التفكر فى أدلة الذات والصفات وفى أدلة التكاليف من الأمر والنهى حتى يطلع على أحكامها ، وفى أسرار مخلوقـــات الله ، والذكـــر بالجوارح هو أن تصير مستغرقة فى الطاعات ، ومن ثَمَّ سمى الله الصلاة ذكراً فقال " فاسعوا إلى ذكر الله " .

---

(١) أخرجه البخارى " كتاب الدعوات " ، " باب فضل ذكر الله عز وجل " ٢٠٨/١١ .

ونقل عن بعض العارفين قال " **الذكر على سبعة أنحـــاء** " : فذكـــر العينيـــن بالبكاء ، وذكر الأذنين بالإصغاء وذكر اللسان بالثناء ، وذكر اليدين بالعطاء ، وذكر البدن بالوفاء ، وذكر القلب بالخوف والرجاء ، وذكر الروح بالتسليم والرضاء .

هذا : وقد ورد فى فضل الذكر أحاديث كثيرة منها الحديث السابق ، ومنها ما أخرجه مسلم بسنده عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى أنهما شهدا على النبـــى ﷺ أنه قال : " لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمـــة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده " .

وما رواه بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال : خرج معاوية على حلقـــة فـــى المسجد ، فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله . قال : آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك . قال : أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم ، وما كان أحـد بمنزلتى من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثا منى ، وإن رسول الله ﷺ خـــرج علـــى حلقة من أصحابه فقال " ما أجلسكم ؟ " قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ، ومن به علينا قال " آلله ما أجلسكم إلا ذاك ؟ قـــالوا : والله مـــا أجلسـنا إلا ذاك ، قال " أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتانى جبريل فـأخبرنى أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة ".

وما رواه بسنده عن مصعب بن سعد حدثنى أبى قال : كنا عند رســـول ﷺ فقال " أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ؟ فسأله سائل من جلسائه : كيـــف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال : يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ، أو يحـــط عنه ألف خطيئة " .

وما رواه بسنده عن أبى هريرة قال : قال رســـول الله ﷺ : " لأن أقــول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس " .

وما رواه بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : من قال : لا إلــه إلا الله وحده لا شريك ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فى يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ، وكــانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك ، حتى يمسى ، ولم يأت أحد أفضل مما جاء بــه إلا أحد عمل أكثر من ذلك . ومن قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائـــة مــرة حطــت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر " .

وما رواه بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " من قال حيـــن يصبح وحين يمسى : سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة ، بــأفضل مما جاء به ، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه " .

وما رواه بسنده عن عمرو بن ميمون قال : من قال : لا إله إلا الله وحــده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ، عشر مرار ، كــان كمــن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل .

وروى بسنده عن أبى هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يسير فى طريق مكة، فمر على جبل يقال له جمدان ، فقال : " سيروا ، هذا جمدان ســـبق المفــردون ". قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : " الذاكرون الله كثيرا والذاكرات "[1] .

(١) صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء ٢٠٦١/٤ - ٢٠٧٥ .

وأخرج الترمذى والنسائى وصححه الحاكم عن الحارث الأشعرى فى حديث طويل وفيه " فآمركم أن تذكروا الله ، وإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو فى أثره سراعا حتى إذا أتى على حصن حصين أحرز نفسه منهم فكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى " .

وعن عبد الله بن بسر " أن رجلا قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت على ، فأخبرنى بشئ أتشبث به ، قال : لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله " أخرجه الترمذى وابن ماجه وصححه ابن حبان والحاكم .

وأخرج الترمذى من حديث أنس " إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر "[١] .

وأخرج الترمذى وابن ماجه وصححه الحاكم من حديث أبى الدرداء مرفوعا "ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق " الفضة " وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى : قال ذكر الله عز وجل[٢] واستشكل هذا الحديث هل الذكر أفضل من الجهاد ؟ مع أن فضل المجاهد أنه كالصائم لا يفطر وكالقائم لا يفتر وغير ذلك مما يدل على أفضليته على غيره من الأعمال الصالحة ؟ ويمكن الجمع : بأن المراد بذكر الله فى الحديث هذا الذكر الكامل وهو ما يجتمع فيه ذكر اللسان والقلب بالتفكر فى المعنى واستحضار عظمة الله تعالى ، وأن الذى يحصل له ذلك يكون أفضل ممن يقاتل الكفار مثلا من غير استحضار لك ، وأن أفضيلة الجهاد إنما هى بالنسبة إلى ذكر اللسان المجرد ، فمن اتفق له أنه جمع ذلك كمن يذكر الله

---

(١) أخرجه الترمذى ، كتاب الدعوات ٣٩٢/٩ .

(٢) أخرجه الترمذى ، كتاب الدعوات ٢٥٨/٩ .

بلسانه وقلبه واستحضاره ، وكل ذلك حال صلاته أو فى صيامه أو تصدقه أو قتاله الكفار مثلا فهو الذى بلغ الغاية القصوى ، والعلم عند الله تعالى ، وأجاب القاضى أبو بكر بن العربى بأنه ما من عمل صالح إلا والذكر مشترط فى تصحيحه ، فمن لم يذكر الله بقلبه عند صدقته أو صيامه مثلا فليس عمله كاملا ، فصار الذكر أفضل الأعمال من هذه الحيثية ، ويشير إلى ذلك حديث " دنية المؤمن أبلغ من عمله " .

قوله ﷺ " إن لله ملائكة " زاد الإسماعيلى " فضلا " أى زيادة عن الملائكة المرتبين مع الخلائق وفضلاء جمع فاضل ، **قال العلماء :** ومعناه على جميع الروايات أنهم زائدون على الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق لا وظيفة لهم إلا حلق الذكر . **قوله** " يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر " ، **وفى رواية** " يتبعون مجالس الذكر " ، **وعند أبى يعلى** " إن الله سرايا من الملائكة تقف وتحل بمجالس الذكر فى الأرض " . **قوله** " فإذا وجدوا قوما " ، **وفى رواية** " فإذا رأوا قوما " ، **وفى رواية** " فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر " . **قوله** " تنادوا " ، **وفى رواية** " يتنادون " . **قوله** "هلموا إلى حاجتكم " ، **وفى رواية** " بغيتكم " ، **وقوله** " هلموا " على لغة أهل نجد ، وأما أهل الحجاز فيقولون للواحد والاثنين والجمع " هلم " بلفظ الإفراد ، واختلفت فى أصل هذه الكلمة فقيل هل لك فى الأكل أم ، أى اقصد وقيل أصله " لم " بضم اللام وتشديد الميم و " ها " للتنبيه حذفت ألفها تخفيفا .

قوله " فيحفونهم بأجنحتهم " أى يدنون بأجنحتهم حول الذاكرين ، وبالباء للتعدية وقيل للاستعانة . قوله "إلى السماء الدنيا" .

وفى رواية " قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملؤا ما بينهم وبين سماء الدنيا " . **وقوله** " قال فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم منهم " ، **وفى رواية** " بهم " وهى جملة معترضة وردت لرفع التوهم ، **وفى رواية** " من أين جئتم؟

فيقولون : جئنا من عند عباد لك فى الأرض " ، **وفى رواية** " فيقول الله : أى شـــئ تركتم عبادى يصنعون " . **قوله** " ما يقول عبادى ؟ قال : تقول يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك " ، **وفى رواية** " فيقولون تركنـــاهم يحمدونـــك ويمجدونـــك ويذكرونك " ، **وفى رواية** " جئنا من عند عباد لك فى الأرض يسبحونك ويكـــبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك " ، **وعند البزار فى مسنده** " ويعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك ويسألونك لآخرتهم ودنياهم " .

ويؤخذ من مجموع هذه الطرق : المراد بمجالس الذكر وأنها التى تشتمل على ذكر الله بأنواع الذكر الواردة من تسبيح وتكبير وغيرهما وعلى تـــلاوة كتـــاب الله سبحانه وتعالى وعلى الدعاء بخيرى الدنيا والآخرة ، وفى دخول قـــراءة الحديـــث النبوى ومدارسة العلم الشرعى ومذكراته والاجتماع على صلاة النافلـــة فـــى هـــذه المجالس نظر ، والأشبه اختصاص ذلك بمجالس التسبيح والتكبير ونحوهما والتـــلاوة فحسب ، وإن كانت قراءة الحديث ومدارسة العلم والمناظرة فيه من جملة ما يدخـــل تحت مسمى ذكر الله تعالى . **قوله** " قال فيقول هل رأونى ؟ قال : فيقولـــون لا والله ما رأوك " كذا ثبت لفظ الجلالة فى جميع نسخ البخارى ، وكذا فى بقية المواضـــع ، وسقط لغيره ، **قوله** " كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيـــدا " ، **وزاد فـــى روايـــة** " وتحميدا " " وأشد لك ذكرا ، وأكثر لك تسبيحا " . **قوله** " قال يقول " ، **وفى رواية** " فيقول " . **قوله** " فما يسألونى " ، **وفى رواية** " فـــأى شـــئ يطلبـــون " . **قولـــه** " يسألونك الجنة " ، **وفى رواية** " يسألونك جنتك ". **قوله** " كانوا أشد عليها حرصـــا "، **وفى رواية** " كانوا أشد حرصا ، وأشد طلبة وأعظم لها رغبة " . **قوله** " قال فمـــم يتعوذون ؟ قال يقولون من النار " ، **وفى رواية** " فمن أى شئ يتعوذون ؟ فيقولـــون من النار "، **وفى رواية أخرى** " قالوا ويستجيرونك ، وقال ومم يستجيروننى ؟ قـــالوا من نارك ". **قوله** " كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة " ، **وفى رواية** " كانوا أشد

منها هربا وأشد منها تعوذا وخوفا " ، **وزاد سهيل فى روايته** " قالوا ويستغفرونك ، **قال فيقول** " قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا " ، **قوله** " يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة " ، **وفى رواية** " فيقولون إن فيهم فلانا الخطاء لم يردهم إنما جاء لحاجة " ، **وفى رواية** " قال : يقولون ، رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم ، قال : وله قد غفرت " ، **قوله** " هم الجلساء " ، **وفى رواية** " هم القوم " وفى اللام إشعار بالكمال أى هم القوم كل القوم . **قوله** " لا يشقى جليسهم "، **وفى رواية** " لا يشقى بهم جليسهم "، **وفى رواية** " لا يشقى لهم جليس "، وهذه الجملة مستأنفة لبيان المقتضى لكونهم أهل الكمال ، **وعن الحسن البصرى قال** " بينا قوم يذكرون الله إذ أتاهم رجل فقعد إليهم ، قال فنزلت الرحمة ثم ارتفعت ، فقالوا: ربنا فيهم عبدك فلان ، قال غشوهم رحمتى ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم"، وفى هذه العبارة مبالغة فى نفى الشقاء عن جليس الذاكرين ، فلو قيل لسعد بهم جليسهم لكان ذلك فى غاية الفضل ، لكن التصريح بنفى الشقاء أبلغ فى حصول المقصود .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- فضل مجالس الذكر والذاكرين وفضل الاجتماع على ذلك .

٢- أن جليسهم يندرج معهم فى جميع ما يتفضل الله تعالى به عليهم إكراما لهم ولو لم يشاركهم فى أصل الذكر .

٣- وفيه : محبة الملائكة بنى آدم واعتناؤهم بهم .

٤- وفيه : أن السؤال قد يصدر من السائل وهو أعلم بالمسئول عنه من المسئول لإظهار العناية بالمسئول عنه والتنويه بقدره والإعلان بشرف منزلته .

٥- وقيل : إن فى خصوص سؤال الله الملائكة عن أهل الذكر الإشارة إلى قولهم " **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** " ،

فكأنه قيل لهم : انظروا إلى ما حصل منهم من التسبيح والتقديس مع مـــا ســلط عليهم من الشهوات ووساوس الشيطان ، وكيف عالجوا ذلــك وضــاهوكم فـــى التسبيح والتقديس .

٦- **وقيل** : إنه يؤخذ من هذا الحديث أن الذكر الحاصل من بنى آدم أعلى وأشــرف من الذكر الحاصل من الملائكة لحصول ذكر الآدميين مع كثرة الشواغل ووجود الصوارف وصدوره فى عالم الغيب بخلاف الملائكة فى ذلك كله .

٧- **وفيه** : بيان كذب من ادعى من الزنادقة أنه يرى الله تعالى جهرا فى دار الدنيا.

٨- **وفيه** : جواز القسم فى الأمر المحقق تأكيدا له وتنويها به .

٩- **وفيه** : أن الذى اشتملت عليه الجنة من أنواع الخـــيرات والنـــار مـــن أنـــواع المكروهات فوق ما وصفنا به ، وأن الرغبة والطلب من الله والمبالغة فى ذلـــك من أسباب الحصول .

وأما الحديث الثالث : " مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثـــل الحـــى والميت " ، **فقد رواه مسلم بلفظ** " مثل البيت الذى يذكر الله فيــــه والبيـــت الـــذى لا يذكر الله فيه مثل الحى والميت " وقد انفرد البخارى باللفظ المذكـــور دون بقيـــة أصحاب أبى كريب وأصحاب أبى أسامة يشعر بأنه رواه من حفظه أو تجـــوز فـــى روايته بالمعنى الذى وقع له وهو أن الذى يوصف بالحياة والموت حقيقة هو الساكن لا السكن وأن إطلاق الحى والميت فى وصف البيت إنما يراد به ساكن البيت فشـــبه الذاكر بالحى الذى ظاهره متزين بنور الحياة وباطنه بنور المعرفـــة ، وهـــو غـــير الذاكر بالبيت الذى ظاهره عاطل وباطنه باطل ، **وقيل** : موقع التشبيه بالحى والميت لما فى الحى من النفع لمن يواليه والضر لمن يعاديه وليس ذلك فى الميت .

فضـــل التسبيح

نص الحديث الرابع

روى البخارى بسنده عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر ".

نص الحديث الخامس

وروى أيضا بسنده عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : " كلمتـــان خفيفتـــان على اللسان ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله العظيم ، ســبحان الله وبحمده "[١] .

ورواه البخارى فى كتاب الأيمان والنذور ، باب إذا قال : والله لا أتكلم اليــوم فصلى أو قرأ أو سبح ... إلخ) ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ " كلمتـان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمــده ، سبحان الله العظيم "[٢][٣] .

" المعنى العام للحديث الأول وبيان ما يستنبط من الأحكام "

المقصود بفضل التسبيح يعنى قول : سبحان الله ومعنـــاه : تنزيــه الله عمـــا لا يليق به من كل نقص ، فيلزم نفى الشريك والصاحبة والولد وجميـــع الرذائـــل . ويطلق التسبيح ويراد به جميع ألفاظ الذكر ، ويطلق ويراد به صلاة النافلة . وأمــــا صلاة التسبيح فسميت بذلك لكثرة التسبيح فيها .

---

(١) أخرجه البخارى " كتاب الدعوات " ، " باب فضل التسبيح " ٢٠٦/١١ ، فتح البارى .

(٢) أخرجه البخارى " كتاب الأيمان والنذور " ، باب " ١٩ " ٥٦٦/١١ .

(٣) أخرجه البخارى " كتاب التوحيد " ٥٣٧/١٣ .

" وسبحان " اسم منصوب على أنه واقع موقع المصدر لفعل محذوف تقديـــره سبحت الله سبحانا ، كسبحت الله تسبيحا ، ولا يستعمل غالبا إلا مضافا وهو مضـــاف إلى المفعول أى سبحت الله ، ويجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل أى نزه الله نفســـه والمشهور الأول ، وقد جاء غير مضاف فى الشعر كقول الشـــاعر : ســبحانه ثـــم سبحانه أنزهه .

قـــوله " من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر " ، وفى رواية " من قال حين يمسى وحين يصبح " ، ويأتى فى ذلـك ما ذكره الإمام النووى من أن الأفضل أن يقول ذلك متواليا فى أول النهار وفــى أول الليل ، والمراد بقوله " وإن كانت مثل زبد البحر " كناية عن المبالغة فى الكــــثرة ، قال القاضى عياض قوله " حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر " مع قوله فـــى " التهليل " محيت عنه مائة سيئة " قد يشعر بأفضلية التسبيح على التهليل ، يعنى لأن عدد زبد البحر أضعاف أضعاف المائة ، لكن تقدم فى التهليل " ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به " فيحتمل أن يجمع بينهما بأن يكون التهليل أفضل وأنه بما زيد من رفــع الدرجات وكتب الحسنات ، ثم ما جعل مع ذلك من فضل عتق الرقاب قد يزيد علــى فضل التسبيح وتكفيره جميع الخطايا لأنه قد جاء " من أعتق رقبة أعتـــق الله بكـــل عضو منها عضوا من النار " فحصل بهذا العتق تكفير جميع الخطايا عمومـــا بعـد حصر ما عدد منها خصوصا مع زيادة مائة درجة وما زاده عتق الرقـــاب الزيـــادة على الواحدة ، ويؤيده الحديث الآخر " أفضل الذكر التهليل " وأنه أفضل مـــا قالــه والنبيون من قبله وهو كلمة التوحيد والإخلاص ، وقيل : " إنه اسم الله الأعظم " وقد مضى شرح التسبيح وإنه التنزيه عمال يليق بالله تعالى وجميع ذلك داخل فى ضمـــن " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قديـــر " . هذا كلام القاضى عياض مخلصا . **قال الحافظ ابن حجر قلت :** وحديـــث " أفضـــل

الذكر لا إله إلا الله " أخرجه الترمذى والنسائى وصححه ابن حبان والحاكم من حديث جابر ويعارضه فى الظاهر حديث أبى ذر "قلت يا رسول الله أخبرنى بأحب الكلام إلى الله قال: إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده" أخرجه مسلم، وفى رواية" سئل أى الكلام أفضل؟ قال : ما اصطفاه الله لملائكته : سبحان الله وبحمده ".

وقال الطيبى : فى الكلام على حديث أبى ذر فيه تلميح بقوله تعالى حكاية عن الملائكة " ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك " ويمكن أن يكون قوله " سبحان الله وبحمده " مختصرا من الكلمات الأربع وهى : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر " ، لأن " سبحان الله " تنزيه له عما لا يليق بجلاله وتقديس لصفاته من النقائص فيندرج فيه معنى لا إله إلا الله ، وقوله " وبحمده " صريح فى معنى والحمد لله لأن الإضافة فيه بمعنى اللام فى الحمد ، ويستلزم ذلك معنى الله أكبر لأنه إذا كان كل الفضل والإفضال لله ومن الله وليس من غيره شئ من ذلك ، فلا يكون أحد أكبر منه ومع ذلك كله فلا يلزم أن يكون التسبيح أفضل من التهليل لأن التهليل صريح فى التوحيد والتسبيح متضمن له ولأن نفى الآلهة فى قوله " لا إله " نفى لمضمنها من فعل الخلق والرزق والإثابة والعقوبة ، وقول " إلا الله " إثبات لذلك ، ويلزم منه نفى ما يضاده ويخالفه من النقائص فمنطوق سبحان الله تنزيه ومفهومه توحيد ومنطوق لا إله إلا الله توحيد ومفهومه تنزيه ، يعنى فيكون لا إله إلا الله أفضل لأن التوحيد أصل والتنزيه ينشأ عنه .

وقال القرطبى : إن هذه الأذكار إذا أطلق على بعضها أنه أفضل الكلام أو أحبه إلى الله فالمراد إذا انضمت إلى أخواتها ، بدليل حديث سمرة عند مسلم " أحب الكلام إلى الله أربع لا يضرك بأيهن بدأت : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا

الله والله أكبر " ويحتمل أن يكتفى فى ذلك بالمعنى فيكون من اقتصر على بعضها كفى ، لأن حاصلها التعظيم والتنزيه ، ومن نزهه فقد عظمه ومن عظمه فقد نزهه .

وقال الإمام النووى : هذا الإطلاق فى الأفضلية محمول على كلام الآدمى وإلا فالقرآن أفضل الذكر .

وقال البيضاوى : الظاهر أن المراد من الكلام كلام البشر ، فإن الثلاث الأول وإن وجدت فى القرآن لكن الرابعة لم توجد فيه ولا يفضل ما ليس فيه على ما هو فيه . **قال الحافظ ابن حجر قلت :** ويحتمل أن يجمع بأن تكون " من " مضمرة فى قوله " أفضل الذكر لا إله إلا الله " ، وفى قوله " أحب الكلام " بناء على أن لفظ أفضل وأحب متساويتان فى المعنى لكن يظهر مع ذلك تفضيل لا إله إلا الله لأنها ذكرت بالتنصيص عليها بالأفضلية الصريحة وذكرت مع أخواتها بالأحبية فحصل لها التفضيل تنصيصا وانضماما .

وأخرج الطبرى من رواية عبد الله بن باباه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : إن الرجل إذا قال لا إله إلا الله فهى كلمة الإخلاص التى لا يقبل الله عملا حتى يقولها وإذا قال الحمد لله فهى كلمة الشكر التى لم يشكر الله عبد حتى يقولها " .

ومن طريق الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال : " من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين " .

وقال الحافظ ابن حجر : أخرج النسائى بسند صحيح عن أبى سعيد " عن النبى ﷺ قال موسى يا رب علمنى شيئا أذكرك به ، قال : قل لا إله إلا الله " الحديث ، وفيه " لو أن السماوات السبع وعامرهن والأرضيين السبع جعلن فى كفة ولا إله الله فى كفة لمالت بهن لا إله إلا الله " فيؤخذ منه أن الذكر بلا إله إلا الله أرجح من

الذكر بالحمد لله ، ولا يعارضه حديث أبى مالك الأشعرى " والحمد لله تملأ الميزان " فإن الملء يدل على المساواة والرجحان صريح فى الزيادة فيكون أولى ، ومعنى "الميزان" أن ذاكرها يمتلئ ميزانه ثوابا .

وذكر ابن بطال عن بعض العلماء :أن الفضل الوارد فى حديث الباب وما شابهه إنما هو لأهل الفضل فى الدين والطهارة من الجرائم العظام ، وليس من أصر على شهواته وانتهك دين الله وحرماته بلاحق بالأفاضل المطهرين فى ذلك ، ويشهد له قوله تعالى " أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون "

" المعنى العام للحديث الثانى وبيان ما يستنبط من أحكام "

فى قوله " كلمتان " إطلاق كلمة على الكلام وهو مثل : كلمة الإخلاص وكلمة الشهادة " وكلمتان " هو الخبر " خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان " صفة ، والمبتدأ : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ، والنكتة فى تقديم الخبر : تشويق السامع إلى المبتدأ ، وكلما طال الكلام فى وصف الخبر حسن تقديمه لأن كثرة الأوصاف الجميلة تزيد السامع شوقا ، ووصفهما بالخفة والثقل لبيان قلة العمل وكثرة الثواب ، وفى هذه الألفاظ الثلاثة سجع مستعذب وهو جائز فى الدعاء إذا وقع بغير كلفة ، والحاصل أن المنهى عنه ما كان متكلفا أو متضمنا لباطل لا ما جاء عفوا عن غير قصد إليه وقوله " خفيفتان " فيه إشارة إلى قلة كلامهما وأحرفهما ورشاقتهما . **قال الطيبى** : الخفة مستعارة للسهولة ، وشبه سهولة جريانها على اللسان بما خف على الحامل من بعض الأمتعة فلا تتعبه كالشئ الثقيل ، وفيه إشارة إلى أن سائر التكاليف صعبة شاقة على النفس ثقيلة ، وهذه سهلة عليها مع أنها تثقل الميزان كثقل الشاق من التكاليف ، وقد سئل بعض السلف عن سبب ثقل الحسنة

وخفة السيئة ، فقال : لأن الحسنة حضرت مرارتها وغابت حلاوتها فثقلت فلا يحملنك ثقلها على تركها والسيئة حضرت حلاوتها وغابت مرارتها فلذلك خفت فلا يحملنك خفتها على ارتكابها .

قوله " ثقيلتان في الميزان " ، أما الثقل فعلى حقيقته لأن الأعمال تتجسم عند الميزان ، والخفة والسهولة من الأمور النسبية ، **قوله** " في الميزان " ، **قال تعالى** "**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة**" ، والموازين جمع ميزان وأصله موزان فقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها ، واختلف في ذكره هنا بلفظ الجمع هل المراد أن لكل شخص ميزانا أو لكل عمل ميزان فيكون الجمع حقيقة أو ليس هناك إلا ميزان واحد والجمع باعتبار تعدد الأعمال أو الأشخاص ويدل على تعدد الأعمال **قوله تعالى** "**ومن خفت موازينه**" ، ويحتمل أن يكون الجمع للتفخيم ، كما في قوله تعالى " **كذبت نوح المرسلين** " ، مع انه لم يرسل إليهم إلا واحد ، والذي يترجح أنه ميزان واحد ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله أن أحوال القيامة وتكيف بأحوال الدنيا ، و"القسط" العدل وهو نعت الموازين ، وإن كان مفردا وهي جمع لأنها مصدر .

قال القرطبي : القسط العدل وجعل وهو مفرد من نعت الموازين ، وهي جمع لأنه كقولك عدل ورضا ، **قال أبو إسحاق الزجاج :** المعنى ونضع الموازن ذوات القسط ، والقسط العدل وهو مصدر يوصف به ، يقال ميزان قسط وميزانان قسط وموازين قسط ، وقيل هو مفعول من أجله أي لأجل القسط واللام في قوله " ليوم القيامة " للتعليل مع حذف مضاف أي لحساب يوم القيامة .

وحكى حنبل بن إسحاق في كتاب السنة عن أحمد بن حنبل أنه قال ردا على من أنكر الميزان ما معناه : قال تعالى **" ونضع الموازين القسط ليوم القيامة " ،** وذكر النبي ﷺ الميزان يوم القيامة ، فمن رده على النبي ﷺ فقد رد على الله

عز وجل ، **والميزان** : توزن به الأعمال لكن خص منه طائفتان فمن الكفار من لا ذنب له إلا الكفر ولم يعمل حسنة فإنه يقع فى النار من غير حساب ولا ميزان ، ومن المؤمنين من لا سيئة له وله حسنات كثيرة زائدة على محض الإيمان فهذا يدخل الجنة بغير حساب ، كما فى قصة السبعين ألفا ، ومن شاء الله أن يلحقه بهم وهم الذين يمرون على الصراط كالبرق الخاطف وكالريح وكأجاويد الخيل ، ومن عدا هذين من الكفار والمؤمنين يحاسبون وتعرض أعمالهم على الموازين ويدل على محاسبة الكفار ووزن أعمالهم قوله تعالى فى سورة المؤمنون " **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون** " . **ونقل القرطبى عن بعض العلماء أنه قال** : الكافر لا ثواب له وعمله مقابل بالعذاب فلا حسنة له توزن فى موازين القيامة ، ومن لا حسنة له فهو فى النار واستدل بقوله تعالى " **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** " ، وبحديث أبى هريرة وهو فى الصحيح فى الكافر : لا يزن عند الله جناح بعوضه ، وتعقب أنه مجاز عن حقارة قدره ولا يلزم منه عدم الوزن ، **وحكى القرطبى فى صفة وزن عمل الكافر وجهين : أحدهما** : أن كفره يوضع فى الكفة ولا يجد له حسنة يضعها فى الأخرى فتطيش التى لا شئ فيها ، قال وهذا ظاهر الآية لأنه وصف الميزان بالخفة لا الموزون . **ثانيهما** : قد يقع منه العتق والبر والصلة وسائر أنواع الخير المالية مما لو فعلها المسلم لكانت له حسنات فمن كانت له حسنات جمعت ووضعت ، غير أن الكفر إذا قابلها رجح بها . **قلت** : ويحتمل أن يجازى بها عما يقع منه من ظلم العباد مثلا ، فإن استوت عذب بكفره مثلا فقط ، وإلا زيد عذابه بكفره أو خفف عنه.

قال الزجاج : أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان ، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة ، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال ، وأنكرت المعتزلة الميزان ، وقالوا هو عبارة عن العدل فاخلفوا الكتاب والسنة ، لأن الله أخبر أنه

يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين . **وقال ابن فورك :** أنكرت المعتزلة الميزان بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها ، قال وقد روى بعض المتكلمين عن ابن عباس أن الله تعالى يقلب الأعراض أجساما فيزنها .

وقد ذهب بعض السلف إلى أن : الميزان بمعنى العدل والقضاء ، **وقد قال مجاهد :** الموازين العدل والراجح ما ذهب إليه الجمهور .

وعن سلمان قال : يوضع الميزان وله كفتان لو وضع فى إحداهما السماوات والأرض ومن فيهن لوسعته ، وذكر الميزان عند الحسن البصرى ، فقال : له لسان وكفتان . وقال الطيبى : قيل إنما توزن الصحف ، وأما الأعمال فإنها أعراض فلا توصف بثقل ولا خفة ، والحق عند أهل السنة أن الأعمال حينئذ تجسد أو تجعل فى أجسام فتصير أعمال الطائعين فى صورة حسنة ، وأعمال المسيئين فى صورة **قبيحة، ثم توزن ، ورجح القرطبى** أن الذى يوزن الصحائف التى تكتب فيها **الأعمال، ونقل عن ابن عمر أنه قال :** توزن صحائف الأعمال ، قال فإذا ثبت هذا فالصحف أجسام فيرتفع الإشكال ويقويه حديث البطاقة الذى أخرجه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه ، وفيه " فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة " إلخ الحديث، **والصحيح :** أن الأعمال هى التى توزن ، وقد أخرج أبو داود والترمذى وصححه ابن حبان عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ قال " ما يوضع فى الميزان يوم القيامة أثقل من خلق حسن " ، وفى حديث جابر " توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات ، فمن رجحت حسناته وسيئاته قال أولئك أصحاب الأعراف " أخرجه خثيمة فى فوائده . وفى السنة للالكائى عن حذيفة موقوفا : أن صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام . **أقول :** والجماعة قد أقحموا أنفسهم فيما ليس من اختصاصنا وتصوروا وافترضوا فروضات لا طائل من ورائها وخاصة أن

أيامهم لم يكن هناك ميزان يتصور للأذهان غير ميزان الكيل الذى توزن به الأشياء، والأمر ليس كذلك وجاء العلم الحديث ليبين لنا أن هناك موازين كثيرة لا حصر لها، حيث إن لكل مهنة ميزان ، ولكل صنعة وحرفة ميزان ، ولكل لعبة من الألعاب الرياضية ميزان والمقصود بالميزان ، هو معيار الكمال أو النقصان فمثلا للعب الكرة ميزان يوزن به اللعبة الصحيحة والتى يحقق من ورائها الهدف من تلك التى تعتبر خارج نطاق الميزان كالمس الكرة باليد أثناء اللعب أو ضرب أحد اللاعبين من أجل إحراز الهدف ، كما أن ميزان الكرة الطائرة يختلف عن كرة القدم ، فهذه اللعب بالقدم ولا يجوز لمسها باليد ، والكرة الطائرة اللعب فيها باليد ولا يجوز فيها أن تركل بالقدم ، وكذلك ميزان السباحة يختلف عن ميزان " العدو " الجرى ، وغير ذلك من الموازين أو القوانين التى تحكم على الأشياء ، وكذلك إدخال المعلومات على الكمبيوتر وتقييم الأعمال والألعاب من خلال الكمبيوتر وغيرها ، وغيرها كميزان الحرارة ، وميزان البرودة ، وميزان الكهرباء ، فتصور الميزان بشكل واحد أصبح فى هذا الزمان مستبعد وأن الله له موازينه الخاصة التى حكى عنها فى القرآن ، والتى هى فوق الكفتان واللسان ، ومنها قوله **"والسماء رفعها ووضع الميزان * أن لا تطغوا فى الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان"**، فأى ميزان يقصد إنها موازين كل شئ فى الأرض وفوق الأرض من جو السماء ، وإلا فكيف تطير الطائرة أو ليست بميزان فهل له كفتان ولسان ؟ .

قوله " حبيبتان " أى محبوبتان ، والمعنى محبوب قائلهما ، ومحبة الله للعبد إرادة إيصال الخير له والتكريم ، وخص " الرحمن " من الأسماء الحسنى للتنبيه على سعة رحمة الله ، حيث يجازى على العمل القليل بالثواب الجزيل ، ولما فيها من التنزيه والتحميد والتعظيم .

قوله " سبحان الله " تقدم معناه فى فضل التسبيح ، **قوله** " وبحمده " قيل الواو للحال والتقدير : أسبح الله متلبسا بحمدى له من أجل توفيقه ، وقيل عاطفة ، والتقدير أسبح الله وأتلبس بحمده ويحتمل أن يكون الحمد مضافا للفاعل ، والمراد من الحمد لازمه أو ما يوجب الحمد من التوفيق ونحوه ، ويحتمل أن تكون الباء متعلقة بمحذوف متقدم ، والتقدير وأثنى عليه بحمده فيكون " سبحان الله " جملة مستقرة و "بحمده" جملة أخرى ، وقال الخطابى فى حديث " سبحانك اللهم ربنا وبحمدك " أى بقوتك التى هى نعمة توجب على حمدك سبحتك لا بحولى وبقوتى كأنه يريد أن ذلك مما أقيم فيه السبب مقام المسبب ، واتفقت الروايات عن محمد بن فضيل على ثبوت وبحمده إلا أن الإسماعيلى قال بعد أن أخرجه من رواية زهير بن حرب وغيره لم يقل أكثرهم " وبحمده " .

قال الحافظ ابن حجر قلت : وقد ثبت أى قوله " بحمده " من رواية زهير ابن حرب عند الشيخين وعند مسلم عن بقية من سميت من شيوخه والترمذى عن يوسف بن عيسى ...(إلخ) كلهم عن محمد بن فضيل كأنها سقطت من رواية أبى بكر، وأحمد بن عبدة والحسين. **قوله** " سبحان الله العظيم " ، هكذا عند الأكثر بتقديم " سبحان الله وبحمده " على " سبحان الله العظيم " .

قال ابن بطال : هذه الفضائل الواردة فى فضل الذكر إنما هى لأهل الشرف فى الدين والكمال كالطهارة من الحرام والمعاصى العظام فلا تظن أن من أدمن الذكر وأصر على ما شاء من شهواته وانتهك دين الله وحرماته أنه يلتحق بالمطهرين المقدسين ويبلغ منازلهم بكلام أجراه على لسانه ليس معه تقوى ولا عمل صالح . **وقال الكرمانى** : صفات الله وجودية كالعلم والقدرة وهى صفات الإكرام وعدمية كلا شريك له ولا مثل له وهى صفات الجلال ، فالتسبيح إشارة إلى صفات

الجلال والتحميد إشارة إلى صفات الإكرام وترك التقييد مشعر بالتعميم ، **والمعنى :** أنزهه عن جميع النقائص وأحمده بجميع الكمالات ، **قال :** والنظم الطبيعى يقتضى تقديم التحلية على التخلية فقدم التسبيح الدال على التخلى على التحميد الدال على التحلى ، وقدم لفظ الله لأنه اسم الذات المقدسة الجامع لجميع الصفات والأسماء الحسنى ، ووصفه بالعظم لأنه الشامل لسلب ملا يليق به وإثبات ما يليق به إذ العظمة الكاملة مستلزمة لعدم النظير والمثيل ونحو ذلك ، وكذا التعلم بجميع المعلومات والقدرة على جميع المقدورات ونحو ذلك وذكر التسبيح متلبسا بالحمد ليعلم ثبوت الكمال له نفيا وإثباتا وكرره تأكيدا و لأن الاعتناء بشأن التنزيه من جهة كثرة المخالفين ولهذا جاء فى القرآن بعبارات مختلفة نحو " سبحان " و " سبح " بلفظ الماضى و " يسبح " بلفظ المضارع ، ولأن التنزيهات تدرك بالعقل بخلاف الكمالات فإنها تقصر عن إدراك حقائقها **كما قال بعض المحققين :** الحقائق الإلهية لا تعرف إلا بطريق السلب كما فى العلم لا يدرك منه إلا أنه ليس بجاهل ، وأما معرفة حقيقة علمه فلا سبيل إليه ، وقال شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى فى كلامه على مناسبة أبواب صحيح البخارى : لما كان أصل العصمة أولا وأخرا هو توحيد الله فختم بكتاب التوحيد ، وكان آخر الأمور التى يظهر بها المفلح من الخاسر ثقل الموازين وخفتها فجعله آخر تراجم الكتاب ، فبدأ بحديث "الأعمال بالنيات " وذلك فى الدنيا ، وختم بأن الأعمال توزن يوم القيامة ، وأشار إلى أنه إنما يثقل منها ما كان بالنية الخالصة لله تعالى .

وفى الحديث الذى ذكره ترغيب وتخفيف ، وحث على الذكر المذكور لمحبة الرحمن له والخفة بالنسبة لما يتعلق بالعمل والثقل بالنسبة لإظهار الثواب ، وجاء ترتيب هذا الحديث على أسلوب عظيم وهو أن حب الرب سابق وذكر العبد وخفة الذكر على لسانه تال ثم بين ما فيهما من الثواب العظيم النافع يوم القيامة .

قال الإمام الغزالى فى الإحياء : فإن قلت : فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها فاعلم : أن تحقيق هذا لا يليق إلا بعلم المكاشفة والقدر الذى يسمح بذكره فى علم المعاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فأما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى وفى الأخبار ما يدل عليه أيضا ، وحضور القلب فى لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضاً قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو فى أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية ، وللذكر أول وآخر فأوله يوجب الأنس والحب وآخره يوجب الأنس والحب ويصدر عنه والمطلوب ذلك الأنس والحب فإن المريد فى بداية أمره قد يكون متكلفاً بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله عز وجل فإن وفق للمداومة أنس به و انغرس فى قلبه حب المذكور ولا ينبغى أن يتعجب من هذا فإن من المُشاهد فى العادات أن تذكر غائباً غير مشاهد بين يدى شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم إذا عشق بكثرة الذكر المتكلف أولاً صار مضطراً إلى كثرة الذكر أخراً بحيث لا يصبر عنه فإن من أحبُ شيئاً أكثر من ذكره ومن أكثر من ذكر شئ وإن كان تكلفاً أحبه فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يثمر الأنس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه أخراً فيصير الموجب موجباً والثمر مثمراً وهذا معنى قول بعضهم : كابدتُ القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم إلا من الأنس والحب ولا يصدر الأنس إلا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعاً فكيف يستبعد هذا ، وقد يتكلف الإنسان تناول طعام يستبشعه أولا ويكابد أكله ويواظب عليه فيصير موافقاً لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف " هى النفس ما عودتها تتعود " أى ما

كلفتها أولا يصير لها طبعا أخرا ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه انقطع من غير ذكر الله وما سوى الله عز وجل هو الذى يفارقه عند الموت فلا يبقى معه فى القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ، ولا يبقى إلا ذكر الله عز وجل فإن كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات فى الحياة الدنيا تصد عن ذكر الله عز وجل ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنه خلى بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذى كان ممنوعا فيه عما به أنسة ، ولذلك قال ﷺ " إن الروح القدس نفث فى روعى أحبب ما أحببت فإنك مفارقه "(١) ، أراد به كل ما يتعلق بالدنيا فإن ذلك يفنى فى حقه بالموت فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ، وإنما تفنى الدنيا بالموت فى حقه إلى أن تفنى فى نفسها عند بلوغ الكتاب أجله ، وهذا الأنس يتلذذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل فى جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر إلى اللقاء ، وذلك بعد أن يبعثر ما فى القبور ويحصل ما فى الصدور ، ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت ، فيقول أنه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فإنه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من علم الملكوت وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله ﷺ " القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار "(٢) وبقوله ﷺ لقتلى بدر من المشركين " يا فلان يا فلان وقد سماهم النبى ﷺ هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا فسمع عمر رضي الله عنه قوله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا ؟ فقال ﷺ " والذى نفسى بيده ما أنتم أسمع لكلامى منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا " والحديث فى الصحيح هذا قوله عليه السلام فى المشركين ، فأما المؤمنون والشهداء فقد قال ﷺ " أرواحهم فى

---

(١) الإحياء ، ٣٠٤/١ .

(٢) المغنى عن حمل الأسفار ٣٠٤/١ ، وقال : رواه " ت " وفيه عبيد الله بن الوليد الوصافى ضعيف .

حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش " وهذه الحالة وما أشير بهذه الألفاظ إليه لا ينافي ذكر الله عز وجل ، وقال تعالى " **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ... الآية** " ، ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة لأن المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق عن غيره فإن قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقا بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال ، فإنه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فإنه يريدها لحياته وقد هون على قلبه حياته في حب الله عز وجل ، وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك ، ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل مالا يحصى ، فمن ذلك أنه لما استشهد عبد الله بن عمرو الأنصاري يوم أحد قال رسول الله ﷺ لجابر " ألا أبشرك يا جابر قال : بلى ، بشرك الله بالخير . قال : إن الله عز وجل أحيا أباك فأقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر . فقال : تمن على يا عبدي ما شئت أعطيكه . فقال : يا رب أن تردني إلى الدنيا حتى أقتل فيك وفي نبيك مرة أخرى ، فقال عز وجل : سبق القضاء مني بأنهم إليها لا يرجعون "[١] .

ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فإنه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا إليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل ، ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة فإن القلب وإن ألزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه فإذا تمثل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة

---

(١) المغني عن حمل الأسفار ٣٠٥/١، الحديث في " ت "، وقال حسن و ٥ ك، وصحح إسناده من حديث جابر.

هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت إليه ويتمنى الرجوع إلى الدنيــا وذلك لقلة حظه فى الآخرة إذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مــات عليه فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة إذا لم يكن قصد الشهيد نيل مالــه أو أن يقال شجاع أو غير ذلك " كما ورد به الخبر بل حب الله عز وجــل وإعــلاء كلمته فهذه الحالة هى التى عبر عنها قوله عز وجل " إن الله اشترى من المؤمنيــن أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة " ، ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالــة الشهيد توافق معنى قولك لا إله إلا الله ، فإنه لا مقصود له سوى الله عز وجل وكــل مقصود معبود وكل معبود إله ، فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا إلــــه إلا الله ، إذ لا مقصود له سواه ، ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره فى مشيئة الله عــز وجل ، ولا يؤمن فى حقه الخطر ولذلك فضل رسول الله ﷺ قول لا إله إلا الله على سائر الأذكار ، وذكر ذلك مطلقا فى مواضع الترغيب ، ثم ذكر فى بعض المواضــع الصدق والإخلاص ، فقال مرة من قال لا إله إلا الله مخلصــا ومعنــى الإخــلاص مساعدة الحال للمقال[١] .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- الحث على المواظبة على الذكر والتحريض على ملازمته ، لأن جميع التكــاليف شاقة على النفس ، وهذا سهل ومع ذلك يثقل فى الميزان كمــا تثقــل الأفعــال الشاقة فلا ينبغى التفريط فيه .

٢- **وفيه** : إيراد الحكم على المرغب فى فعله بلفظ الخبر ، لأن المقصود من سـياق هذا الحديث الأمر بملازمته الذكر لا المذكور .

٣- **وفيه** : تقديم الخبر على المبتدأ ، كما فى قوله " كلمتان " .

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالى ٣٠٣/١-٣٠٥ .

٤- وفيه من علم البديع : المقابلة والمناسبة والموازنة فى السجع لأنه قال " حبيبتان إلى الرحمن " ولم يقل للرحمن لموازنة على " اللسان " ، وعدى كلا من الثلاثة بما يليق به .

٥- وفيه : إشارة امتثال قوله تعالى " فسبح بحمد ربك " ، وقد أخبر الله تعالى عن الملائكة فى عدة آيات أنهم يسبحون بحمد ربهم(١) .

٣- الاستغفار وأثره

قبل الحديث عن الاستغفار لا بد وأن نتحدث عن التوبة حيث إن التوبة هى الأساس والأرض التى تبنى عليها الحسنات .

أولا : التوبة من الذنوب والمعاصى

إن التوبة من الذنوب والرجوع إلى ستار العيوب وعلام الغيوب ، مبدأ طريق السالكين ورأس مال الفائزين ، وأول إقدام المريدين ، ومفتاح استقامة المائلين ، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين ، ولأبينا آدم عليه السلام وعلى سائر الأنبياء أجمعين ، وما أجدر بالأولاد الاقتداء بالآباء والأجداد ، فلا غرو إن أذنب الآدمى واجترم ومن شابه أباه فما ظلم ، ولكن الأب إذا جبْر بعدما كسر وعمر بعد أن هدم، فليكن النزوع إليه فى كلا طرفى النفى والإثبات والوجود والعدم ، ولقد قرع آدم سن الندم وتندم على ما سبق منه وتقدم ، فمن اتخذه قدوة فى الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم ، بل التجرد لمحض الخير دأب الملائكة المقربين ، والتجرد للشر دون التلافى سجية الشياطين ، والرجوع إلى الخير بعد الوقوع فى الشر ضرورة الآدميين فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان ، والمتجرد للشر شيطان ، والمتلافى للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة إنسان ، فقد ازدوج فى طينة الإنسان شائبتان ،

---

(١) فتح البارى ، " كتاب التوحيد " باب ، " ونضع الموازين ... إلخ " ١٣/٥٣٧-٥٤٢ .

واصطحب فيه سجيتان ، وكل عبد مصحح نسبه إما إلى الملك أو إلى آدم أو إلى الشيطان ، فالتائب قد أقام البرهان ، على صحة نسبه إلى آدم بملازمة حد الإنسان ، والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان ، فأما تصحيح النسب إلى الملائكة بالتجرد لمحض الخير فخارج عن حيز الإمكان(١) ، فإن الشر معجون مع الخير فى طينة آدم عجنا محكما لا يخلصه إلا إحدى ثلاث نيران : نار الصبر على الطاعات واجتناب المنهيات ، أو نار الندم ، أو نار جهنم ، فالإحراق بالنار ضرورى فى تخليص جوهر الإنسان من خبائث الشيطان ، وعلى الإنسان الآن أن يختار إحدى النيران فنار الصبر على الطاعة بها العز ، ونار الندم والتوبة فيها القبول والمغفرة فمن لم يغنه ذلك فليس له إلا نار جهنم وذلك جزاء الظالمين .

نص الحديث الأول

عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبى ﷺ قال " الله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلا وبه مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فنام نومة ، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله ، قال أرجع إلى مكانى ، فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده "(٢) .

نص الحديث الثانى

عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة "(٢) .

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/٤ .

(٢) صحيح البخارى " كتاب الدعوات " ، " باب التوبة " عن ابن مسعود ١٠٢/١١ ، وأخرجه مسلم " كتاب التوبة " ، " باب فى الحض على التوبة " ٢١٠٣/٤ عن ابن مسعود ، وأخرجه ابن ماجه كتاب الزهد باب ذكر التوبة ١٤١٩/٢ ، الأول عن أبى هريرة والثانى عن أبى سعيد ، وغيرهم

" الشرح والبيان وذكـــر ما يستفاد "

التوبة فى اللغة : الرجوع من الذنب ، قال الأخفش : التوب جمع توبة مثـــل عزم وعزمة . وتاب إلى الله يتوب توبا وتوبة ومتابا . أناب ورجع عن المعصيـــة إلى الطاعة .

وقال أبو منصور : أصل تاب عاد إلى الله ورجع وأناب ، وتاب الله عليـــه أى عاد عليه بالمغفرة ، وقوله تعالى " وتوبوا إلى الله جميعا " أى عودوا إلـــى طاعتـــه وأنيبوا إليه ، والله التواب : يتوب على عبده بفضله إذا تاب إليه من ذنبه[١] .

أما التوبة فى الشرع : فهى عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثـــة أمـــور مرتبة وهى : علم وحال وفعل : فالعلم الأول والحال الثانى والفعل الثـــالث ، والأول موجب للثانى والثانى موجب للثالث إيجابا اقتضـــاه اطـــراد ســـنة الله فـــى الملـــك والملكوت . **أما العلم :** فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب فإذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفـة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب ، فإن القلب مهما شعر بفوات محبوبة تألم فإن كـان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوت فيسمى تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندمـا فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى انبعث من هذا الألم فى القلب حالة أخـــرى تسمى إرادة وقصدا إلى فعل له تعلق بالحال والماضى وبالاستقبال ، أما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذى كان ملابسا ، وأما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفـــوت للمحبوب إلى آخر العمر ، وأما بالماضى فبتلافى ما فات بالجبر والقضاء إن كـــان قابلا للجبر .

---

(١) لسان العرب ١/٤٥٤ .

فالعلم هو الأول وهو مطلع هذه الخيرات ، وأعنى بهذا العلم الإيمان واليقين فإن الإيمان عبارة عن التصديق بأن الذنوب سموم مهلكة ، واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيثمر نور هذا الإيمان مهما أشرق على القلب نار الندم ، فيتألم بها القلب حيث يبصر بإشراق نور الإيمان أنه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس ، وقد كان فى ظلمة فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب أو انحسار حجاب فرأى محبوبه وقد أشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب فى قلبه وتنبعث تلك النيران بإرادته للانتهاض للتدارك ، فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك فى الحال والاستقبال والتلافى للماضى ثلاثة معان مرتبة فى الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ، ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتأخر وبهذا الاعتبار قال عليه الصلاة والسلام " الندم توبة "[1] ، إذ لا يخلو الندم عن علم أوجبه وأثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطرفيه أعنى ثمرته ومثمرة ، وبهذا الاعتبار قيل فى حد التوبة :إنه ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ فإن هذا يعرض لمجرد الألم، ولذلك قيل : هو نار فى القلب تلتهب وصدع فى الكبد لا ينشعب ، وباعتبار معنى الترك قيل فى حد التوبة : إنه خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء، وقال سهل بن عبد الله التسترى التوبة: تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ، ولا يتم ذلك إلا بالخلوة والصمت وأكل الحلال وكأنه أشار إلى المعنى الثالث من التوبة والأقاويل فى حدود التوبة لا تنحصر ، وإذا فهمت هذه المعانى الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت أن جميع ما قيل فى حدودها قاصر عن الإحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقائق الأمور أهم من طلب الألفاظ المجردة .

---

(١) أخرجه ابن ماجه ، " كتاب الزهد " ، " باب ذكر التوبة " ١٤٢٠/٢ ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك " كتاب التوبة والإنابة " ٢٧١/٤ ، عن ابن مسعود حديث رقم ٧٦١٢ ، ٧٦١٣ ، وعن أنس ٧٦١٤ .

ووجوب التوبة ظاهر بالأخبار والآيات وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الإيمان صدره حتى اقتدر على أن يسعى بنوره الذى بين يديه فى ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده فى كل خطوة ، فالسالك إما أعمى لا يستغنى عن القائد فى خطوة ، وإما بصير يهدى إلى أول الطريق ثم يهتدى بنفسه ، وكذلك الناس فى طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام ، فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد فى خطوة فيفتقر إلى أن يسمع فى كل قدم نصا من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ وربما يعوزه ذلك فيتحير ، فسير هذا وإن طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصرة ، ومن سعيد شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فيتنبه بأدنى إشارة لسلوك طريق معوصة وقطع عقبات متعبة ويشرق فى قلبه نور القرآن ونور الإيمان وهو لشدة نور باطنه يجتزئ بأدنى بيان فكأنه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار فإذا مسته نار فهو نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ، وهذا لا يحتاج إلى نص منقول فى كل واقعة .

فمن هذا حاله إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة فينظر أولا بنور البصيرة إلى التوبة ما هى ؟ ثم إلى الوجوب ما معناه ؟ ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك فى ثبوته لها ، وذلك بأن يعلم بأن معنى الواجب ما هو واجب فى الوصول إلى سعادة الأبد والنجاة من هلاك الأبد ، فإنه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجبا معنى .

وقول القائل : صار واجبا بالإيجاب حديث محض فإن ما لا غرض لنا آجلا وعاجلا فى فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به أوجبه علينا غيرنا أو لم يوجبه فإذا عرف معنى الوجوب وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد وعلم أن لا سعادة فى دار البقاء إلا فى لقاء الله تعالى ، وأن كل محجوب عنه يشقى لا محالة محول بينه وبين ما

يشتهى محترق بنار الفراق ونار الجحيم ، وعلم أنه لا مبعد عن لقاء الله إلا اتباع الشهوات والأنس بهذا العالم الفانى والإكباب على حب ما لا بد من فراقه قطعا ، وعلم أنه لا مقرب من لقاء الله إلا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والإقبال بالكلية على الله طلبا للأنس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته ، وعلم أن الذنوب التى هى إعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين أعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله تعالى فلا يشك فى أن الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول إلى القرب ، وإنما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم فإنه ما لم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه فى طريق البعد ، وما لم يتوجع فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك والعزم ، فلا يشك فى أن المعانى الثلاثة ضرورية فى الوصول إلى المحبوب، وهكذا يكون الإيمان الحاصل عن نور البصيرة ، وأما من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفع ذروته عن حدود أكثر الخلق ففى التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به إلى النجاة من الهلاك ، فليلاحظ فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالحين ، **فقد قال الله تعالى " وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون"**(١) ، وهذا أمر على العموم ، وقال الله تعالى **" يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا "**(٢) ، ومعنى النصوح الخالص لله تعالى خاليا عن الشوائب ومأخوذ من النصح ويدل على فضل التوبة ، قوله تعالى **" إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين "**(٣) .

وأما الأحاديث : فالحديثين الذين نشرحهما خير مثال لذلك .

---

(١) جزء آية من سورة النور .

(٢) جزء آية من سورة التحريم .

(٣) جزء آية من سورة البقرة .

ويروى عن الحسن قال : لما تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام هنأتـــه الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا : يا آدم قرت عينك بتوبـــة الله عليك . **فقال آدم عليه السلام : يا جبريل فإن كان بعد هذه التوبة ســؤال فــأين مقامى فأوحى الله إليه يا آدم ورثت ذويك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعانى منهم لبيته كما لبيتك ، ومن سألنى المغفرة لم أبخل عليه لأنى قريب مجيب ، يـــا آدم وأحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعائهم مستجاب والأخبار والآثـــار فى ذلك لا تحصى والإجماع منعقد من الأمة على وجوبها ، إذ معنـــاه العلـــم بـــأن** الذنوب والمعاصى مهلكات ومبعدات من الله تعالى وهذا داخل فى وجوب **الإيمـــان ، ولكن قد** تدهش الغفلة عنه فمعنى هذا العلم إزالة هذه الغفلة **ولا خلاف فى وجوبها ، ومن** معانيها ترك المعاصى فى الحال والعزم على تركها فى الاستقبال وتدارك مـــا سبق من التقصير فى سابق الأحوال ، وذلك لا يشك فى وجوبه، وأما التندم على مـــا سبق والتحزن عليه فواجب ، وهو روح التوبة وبه تمام التلاقى فيكف لا يكون واجبا بل هو نوع ألم يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع فـــى سخط الله "(١) .

وقال القرطبى فى المفهم : " اختلفت عبارات المشايخ فيها " أى فى التوبـة " ، **فقائل يقول :** إنها الندم ، **وآخر يقول :** إنها العزم على أن لا يعود ، وآخـــر يقـــول الإقلاع عن الذنب ، ومنهم من يجمع بين الأمور الثلاثة وهو أكملها غير أنه مع مـــا فيه غير مانع ولا جامع . أما أولا فلأنه قد يجمع الثلاثة ولا يكون تائبا شـــرعا ، إذ قد يفعل ذلك شحا على ماله أو لئلا يعيره الناس به ، ولا تصح التوبة الشـــرعية إلا بالإخلاص ، ومن ترك الذنب لغير الله لا يكون تائبا اتفاقا ، وأما ثانيا فلأنه يخـــرج منه من زنى مثلا ثم جب ذكره فإنه لا يتأتى منه غير الندم على ما مضـــى ، وأمـــا

---

(١) " الإحياء " للغزالى ٤/٤ ، بتصرف يسير .

العزم على عدم العود فلا يتصور منه ، **قال** : وبهذا اغتر من قال إن الندم يكفى فى حد التوبة ، وليس كما قال لأنه لو ندم ولم يقلع وعزم على العود لم يكن تائبا اتفاقا . **قال** : وقال بعض المحققين هى اختيار ترك ذنب سبق حقيقة أو تقديرا لأجـــل الله . **قال** : وهذا أسد العبارت وأجمعها ، لأن التائب لا يكون تاركا للذنب الذى فرغ لأنـــه غير متمكن من عينه لا تركا ولا فعلا ، وإنما هو متمكن من مثله حقيقة ، وكذا مـــن لم يقع منه ذنب إنما يصح منه اتقاء ما يمكن أن يقع لا ترك مثل ما وقع فيكون متقيا لا تائبا ، **قال** : والباعث على هذا تنبيه إلهى لمن أراد سعادته لقبح الذنب وضـــرره لأنه سم مهلك يفوت على الإنسان سعادة الدنيا والآخرة ، ويحجبه عـــن معرفـــة الله تعالى فى الدنيا وعن تقريبه فى الآخرة . **قال** : ومن تفقد نفسه وجدها مشحونة بـــهذا السم ، فإذا وفق انبعث منه خوف هجوم الهلاك عليه فيبادر بطلب ما يدفع به عـــن نفسه ضرر ذلك، فحينئذ ينبعث منه الندم على ما سبق والعزم على ترك العود عليه، **قال** : ثم اعلم أن التوبة إما من الكفر وإما من الذنب ، فتوبة الكافر مقبولة قطعـــا ، وتوبة العاصى مقبولة بالوعد الصادق ، ومعنى القبول الخلاص من ضرر الذنـــوب حتى يرجع كمن لم يعمل ، ثم توبة العاصى إما من حق الله وإما من حق غيره فحق الله تعالى يكفى فى التوبة منه الترك على ما تقدم ، غير أن منه ما لم يكتف الشـــرع فيه بالترك فقط بل أضاف إليه القضاء أو الكفارة ، وحق غير الله يحتاج إلى إيصالها لمستحقها وإلا لم يحصل الخلاص من ضرر ذلك الذنب ، لكن من لم يقـــدر علـــى الإيصال بعد بذله الوسع فى ذلك فعفو الله مأمول فإنه يضمن التبعات ويبدل السيئات حسنات .

قال الحافظ ابن حجر قلت : حكى غيره عن عبد الله بن المبارك فى شـــروط التوبة زيادة فقال . الندم، والعزم على عدم العود ، ورد المظلمة ، وأداء ما ضيـــع

من الفرائض ، وأن يعمد إلى البدن الذى رباه بالسحت فيذيبه بالهم والحزن حتى ينشأ له لحم طيب ، وأن يذيق نفسه ألم الطاعة كما أذاقها لذة المعصية(١) .

قوله ﷺ " الله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلا " وفى رواية " بتوبة عبده المؤمن " وفى رواية عند مسلم " لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن " وإطلاق الفرح فى حق الله مجاز عن رضاه .

قال الخطابى : معنى الحديث أن الله أرضى بالتوبة وأقبل لها ، والفرح الذى يتعارفه الناس بينهم غير جائز على الله وهو كقوله تعالى " كل حزب بما لديهم فرحون " أى راضون .

وقال ابن فورك : الفرح فى اللغة السرور ، ويطلق على البطر ، ومنه " إن الله لا يحب الفرحين " ، ويطلق على الرضا فإن كل من يسر بشئ ويرضى به يقال فى حقه فرح به .

قال ابن العربى : كل صفة تقتضى التغير لا يجوز أن يوصف الله بحقيقتها، فإن ورد شئ من ذلك حمل على معنى يليق به ، وقد يعبر عن الشئ بسببه أو ثمرته الحاصلة عنه ، فإن من فرح بشئ جاد لفاعله بما سأل وبذل له ما طلب ، فعبر عن عطاء البارى وواسع كرمه بالفرح .

وقال ابن أبى جمرة : كنى عن إحسان الله للتائب وتجاوزه عنه بالفرح ، لأن عادة الملك إذا فرح بفعل أحد أن يبالغ فى الإحسان إليه .

وقال القرطبى فى المفهم : هذا مثل قصد به بيان سرعة قبول الله توبة عبده التائب وأنه يقبل عليه بمغفرته ويعامله معاملة من يفرح بعمله ، ووجه هذا المثل أن

---

(١) فتح البارى ١٠٢/١١-١٠٨ .

العاصي حصل بسبب معصيته في قبضة الشيطان وأسره ، وقد أشرف على الهلاك فإذا لطف الله به ووفقه للتوبة خرج من شؤم تلك المعصية وتخلص من أسر الشيطان ومن المهلكة التي أشرف عليها فأقبل الله عليه بمغفرته وبرحمته ، وإلا فالفرح الذي هو من صفات المخلوقين محال على الله تعالى لأنه اهتزاز وطرب بجده الشخصي من نفسه عند ظفره بغرض يستكمل به نقصانه ويسد به خلته أو يدفع به عن نفسه ضررا أو نقصا ، وكل ذلك محال على الله تعالى فإنه الكامل بذاته الغني بوجوده الذي لا يلحقه نقص ولا قصور، لكن هذا الفرح له عندنا ثمرة وفائدة، وهو الإقبال على الشئ المفروح به وإحلاله المحل الأعلى ، وهذا هو الذي يصح في حقه تعالى، فعبر عن ثمرة الفرح بالفرح على طريقة العرب في تسمية الشئ باسم ما جاوره أو كان منه بسبب ، وهذا القانون جار في جميع ما أطلقه الله تعالى على صفة من الصفات التي لا تليق به ، وكذا ما ثبت بذلك عن رسول الله ﷺ قوله "وبه مهلكة " كذا في الروايات التي وقفت عليها من صحيح البخاري ، وفي رواية لمسلم " في أرض دوية مهلكة " ، **والدوية** : هي القفر والمفازة ، وهي الداوية بإشباع الدال .

قوله " مهلكة " بفتح الميم واللام بينهما هاء ساكنة يهلك من حصل بها ، وفي بعض النسخ بضم الميم وكسر اللام من الرباعي أي تلك هي من يحصل بها .

قوله " عليها طعامه وشرابه " وزاد بعضهم " وما يصلحه " أي ينفعه في رحلته وطريقه .

قوله " فوضع رأسه فنام نومة " أي أصابه النعاس فنام واستغرق في النوم .

قوله " فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله " أي قام من نومه فوجد راحلته قد انفلتت من عقالها وذهبت هي وبما عليها من طعام وشراب وحاجاته الأخرى ، فأخذ في البحث عنها يمنة ويسرة حتى اشتد عليه

الحر وكثر من مشيه إخراج العرق ، فكان العطش وشدة الحر مع قسوة الصحـــراء وعنف حرها ولهيبها قوله " أو ما شاء الله " كناية عن أن تقدير هذا الأمر وشـدته لا يعلمه إلا الله لأن الذى وقع فيه هذا الرجل لا يخرج عن مشيئة الله .

قــوله " قال أرجع إلى مكانى " أى أعود إلى المكان الذى كنت نائمـــا فيـــه، فلعلها رجعت إلى المكان مرة أخرى . وفى رواية " أرجع إلى مكانى الذى كنت فيه فأنام حتى أموت فيه ، فوضع رأسه على ساعده ليموت " . وفى رواية " أرجع إلـــى مكانى الذى أضللتها فيه فأموت فيه ، فرجع إلى مكانه فغلبته عينه " .

قــوله " فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده " . وفى رواية " فنـام نومة ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده " ، وفى أخرى " فاستيقظ وعنده راحلته عليـــها زاده طعامه وشرابه " .

قــوله فى الحديث الثانى : " سقط على بعيره "(١) أى صادفه وعثر عليه مـــن غير قصد فظفر به ، وفى رواية " سقط إلى بعيره " أى انتهى إليه والأول أولى .

قــوله " وقد أضله " أى ذهب منه بغير قصده . **قال ابن السكيت : أضللـــت** بعيرى أى ذهب منى ، وضللت بعيرى أى لم أعرف موضعه .

قــوله " بفلاة " أى مفازة . وفى رواية مسلم " فانفلتت منه وعليـــها طعامـــه وشرابه فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها ، فبينما هو كذلك إذا بها قائمـــة عنده فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ مـــن شدة الفرح . **قال القاضى عياض :** فيه أن ما ناله الإنسان من مثل هذا فـــى حـــال دهشته وذهوله لا يؤاخذ به ، وكذا حكايته عنه على طريق علمى وفـــائدة شـــرعية

---

(١) عمدة القارئ ١٥/٤١٤-٤١٧ .

لا على الهزل والمحاكاة والعبث ، ويدل على ذلك حكاية النبى ﷺ ذلك ولــو كــان منكرا ما حكاه .

قــال ابن أبى جمرة : وفى حديث ابن مسعود فوائد :

١- جواز سفر المرء وحده لأنه لا يضرب المشرع المثل إلا بما يجوز ، ويحمــــل حديث النهى على الكراهة جمعا ، ويظهر من هذا الحديث حكمة النـــهى . **قـــال الحافظ ابن حجر قلت :** والحصر الأول مردود وهذه القصة تؤكد النهى .

٢- **قال :** وفيه تسمية المفازة التى ليس فيها ما يؤكل ولا يشرب مهلكة .

٣- **وفــيه :** أن من ركن إلى ما سوى الله يقطع به أحوج ما يكون إليه، لأن الرجل ما نام فى الفلاة وحده إلا ركونا إلى ما معه من الزاد ، فلما اعتمد علـــى ذلــك خانه ، لولا أن الله لطف به وأعاد عليه ضالته .

٤- **وفــيه:** أن فرح البشر وغمهم إنما هو على ما جرى به أثر الحكمة من العوائد، يؤخذ من ذلك أن حزن المذكور إنما كان على ذهاب راحلته لخوف الموت مــن أجل فقد زاده ، وفرحه بها إنما كان من أجل وجدانه ما فقد مما تنسب الحياة إليه فى العادة .

٥- **وفيه :** بركة الاستسلام لأمر الله ، لأن المذكور لما أيس من وجـــدان راحلتــه استسلم للموت فمن الله عليه برد ضالته .

٦- **وفيه :** ضرب المثل بما يصل إلى الأفهام من الأمور المحسوسة ، والإرشاد إلى الحض على محاسبة النفس ، واعتبار العلامات الدالة على بقاء نعمة الإيمان .

٧- **أقول :** وفيه مما لم يقله : هذا الكم الهائل من الحب الذى ليس له حدود بيــن الله وعباده ، حيث صور النبى ﷺ شوق الله لعباده المقبلين التائبين بذلك الذى فقــد الأمل فى الحياة على أىّ شكل من أشكالها ، وليس أمامه إلا الموت البشع وليـس الموت العادى ، حيث إن موته من الجوع والعطش ليس من مـــرض أو ألــم ،

فوجد مقومات حياته مرة أخرى على غير توقع أو ترتيب ، فمثلـــه لا يتمـــالك نفسه من شدة الفرح والطرب للعودة للحياة من جديد ، فهو بعث بعد موت ولـــذا أخطأ فقال : " أنت عبدى وأنا ربك " فلك أن تتصور هذه الفرحة مجتمعة .

وهذا الفرح العربيد الغير متمالك حال صاحبه لعود أسباب الحياة والنجاة إليـــه لتعلم شوق الله وحب الله الذى ليس من وراءه سوى حبه لهم وشفقته عليهم وحرصه عز وجل على إسعادهم فى الدنيا ، والنعيم الذى أعده لهم فى الجنة بلا مقابل ســـوى العودة إليه ، وليس فى العودة إليه منفعة تحصل له بل تحصل لهم ، وليس فى البعـد عنه ضياع منفعة تحصل له بل ضياع منفعة تحصل لهم ، حيث إن العباد لن يبلغـــوا نفعه فينفعوه أو يبلغوا ضره فيضروه فصلاحهم وفسادهم سواء بالنسبة له ، ولكـــن الدافع لذلك هو الحب وحده لا غير ولا شئ سواه ، وهو بكرمه وتعطفه بدأبه لنتعلـم كيف نحبه لنحبه ، **فقال** " يحبهم ويحبونـــه " ، وإذا كـــان حـــب الأب والأم للإبـــن وحرصهم على حياته وسلامته وتمنيهم له السعادة والسلامة بل يتمنى الأب أن يتفوق ابنه عليه وهو راض ، حيث إن شح نفسه يتوقف عند ابنه تماما ، **وفى المثل قالوا** " محدش يحب حد يكون أحس منه غير ابنه " ، والأب يفعل ذلك من غير انتظـــــار ، فكيف بالحبيب اللطيف الواحد القهار الذى خلق الأب والأم وخلق فيهم هذا العطـــف الرهيب ، فكيف به وهو أحب من كل حبيب وأقرب من كل قريب ؟ فالهمة الهمـــة واليقظة اليقظة قبل أن تحشرج الروح وتبلغ الحلقوم ، ويكون الطعام بعد ذلك مـــن زقوم ، وقبل أن تخرج شمسك من مغربها ويقال لك : الآن وقد عصيت قبل وكنـــت من المفسدين .

واعلم : أنك إذا فهمت معنى القبول لم تشك فى أن كل توبة صحيحـــة فـــهى مقبولة فالناظرون بنور البصائر المستمدون من أنوار القرآن علموا أن كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم فى الآخرة فى جوار الله تعالى ومستعد لأن ينظر بعينه الباقية

إلى وجه الله تعالى ، **وأعلم** : أن القلب خلق سليما فى الأصل ، وكل مولـود يولـد على الفطرة ، وإنما تفوته السلامة بكدوره ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها .

واعـلم : أن نار الندم تحرق تلك الغبرة وأن نور الحسنة يمحو عـن وجـه القلب ظلمة السيئة ، وأنه لا طاقة لظلام المعاصى مع نور الحسنات ، كما لا طاقـة لظلام الليل مع نور النهار ، بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصـابون ، وكما أن الثوب الوسخ لا يقبله الملك ؛ لأن يكون لباسه ، فالقلب المظلم لا يقبلـه الله تعالى لأن يكون فى جواره ، وكما أن استعمال الثوب فى الأعمال الخسيسة يوسـخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة ، فاستعمال القلب فى الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكيه ، وكـل قلـب زكى طاهر فهو مقبول ، كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول ، فإنما عليك التزكيـة والتطهير ، وأما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الأزلى الذى لا مرد له ، وهـو المسمى فلاحا فى قوله " قد أفلح من زكاها " ، ومن لم يعرف على سبيل التحقيـق معرفة أقوى وأجلى من المشاهدة بالبصر أن القلب يتأثر بالمعاصى والطاعات تـأثرا متضادا يستعار لأحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للآخر لفظ النور ، كمـا يسـتعار للعلم ، وأن بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما ، فكأنه لـم يبق من الدين إلا قشوره ، ولم يعلق به إلا أسماؤه وقلبه فى غطاء كثيف عن حقيقـة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ومن جهل نفسه فهو بغيره أجهل وأعنى بـه قلبه ، إذ بقلبه يعرف غير قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه ، فمن يتوهـم أن التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم أن الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول ، إلا أن يغوص الوسخ لطول تراكمه فى تجاويف الثوب وخلله ، فلا يقوى الصابون على قلعه ، فمثال ذلك أن تتراكم الذنوب حتـى تصـير طبعا ورينا على القلب ، فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب ، نعم قد يقول اللسـان

تبت فيكون ذلك كقول " صاحب المغسلة " بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب أصلا ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن به ، فهذا حال امتناع أصل التوبة ، وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية ، فهذا البيان كاف عند ذوى البصائر فى قبول التوبة ولكنا نعضد جناحه بنقل الآيات والأخبار والآثار ، فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به ، وقد قال تعالى " وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات " ، وقوله تعالى " غافر الذنب وقابل التوب " إلى غير ذلك من الآيات . وقال رسول ﷺ " إن لله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها " وأحاديث التوبة لاتحصى ، وأما الآثار فمنها " قول سعيد بن جبير فى قوله تعالى " إنه كان للأوابين غفورا . **قال :** فى الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب .

وقال طلق بن حبيب : إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العبد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين . **ويروى أن** رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من توبة ، فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فرأى عينيه تذرفان ، فقال له " إن للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تيأس .

ويروى أنه كان فى بنى إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنه ثم نظر فى المرآة فرأى الشيب فى لحيته فساءه ذلك فقال : إلهى أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فإن رجعت إليك أتقبلنى فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا : أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك وإن رجعت إلينا قبلناك .

وقال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى " إن لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتلبدوا من غير عى ولا بكم وإنهم هم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم فى الملكوت وجالت أفكارهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرعوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا إلى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم فى العلا حتى أناخوا فى رياض النعيم وخاضوا فى بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة ، وأقلعوا بريح النجاة فى بحر السلامة حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة . فهذا القدر كاف فى بيان أن كل توبة صحيحة فمقبولة لا محالة .

فإن قال قائل : أفتقول ما قالته المعتزلة من أن قبول التوبة واجب على الله ؟ **فأقول :** لا أعنى بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله إلا ما يريده القائل بقوله إن الثوب إذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ ، وإن العطشان إذا شرب الماء وجب زوال العطش ، وأنه إذا منع الماء مدة وجب العطش ، وإنه إذا دام العطش وجب الموت وليس فى شئ من ذلك ما يريده المعتزلة بالإيجاب على الله تعالى ، **بل أقول :** خلق الله تعالى الطاعة مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة ، كما خلق الماء مزيلا للعطش والقدرة متسعة بخلافه لو سبقت به المشيئة فلا واجب على الله تعالى ولكن ما سبقت به إرادته الأزلية فواجب كونه لا محالة ، فإن قلت : فما من تائب إلا وهو شاك فى قبول توبته والشارب للماء لا يشك فى زوال عطشه فلم يشك

فيه ، **فأقول** : شكه فى القبول كشكه فى وجود شرائط الصحة فإن للتوبة أركاناً وشروطاً دقيقة(١) من استكملها لا يُشك فى قبول توبته .

ثانياً : الاستغفار من الذنوب والأوزار

روى البخارى بسنده عن شدَّاد بن أوس ﷺ عن النبى ﷺ " سيدُ الاستغفار أن يقول : اللهمَّ أنتَ ربِّى لا إله إلا أنتَ خَلَقْتَنِى وأنا عبدُك وأنا على عَهْدِكَ ووَعدِكَ ما استطعت ، أعوذُ بك من شر ما صنعتُ ، أبُوءُ لك بنعمتكَ علىّ ، وأبُوءُ لك بذنبى ، اغفر لى ، فإنه لا يغفرُ الذنوب إلا أنت . قال : ومن قالها من النهار مُوقناً بها فمات من يومه قبل أن يُمسى فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو مُوقن بها فمات قبل أن يُصبحَ فهو من أهل الجنة "(٢) .

التعريف بالصحابى :

هو : شداد بن أوس بن ثابت الأنصارى البخارى أبو يعلى ، ويقال : أبو عبد الرحمن المدنى . روى عن النبى ﷺ وعن كعب الأحبار ، وروى عنه ابناه: يعلى ومحمد ، وبشير بن كعب العدوى وغيرهم من الصَّحابة والتابعين .

قال البخارى : قال بعضهم شهد بدرا ، ولم يُصح(٣) .

وقال ابن البرقى : كان أوس بن ثابت شهد بدرا ، واستشهد يوم أحد ، وتوفى شداد بن أوس بالشام .

وقال الطبرانى : أوس بن ثابت عقبى ، وهو أخو حسان بن ثابت ، وهو أبو شداد ، **قال عبادة بن الصامت :** شداد بن أوس من الذين أوتوا العلم قال ابن سعد

---

(١) الإحياء ٤/١٥ - بتصرف .

(٢) فتح البارى ، " كتاب الدعوات " ، " باب ٢- أفضل الاستغفار " ١١/٩٧ .

(٣) التاريخ الكبير للبخارى ٤/٢٢٤ .

وغير واحد : مات بالشام سنة " ٥٨ " ، وهو ابن خمس وسبعين سنة[١] .

وقال ابن حبان : قبره ببيت المقدس ومات سنة " ٥٨ " ، **وقال أبو نعيم فى "الصحابة"** : توفى بفلسطين فى أيام معاوية وعقبة ببيت المقدس[٢] .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

قوله " سيد الاستغفار " ، عبر النبى ﷺ بكلمة " سيد " لأن السيد فى الأصل الرئيس الذى يُقصد فى الحوائج ، ويرجع إليه فى الأمور ، ولما كان هذا الدعاء جامعاً لمعانى التوبة كلها استعير له هذا الاسم ، ولا شك أن سيد القوم أفضلهم ، وهذا الدعاء أيضاً سيد الأدعية وهو الاستغفار ، **فإن قيل** : ما الحكمة فى كونه سيد الاستغفار ؟ **أجيب** : بأنه وأمثاله من التعبديات ، والله تعالى أعلم بذلك ، لكن لا شك أن فيه ذكر الله تعالى بأكمل الأوصاف وذكر نفسه بأنقص الحالات ، وهو أقصى غاية التضرع ، ونهاية الاستكانة لمن لا يستحقها إلا هو[٣] .

" والاستغفار " أصله : غفر ، ومنه : الغفور الغفّار جل ثناؤه ، وهما من أبنية المبالغة ومعناهما الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم . يُقال : اللهم اغفرْ لنا مغفرةً وغفْراً وغُفْراناً ، وإنك أنت الغفورُ الغفارُ يا أهل المغفرة ، وأصلُ الغَفْر : التغطيةُ والسَّترُ ، غفر الله ذنوبه ، أى سترها ، والغفرُ : الغفرانُ ، **وفى الحديث** : كان إذا خرج من الخلاء قال : غفرانك ! . الغفران : مصدر منصوب بإضمار أطلب وفى تخصيصه بذلك قولان أحدهما : التوبةُ من تقصيره فى شكر النعم التى أنعم الله بها عليه بإطعامه وهضمه وتسهيل مخرجه ، فلجأ إلى الاستغفار من التقصير وترك الاستغفار من ذكر الله تعالى مُدّة لُبثه على الخلاء ،

---

(١) تهذيب الكمال ١٢/٣٨٩ . (٢) تهذيب التهذيب ٤/٢٨٦ ، ٢٨٧ .

(٣) عمدة القارئ ١٥/٤١٢ .

فإنه كان لا يترك ذكر الله بلسانه وقلبه إلا عند قضاء الحاجة ، فكأنه رأى تقصيرا فتداركه بالاستغفار .

وقد غفره يغفره غفرا : ستره . وكل شئ سترته ، فقد غفرته ، ومنه قيل للذى يكون تحت بيضة الحديد على الرأس : مغفر . وتقول العرب : اصبغ ثوبك بالسواد فهو أغفر لوسخه ، أى أحمل له وأغطى له . ومنه غفر الله ذنوبه أى سترها .

وقال ابن سيده : غفر المتاع فى الوعاء يغفره غفرا ، وأغفره أدخله وستره وأوعاه[١] .

هذا : وقد ورد فى فضل الاستغفار آيات كثيرة وأحاديث وفيرة ، منها :قوله عز وجل " والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون "[٢] .

وهذه الآية فيها إشارة إلى أن من شرط قبول الاستغفار أن يقلع المستغفر عن الذنب ، وإلا فالاستغفار باللسان مع التلبس بالذنب كالتلاعب .

وقال علقمة والأسود قال : عبد الله بن مسعود ﷺ فى كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنب عبد ذنبا فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له ، قوله تعالى " والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ... الآية " ، وقوله تعالى " ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما "[٣] ، ومن الآيات أيضا قوله تعالى " قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم "[٤] ، وقوله تعالى " والمستغفرين بالأسحار " ، وقوله تعالى " فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا " .

---

(١) لسان العرب ٣٢٧٤/٥ .
(٢) جزء آية من سورة آل عمران .
(٣) جزء آية من سورة النساء .
(٤) آية من سورة الزمر .

ومن الأحاديث النبوية: حديث أبى بكر الصديق ﷺ أنه قال لرسول الله ﷺ : علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى قال : " قل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لى مغفرة من عندك ، وارحمنى ، إنك أنت الغفور الرحيم "[١] . **وحديث أبى موسى الأشعرى ﷺ عن النبى ﷺ** أنه كان يدعو بهذا الدعاء " رب اغفر لى خطيئتى وجهلى ، وإسرافى فى أمرى كله وما أنت أعلم به منى . اللهم اغفر لى خطاياى وعمدى ، وجهلى وهزلى ، وكل ذلك عندى . اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم ، وأنت المؤخر، وأنت على كل شئ قدير "[٢] . **وروى أبو مالك الأشجعى ﷺ عن أبيه قال : كان** الرجل إذا أسلم علمه النبى ﷺ الصلاة ثم أمره أن يدعوا بهؤلاء الكلمات " اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وعافنى وارزقنى "[٣] . **وعن الأغر المزنى وكانت له صحبة :** أن رسول الله ﷺ قال : "إنه ليغان على قلبى، وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة"[٤]. **وعن الأغر المزنى ﷺ قال :** قال رسول الله ﷺ " يا أيها الناس توبوا إلى الله ، فإنى أتوب فى اليوم إليه مائة مرة "[٥]. **وعن أبى هريرة ﷺ قال :** سمعت رسول الله ﷺ يقول : والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة "[٦] . **وروى الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس ﷺ عن أبيه عن النبى ﷺ قال :** " من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ،

---

(١) أخرجه البخارى ، " كتاب الأذان " ، " باب الدعاء قبل السلام " ٣٧١/٢ ، وكتاب التوحيد ، " باب قول الله تعالى {وكان الله سمعيا بصيرا} ٣٧٢/١٣ . وأخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء والاستغفار ٢٠٧٨/٤ ، عن أبى بكر الصديق .

(٢) أخرجه البخارى ، " كتاب الدعوات " ، " باب قول النبى ﷺ " اللهم اغفر لى ... إلخ " ١٩٦/١١ . وأخرجه مسلم " كتاب الذكر والدعاء والتوبة " ، " باب التعوذ من شر ما عمل ، ٢٠٨٧/٤ ، عن أبى موسى .

(٣) صحيح مسلم ٢٠٧٣/٤ .

(٤) صحيح مسلم ٢٠٧٥/٤ .

(٥) صحيح مسلم ٢٠٧٥/٤ .

(٦) فتح البارى ١٠١/١١ .

ورزقه من حيث لا يحتسب "(١) . **وقال صحيح الإسناد** ، وقال رسول الله ﷺ " مـــا من مسلم يعمل ذنبا إلا وقف الملك الموكل بإحصاء ذنوبه ثـــلاث ســاعات ، فـــإن استغفر الله من ذنبه ذلك فى شئ من تلك الساعات لم يوقفه عليه ولم يعـــذب يـــوم القيامة "(٢) . **وقال خالد بن معدان** رضي الله عنه **يقول الله** : إن أحب عبادى إلى المتحـــابون بحبى والمتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت أهـــل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم " .

وقال قتادة رحمه الله : " القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم ، أما دائكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار " . **وقال سيدنا على كرم الله وجهه** : العجب ممـــن يـــهلك ومعه النجاة ، قيل وما هى؟ قال الاستغفار . وكان يقول : ما ألهم الله سبحانه عبـــدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه . **وقال بعض العلماء** : العبد بيـــن ذنـــب ونعمـــة لا يصلحهما إلا الحمد والاستغفار . **وقال الفضيل بن عياض** : الاستغفار بـــلا إقـــلاع توبة الكذابين . **وقالت رابعة العدوية** : استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير . **وقـــال بعض الحكماء** : من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله عز وجل وهـــو لا يعلم " . **وقد سمع أعرابى وهو متعلق بأستار الكعبة يقول** : اللهم إن استغفارى مـــع إصرارى للؤم ، وإن تركى استغفارك مع علمى بسعة عفوك لعجز ، فكم تتحبب إلى بالنعم مع غناك عنى ، وكم أتبغض إليك بالمعاصى مع فقرى إليك ، يا من إذا وعـــد وفى ، وإذا أوعد عفا ، أدخل عظيم جرمى فى عظيم عفوك ، يا أرحم الراحمين .

وقال أبو عبد الله الوراق : لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبـــا لمحيت عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا إن شاء الله تعـــالى " اللـــهم إنـــى استغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه ، وأستغفرك من كل ما وعدتك بـــه

(١ ، ٢) المستدرك ، " كتاب التوبة والإنابة " ، ٢٩١/٤ .

من نفسي ولم أوف لك به ، وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك، وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فاستعنت بها على معصيتك ، وأستغفرك ياعالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيته فى ضياء النهار وسواد الليل فى ملأ أو خلأ وسر وعلانية يا حليم "[1] . **ويقال** أن هذا استغفار آدم عليه السلام وقيل من دعاء الخضر عليه السلام .

وقد روى أثر عن الحسن البصرى ﷺ : أن رجلا شكى إليه الجدب ، فقال : استغفر الله ، وشكى إليه آخر الفقر ، فقال : استغفر الله ، وشكى إليه آخر جفاف بستانه ، فقال : استغفر الله ، وشكى إليه آخر عدم الولد ، فقال : استغفر الله ، ثم تلا عليهم آية الاستغفار التى فى سورة نوح وهى قوله تعالى " **فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا** "[2] .

قوله "أن يقول " أى العبد ، وثبت فى رواية أحمد والنسائى " إن سيد الاستغفار أن يقول العبد " وفى الترمذى " ألا أدلك على سيد الاستغفار " . قوله " اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت " أى ياالله أنت ربى الذى ربيتنى على موائد كرمك وجودك وعظيم فضلك ، حيث أنت ربى وإلهى ورب الكون ومن فيه فلا إله ولا معبود فى الكون سواك ، أنا أدعوك وأخاطبك يا من ليس لى غيرك ولا رب لى إلا أنت . قوله " خلقتنى " أى وأنا صنعتك ، حيث خلقتنى وسويتنى وركبتنى فى أجمل وأبهى صورة وفق مشيئتك وتقديرك فأنت أدرى بما صنعت وخالقت وقد جئت إليك راغبا فى عفوك وغفرانك ، قوله " وأنا عبدك " لا عبد غيرك فمليكتى خالصة لك

(١) الإحياء ٣١٦/١ .
(٢) سورة نوح من الآية ١٠ حتى ١٢ .

لا يشاركك فيها أحد ، ولا أرتضى بغيرك أحد . قوله " وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت " . **قال الخطابى :** يريد أنا على ما عهدتك عليه وواعدتك من الإيمان بك وإخلاص الطاعة لك ما استطعت من ذلك ، ويحتمل أن يريد أنا مقيم على ما عهدت إلى من أمرك ومتمسك به ، ومنتجز وعدك فى المثوبة والأجر ، واشتراط الاستطاعة فى ذلك معناه الاعتراف بالعجز والقصور عن كنه الواجب من حقه تعالى . **وقال ابن بطال :** قوله " وأنا على عهدك ووعدك " يريد العهد الذى أخذه الله على عباده ، حيث أخرجهم أمثال الذر ، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، فأقروا له بالربوبية وأذعنوا له بالوحدانية ، وبالوعد ما قال على لسان نبيه " إن من مات لا يشرك بالله شيئا وأدى ما افترض عليه أن يدخله الجنة " .

قال الحافظ ابن حجر قلت : وقوله وأدى ما افترض عليه زيادة ليست بشرط فى هذا المقام لأنه جعل المراد بالعهد الميثاق المأخوذ فى عالم الذر وهو التوحيد خاصة ، فالوعد هو إدخال من مات على ذلك الجنة ، وفى قوله " ما استطعت " إعلام لأمته أن أحدا لا يقدر على الإتيان بجميع ما يجب عليه لله ولا الوفاء بكمال الطاعات والشكر على النعم ، فرفق الله بعباده فلم يكلفهم من ذلك إلا وسعهم . قوله " أبوء لك بنعمتك على " ، **أبوء :** بالموحدة والهمزة مدود معناه : أعترف ، وأصله البواء ومعناه اللزوم ، ومنه بوأه الله منزلا إذا أسكنه فكأنه ألزمه به . والمعنى : أعترف بأنك صاحب الأفضال والنعم والمنن والكرم فما بى من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك ونعمك لا تحصى ولا تعد . قوله " وأبوء لك بذنبى " وأنا مع هذه النعم وذاك الكرم غلبتنى نفسى واتبعت هواى وسمعت وسوسة اللعين إبليس ، وأعترف لك بذنبى وتقصيرى ، ولذت بعظيم كرمك وسعة عفوك ورحمتك فلا تردنى خائبا ولا خاسرا ، إن تركتنى هلكت وضللت ضلالا مبينا ، وأفرحت فى الشيطان وأنت أرحم الراحمين وقابل التائبين ولم تغلق أبواب رحمتك أمام المذنبين وأنا منهم " إغفر

لى " فلا يقدر على الغفران غيرك وأنا لائذ بعظيم اللطف وجميل الكرم يـــا حليمـــا يرجى لكل عظيم اغفر لى " فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت " وأنـــا اعــترف بذنبـــى وجريرتى ، وجئت إليك تائبا برغبتى فلا نامت لى عين ولا قر لــــى قــرار حتـــى ترضى عنى يا قهار وتغفر لى الذنوب والأوزار ، وتمحـــو اســـمى مـــن صحيفـــة الأشرار فلا يقدر على ذلك غيرك يا وأحد يا قهار يا جبار يا غفار . **قولـــه** " **ومـــن قالها من النهار موقنا بها** " أى مخلصا من قلبه مصدقا بثوابها ، **قوله** " **فمـــات مـــن يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة** " أى دعى به فى النهار فمات كان مصـــــيره إلى الجنة . **قوله** " **ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو مـــن أهل الجنة** " .

قال ابن أبى جمرة : جمع رسول الله ﷺ فى هذا الحديث من بديـــع المعـــانى وحسن الألفاظ ما يحق له أنه يسمى سيد الاستغفار ، **ففيه :** الإقرار لله وحده بالألهية والعبودية ، والاعتراف بأنه خالق والإقرار بالعهد الذى أخذه عليه ، والرجـــاء بمـــا وعده به ، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفســـه ، وإضافـــة النعمـــاء إلـــى موجدها ، وإضافة الذنب إلى نفسه ، ورغبته فى المغفرة ، واعترافه بأنه لا يقــــدر أحد على ذلك إلا هو ، وفى كل ذلك الإشارة إلى الجمع بين الشريعة والحقيقة ، فـإن تكاليف الشريعة لا تحصل إلا إذا كان فى ذلك عون من الله تعالى ، وهذا القدر الذى يكنى عنه بالحقيقة ، فلو اتفق أن العبد خالف حتى يجرى عليه ما قدر عليه وقـــامت الحجة عليه ببيان المخالفة لم يبق إلا أحد أمرين : إما العقوبة بمقتضــــى العـــدل أو العفو بمقتضى الفضل .

وقال ابن أبى جمرة أيضا: من شروط الاستغفار صحة النية ، والتوجه والأدب فلو أن أحدا حصل الشروط واستغفر بغير هذا اللفظ الوارد لكن أخل بالشروط هـــل

يستويان ؟ **فالجواب** : أن الذى يظهر أن اللفظ المذكور إنما يكون سيد الاستغفار إذا جمع الشروط المذكورة[١] .

هذا : وقد استغفر المستغفرون أيضا بطرق مختلفة نثرا وشعرا كلها تعلن الولاء لله والرجوع إلى من أرض الذنوب إلى أرض التوبة ، وسوف أقدم نموذجين أحدهما شعرا والثانى نثرا .

فأما الشعر فهو للشيخ الفاضل الأستاذ / محمود أفندى عونى حيث قال :

١- أستغفر الله عد الرمل والمدر — أستغفر الله عد النبت والشجر
٢- أستغفر الله عد المزن ما هطلت — أستغفر الله عد الزهر والثمر
٣- أستغفر الله ما الأغصان قد رقصت — أستغفر الله عد اللين النضر
٤- أستغفر الله ما الأزهار قد نفحت — أستغفر الله عد الزاهر العطر
٥- أستغفر الله عد الماء حيث جرى — أستغفر الله عد السحب والمطر
٦- أستغفر الله ما الأطيار قد سجعت — أستغفر الله ما سبحن فى السحر
٧- أستغفر الله ما فى الأرض من جبل — أستغفر الله ما فى الأرض من حجر
٨- أستغفر الله عد الإبل ما سرحت — أستغفر الله عد الشعر والوبر
٩- أستغفر الله عد النمل ما سبحت — أستغفر الله عد الجن والبشر
١٠- أستغفر الله ما فى البحر من زبد — أستغفر الله ما فى النار من شرر
١١- أستغفر الله ما فى البحر من سمك — أستغفر الله ما فى البر من نفر
١٢- أستغفر الله عد الخلق ما انتشرت — أستغفر الله من نومى ومن سهرى
١٣- أستغفر الله عد الصحف ما تليت — أستغفر الله عد الآى والسور

---

(١) فتح البارى ١/٩٩/١٠٠ .

١٤- أستغفر الله عد الشمس ما طلعت أستغفر الله عد النجم والقمر
١٥- أستغفر الله من نفسى إذا طمعت أستغفر الله مما حزت فى كبرى
١٦- أستغفر الله مما قد جنته يدى أستغفر الله مما كان فى صغرى
١٧- أستغفر الله من خوف ومن جزع أستغفر الله مما سيق بالقدر
١٨- أستغفر الله ما تبدو مخالفة أستغفر الله مما هان بالنذر
١٩- أستغفر الله ما قد قيل من حكم أستغفر الله ما قد قيل من سير
٢٠- أستغفر الله عد الخيل ما برحت أستغفر الله عد السيف والوتر
٢١- أستغفر الله ما الأرماح قد طعنت أستغفر الله ما فى الحرب من صور
٢٢- أستغفر الله إذ ما كنت منهزما أستغفر الله من عزمى ومنتصرى
٢٣- أستغفر الله ما الأعلام قد رفعت أستغفر الله ما قد صح من خبر
٢٤- أستغفر الله من أمر أدبره أستغفر الله من ظنى ومن فكرى
٢٥- أستغفر الله من ذنبى ومن زللى أستغفر الله من نفع ومن ضرر
٢٦- أستغفر الله من علم بلا عمل أستغفر الله من صفو ومن كدر
٢٧- أستغفر الله مما قد رضيت به أستغفر الله من حظى ومن بطرى
٢٨- أستغفر الله من لعب ومن رتع أستغفر الله من هزل ومن سخر
٢٩- أستغفر الله من طبعى ومن خلقى أستغفر الله من أمن ومن حذر
٣٠- أستغفر الله من قبح ومن أدب أستغفر الله من نثر ومن شعر
٣١- أستغفر الله من عيب ومن سفه أستغفر الله من مدحى ومفتخرى
٣٢- أستغفر الله من حلمى ومن غضبى أستغفر الله من ضحكى ومن سمرى
٣٣- أستغفر الله من حزنى ومن فرحى أستغفر الله من جودى ومن قترى

٣٤- أستغفر الله من لمسى ومن شـمـمى أستغفر الله من سمعى ومن بصـوى
٣٥- أستغفر الله من شك ومـــن شـبه أستغفر الله من أمـــرى ومؤتمـرى
٣٦- أستغفر الله من قـــول بــه كـذب أســتغفر الله مــن ظلــم ومذدجـر
٣٧- أستغفر الله إذ ما كنت فــى فـرح أستغفر الله إذ ما كنـت فــى كـدر
٣٨- أستغفر الله ما قــد لا منــى أحـد أستغفر الله ما قد لمــت مــن نفـر
٣٩- أستغفر الله من حقد ومـــن حسـد أستغفر الله مـــن جـهر ومســتتر
٤٠- أستغفر الله ما اســـتعمرت باديــة أستغفر الله ما استوطنت فى الحضر
٤١- أستغفر الله من كسبى ومكتســبى أستغفر الله من ملكـــى ومدخــرى
٤٢- أستغفر الله مـــن ســقم وعافيــة أستغفر الله من غم ومـــن ضجـر
٤٣- أستغفر الله عـــد الحــل والحــرم أستغفر الله عـــد اللـــص والخفــر
٤٤- أستغفر الله ما قد ســـهلت طــرق أستغفر الله عـــد المســلك الوعــر
٤٥- أستغفر الله إذ ما كنت فـــى نعــم أستغفر الله فى ســـعدى ومفتقــرى
٤٦- أستغفر الله إذ ما كنت فى جــــزع أستغفر الله إذ ما كنت فـــى خطــر
٤٧- أستغفر الله لى فـــى كــل نائبــة أستغفر الله لى فى الموقف العســـر
٤٨- أستغفر الله لى ذخرى ومعتمـــدى أستغفر الله لى كـــنزى ومدخـــرى
٤٩- أستغفر الله ما صلى الإلـــه علـــى محمد المصطفى المختار من مضـو
٥٠- أستغفر الله ما فى طاعة ســـجدت لله أمتـــه الغــــراء بـــــالغرر
٥١- أستغفر الله ما المســـتغفرون تلــوا أستغفر الله عد الرمـــل والمــدر(١)

فانظر أيها القارئ إلى هذا النفس الطويل من هذا المستغفر ليكون حافزا لك على الاستغفار ، ونختار استغفارا وتوبة ودعاء منثورا لتتم الفائدة : وهو دعاء أبى

---

(١) المحامد العونية للشيخ / محمد عونى ، صـ ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ من غير ذكر المطبعة

البشر آدم عليه السلام واستغفاره تقول السيدة عائشة رضى الله عنها لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم ﷺ طاف بالبيت سبعا " أى آدم " وهو يومئذ ليس بمبنى ربوة حمراء ، ثم قام فصلى ركعتين ، ثم قال : " اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى ، فاقبل معذرتى، وتعلم حاجتى فأعطنى سؤالى، وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى، اللهم إنى أسألك إيمانا يباشر قلبى ، ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبته على والرضا بما قسمته لى يا ذا الجلال والإكرام ، فأوحى الله عز وجل إليه : إنى قد غفرت لك ولم يأتنى أحد من ذريتك فيدعونى بمثل الذى دعوتنى به إلا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ، ونزعت الفقر من بين عينيه ، واتجرت له من وراء كل تاجر ، وجائته الدنيا وهى راغمة ، وإن كان لا يريدها[١].

٤- الدعاء وأثره

الدعاء فى اللغة : الرغبة إلى الله عز وجل ، دعاه دعاء ودعوى حكاه سيبويه فى المصادر التى آخرها ألف التأنيث . واصطلاحا : هو طلب الأدنى من الأعلى شيئا على جهة الاستكانة . والدعوة : المرة الواحدة من الدعاء . والدعاء : واحد الأدعية ، وأصله دعاو لأنه من دعوت ، إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت . ودعا الرجل دعوا ودعاء : ناداه ، والاسم الدعوة ، ودوت فلانا أى صحت به واستدعيته . **قال أبو إسحاق فى قوله تعالى " أجيب دعوة الداع ، إذا دعان " معنى الدعاء لله على ثلاثة أوجه : فضرب** منها توحيده والثناء عليه ، كقولك : يا الله لا إله إلا أنت . وكقولك : ربنا لك الحمد ، إذا قلته فقد دعوته بقولك ربنا ، ثم أتيت بالثناء والتوحيد ، ومثله قوله تعالى " وقال ربكم ادعونى استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم دخرين " ، فهذا ضرب من الدعاء ،

---

(١) الإحياء ٣١٩/١ .

والضرب الثانى : مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منه كقولك : اللهم اغفر لنا ، **والضرب الثالث** : مسألة الحظ من الدنيا كقولك " اللهم ارزقنى مالا وولدا ، وإنما سمى هذا جميعه دعاء ، لأن الإنسان يصدر فى هذه الأشياء بقوله يا الله ، يا رب ، يا رحمن ، فلذلك سمى دعاء[1] .

أما الآيات التى تحث على الدعاء فى القرآن الكريم فكثيرة ، منها : قوله تعالى " وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون "[2] ، وقوله تعالى " ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين "[3] ، وقال تعالى " وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين "[4] ، وقال عز وجل " قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى "[5] .

وأما الأحاديث التى تحث على الدعاء فكثيرة ، منها :

ما رواه الترمذى بسنده عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : " ليس شئ أكرم على الله من الدعاء " . **وبسنده عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال :** " الدعاء مخ العبادة " . **وبسنده عن النعمان بن بشير عن النبى ﷺ قال :** " الدعاء هو العبادة . ثم قرأ " وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين " . **وبسنده عن أبى هريرة قال :** قال رسول الله ﷺ : " إنه من لم يسأل الله يغضب عليه "[6] .

---

(١) لسان العرب ١٣٨٥/٢-١٣٨٨ .
(٢) آية من سورة البقرة .
(٣) آية من سورة الأعراف .
(٤) آية من سورة غافر .
(٥) آية من سورة الإسراء .
(٦) سنن الترمذى " تحفة الأحوذى " ، " كتاب الدعوات " ، " باب ما جاء فى فضل الدعاء " ، ٢٥١/٩-٢٥٤ .

وبسنده عن عائشة ﵂ **قالت** : "كان رسول الله ﷺ يذكـــر الله علـــى كـــل أحيانه"(١) .

وفى الحديث أيضا عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قـــال : " إن العبـــد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما أن تعجل له دعوته ، وإما أن يدخر لـــه فـــى الآخرة وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها "(٢) .

هذا : ورسولنا ﷺ لم يترك مقاما من مقامات الخير إلا ودعا فيه ، فى الليل والنهار ، فى الضحى والسحر ، وعند كل حجر وشجر ، فمن الأمثلة على ذلك على سبيل المثال فى المناسبات : فقد كان النبى ﷺ يدعوا الله أن يغفر له ما تقـــدم مـــن ذنبه وما تأخر ، وهو بالطبع يعلمنا ذلك فقد روى البخارى بسنده عن أبـــى موســـى عن النبى ﷺ أنه كان يدعوا بهذا الدعاء : " رب اغفر لـــى خطيئتـــى وجـــهلى ، وإسرافى فى أمرى كله ، وما أنت أعلم به منى ، اللهم اغفر لى خطاياى وعمـــدى ، وجهلى وجدى ، وكل ذلك عندى ، اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أســـررت وما أعلنت ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، وأنت على كل شئ قدير "(٣) .

كما كان يتعوذ من فتنة الدنيا ، ويعلم أصحابه ذلك فمنها مـــا رواه البخـــارى بسنده عن سعد بن أبى وقاص قال : كان النبى ﷺ يعلمنا هؤلاء الكلمات كما تعلـــم الكتابة : اللهم إنى أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك من أن نـــرد إلى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر "(٤) .

---

(١) سنن الترمذى، " تحفة الأحوذى "، " كتاب الدعوات "، " باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة "، ٩/٢٦٥ .

(٢) أخرجه البخارى " كتاب الأدب " .

(٣) أخرجه البخارى " كتاب الدعوات " ، " باب قول النبى ﷺ اللهم اغفر لى ما قدمت ، ١١/١٩٦ .

(٤) أخرجه البخارى ، " كتاب الدعوات " ، " باب التعوذ من فتنة الدنيا " ، ١١/١٩٢ .

وما رواه البخارى بسنده عن حذيفة ﷺ **قــال :** كــان النبــى ﷺ إذا أخــذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده الأيمن ثم يقول: اللهم باسمك أموت وأحيــا ، وإذا استيقظ قال : الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور "(١) .

وبسنده عن البراء بن عازب ﷺ **قال :** كان إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن ثم قال : اللهم أسلمت نفسى إليك، ووجهت وجهى إليك وفوضت أمرى إليـك، وألجأت ظهرى إليك ، رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليــك ، آمنــت بكتابك الذى أنزلت ، ونبيك الذى أرسلت . وقال الرسول ﷺ من قالهن ثــم مــات تحت ليلته مات على الفطرة "(٢) .

كما أنه كان يدعوا إذا أنتبه من نومه بالليل ليتهجد ، فقد روى البخارى بســنده عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول فى دعائه : " اللهم اجعل فى قلبــى نورا ، وفى بصرى نورا ، وفى سمعى نورا ، وعن يمينى نورا ، وعــن يســارى نورا ، وفوقى نورا ، وتحتى نورا ، وأمامى نورا ، وخلفى نــورا ، واجعــل لــى نورا"(٣).

وعن ابن عباس ﷺ : كان النبى ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال : اللهم لــك الحمد ، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيــم الســماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد ، أنت الحق ووعدك حق ، وقولك حــق ، ولقــاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ، والنبيون حق ، ومحمد ﷺ حــق ، اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت ، وإليك أنبت وبــك خــاصمت ، وإليــك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم ، وأنت

(١) أخرجه البخارى ، " كتاب الدعوات " ، ١١٥/١١ .
(٢) أخرجه البخارى ، " كتاب الدعوات " ، ١١٥/١١ .

المؤخر ، لا إله إلا أنت — أو — لا إله غيرك "(١) ، الشك من الراوى . ووقع فـــى رواية الطبرانى فى آخره " ولا حول ولا قوة بالله العلى العظيم " .

كما أنه كان يدعوا الله إذا أصبح وإذا أمسى ، فمنها ما رواه الترمذى بســـنده عن عثمان بن عفان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " ما من عبدٍ يقول فى صبـــاح كُلِّ يومٍ ومساءِ كُلِّ يومٍ بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئٌ فـــى الأرض ولا فـــى السماء وهو السميع العليم ثلاث مراتٍ فيضرهُ شئ " .

وبسنده عن ثوبان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " من قـــال حيـــن يُمســى رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمدٍ نبيّاً ، كان حقاً على الله أن يُرضيه " .

وبسنده عن عبد الله ﷺ قال : كان النبى ﷺ إذا أمسى قال : أمسينا وأمســى الملك لله والحمد لله ، لا لإله إلا الله ، وحده لا شريك له ، أُراه قال : له الملكُ ولـــه الحمدُ وهو على كل شئٍ قدير ، أسألك خيرُ ما فى هذه الليلة وخـــير مـــا بعدهـــا ، وأعوذُ بك من شرِّ هذه الليلة وشر ما بعدها ، وأعوذ بك من الكسل وسوء الكـــبر ، وأعوذ بك من عذاب النار وعذاب القبر ، وإذا أصبح قال ذلـــك أيضـــاً : أصبحنـــا وأصبح الملكُ لله والحمدُ لله " .

وبسنده عن أبى هريرة ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ يُعلِّمُ أصحابه ، يقـول : إذا أصبح أحدُكم فليقُلْ : اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحييَ وبك نموُت وإليـــك المصير ، وإذا أمسى فليقُلْ : اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحييَ وبك نمـــوت وإليك النشور " (٢) .

---

(١) جزء من حديث ابن عباس أخرجه البخارى فى كتاب الدعوات ١١٦/١١ .
(٢) سنن الترمذى، "كتاب الدعوات"، "باب ما جاء فى الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى" ٢٦٩/٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢.

وبسنده عن أبى هريرة ﷺ قال : قال أبو بكر الصديق : يا رسول الله مُرنى بشيئ أقولُهُ إذا أصبحت وإذا أمسيتُ ، قال : " قل : اللهم عالم الغيب والشهادة ، فاطر السماوات والأرض ، ربَّ كُلِّ شيئ ومليكَهُ ، أشهدُ أن لا إله إلا أنت ، أعوذُ بك من شرِّ نفسى ومن شرِّ الشيطانِ وشِرْكِهِ . قال : قُلْهُ إذا أصبحت وإذا أمسيتَ وإذا أخذتَ مضجعكَ "(١) .

كما أنه كان إذا أوى إلى فراشه قال : الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا ، فكم مِمَّن لا كافى له ولا مؤوى له "(٢) ، وهو ما رواه عنه أنس بن مالك . وكذلك ما رواه أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : " من قال حين يأوى إلى فراشه أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحىُّ القيومُ وأتوبُ إليه ثلاث مرّات غفر الله له ذنُوبُه وإن كانت مثل زبد البحر ، وإن كانت عدد ورق الشجر ، وإن كانت عدد رملِ عالج ، وإن كانت عدد أيام الدُنيا "(٣) .

كما روى أيضاً عن حذيفة بن اليمان ﷺ : " أن النبى ﷺ كان إذا أراد أن ينام ، وضع يده تحت رأسه ثم قال " اللهم قنى عذابك يوم تجمع عبادك " .

وعن أبى هريرة ﷺ قال: " كان رسول الله ﷺ يأمُرُنا إذا أخذ أحدُنا مضجعه أن يقول : اللهم رب السماوات ورب الأراضين وربنا ورب كُلِّ شيئ فالقَ الحبِّ والنوى ، ومنزل التوراة والانجيل والقرآن ، أعوذ بك من شرِّ كُلِّ ذى شرٍّ أنت آخذٌ بناصيته ، أنت الأول فليس قبلك شيٌ ، وأنت الآخِرُ فليس بعدك شيئ . والظاهر فليس فوقك شيئ ، والباطنُ فليس دُونك شيئ اقضِ عَنِّى الدَّيْنَ واغنِنِى من الفقر " .

(١) سنن الترمذى ، " كتاب الدعوات " ، ٢٧٣/٩ .
(٢) سنن الترمذى ، " كتاب الدعوات " ، ٢٧٦/٩ .
(٣) سنن الترمذى ، " كتاب الدعوات " ، ٢٧٧/٩ .

وعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " إذا قام أحدكم عن فراشه ثـم رجع إليه ، فلينفضه بصنفة إزاره ثلاث مرات ، فإنه لا يدرى ما خلفه عليه بعـده ، فإذا اضطجع فليقل : باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه ، فإن أمسـكت نفسـى فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين ، فإذا استيقظ ، فليقل : الحمد لله الذى عافانى فى جسدى ورد روحى وأذن لى بذكره "(١) .

وروى الترمذى بسنده عن ابن عباس ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ليلة حين فرغ من صلاته " اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تـهدى بـها قلبـى ، وتجمع بها أمرى ، وتلم بها شعثى ، وتصلح بها غائبى وترفع بها شاهدى ، وتزكـى بها عملى ، وتلهمنى بها رشدى ، وترد بها ألفتى ، وتعصمنى بها من كـل سـوء . اللهم أعطنى إيمانا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك فـى الدنيـا والآخرة . اللهم إنى أسألك الفوز فى القضاء ونزل الشـهداء ، وعيـش السـعداء والنصر على الأعداء ، اللهم إنى أنزل بك حاجتى ، وإن قصر رأيـى ، وضعـف عملى افتقرت إلى رحمتك . فأسألك يا قضى الأمور ، ويا شفى الصدور كما تجـير بين البحور ، أن تجيرنى من عذاب السعير ، ومن دعوة الثبور . ومن فتنة القبور . اللهم ما قصر عنه رأيى ، ولم تبلغه نيتى ولم تبلغه مسألتى من خير وعدته أحدا مـن خلقك أو خير أنت معطيه أحدا من عبادك ، فإنى أرغب إليك فيه ، وأسألكه برحمتك رب العالمين ، اللهم ذا الحبل الشديد ، والأمر الرشيد أسألك الأمن يـوم الوعيـد ، والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود ، الركع السجود ، الموفين بالعـهود ، إنـك رحيم ودود ، وإنك تفعل ما تريد . اللهم اجعلنا هادين مـهتدين غـير ضـالين ولا مضلين سلما لأوليائك وعدوا لأعدائك نحب بحبك من أحبك ، ونعادى بعداوتك مـن

---

(١) سنن الترمذى ، ٩/٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ .

خالفك . اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة ، وهذا الجهد وعليك التكلان . اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ، ونورا فى قبرى ، ونورا من بين يدى ، ونورا من خلفى ، ونورا عن يمينى ، ونورا عن شمالى ، ونورا من فوقى ، ونورا من تحتى ، ونورا فى سمعى ، ونورا فى بصرى ، ونورا فى شعرى ، ونورا فى بشرى ، ونورا فى لحمى ، ونورا فى دمى ، ونورا فى عظامى . اللهم أعظم لى نورا وأعطنى نورا ، واجعل لى نورا ، سبحان الذى تعطف العز وقال به ، سبحان الذى لبس المجد وتكرم به ، سبحان الذى لا ينبغى التسبيح إلا له ، سبحانه ذى الفضل والنعم ، سبحان ذى المجد والكرم ، سبحان ذى الجلال والإكرام[١] .

كما أنه إذا افتتح الصلاة بالليل يدعوا الله أيضا ، فقد روى الترمذى بسنده عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : سألت عائشة بأى شئ كان النبىﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاته فقال "اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك على صراط مستقيم "[٢] .

كما أنه ﷺ كان يستفتح الصلاة بالدعاء ، وكذا الركوع والسجود ، وفى هذا الحديث المبارك الذى أذكره فوق ما يوصف من الجمال فى الدعاء فى الصلاة :

فقد روى الترمذى بسنده عن على بن أبى طالب " أن رسول الله ﷺ كان إذا قام فى الصلاة قال : وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ، إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له

(١) سنن الترمذى ، " كتاب الدعوات " ، ٢٩٧/٩ ، ٣٠١ .

(٢) سنن الترمذى ، " كتاب الدعوات " ، ٣٠٢/٩ .

وبذلك أمرت وأنا من المسلمين. اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى جميعا ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، واهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت ، آمنت بك تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك ، فإذا ركع قال : اللهم لك ركعت وبك أمنت ولك أسلمت ، خشع لك سمعى وبصرى ومخى وعظمى ، وعصبى . فإذا رفع رأسه قال : اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات والأراضين وما بينهما وملء ما شئت من شئ ، فإذا سجد قال : اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت ، سجد وجهى للذى خلقه فصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين . ثم يكون آخر ما يقول بين التشهد والسلام : اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت[١] . وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح ، كما روى بطرق أخرى قريبة ، وكلها صحيحة .

كما أنه كان يقول إذا خرج من بيته :

فقد روى أنس بن مالك ﷺ عن النبى ﷺ : " من قال — يعنى إذا خرج من بيته — : بسم الله توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، يقال له : كفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان "[٢] .

وعن أم سلمة " أن النبى ﷺ كان إذا خرج من بيته قال : بسم الله توكلت على الله ، اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل أو نضل أو نظلم أو نظلم أو نجهل أو يجهل علينا "[٣] .

---

(١) سنن الترمذى ، " كتاب الدعوات " ، ٩/٣٠٣-٣٠٥ . (٢) سنن الترمذى ، " كتاب الدعوات " ، ٩/٣١٠ .

(٣) سنن الترمذى ، " كتاب الدعوات " ، ٩/٣١١ .

وكذلك روى الترمذى عن محمد بن واسع قال : قدمت مكة فلقينى أخى سالم بن عبد الله فحدثنى عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : " من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير ، كتب الله له ألف ألف حسنة ومحى عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة " ، كما رواه ابن ماجه وابن أبى الدنيا والحاكم وصححه[١] .

وكذلك تعليمه ﷺ لأصحابه ولنا ما نقوله عند المرض :

فقد روى الترمذى بسنده عن الأغر أبى مسلم قال : أشد على أبى سعيد وأبى هريرة أنهما شهدا على النبى ﷺ أنه قال : " من قال لا إله إلا الله والله أكبر صدقه وقال لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال لا إله إلا الله وحده ، قال : يقول الله : لا إله إلا أنا وأنا وحدى ، وإذا قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قال الله : لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى ، وإذا قال : لا إله إلا الله له الملك وله الحمد ، قال الله : لا إله إلا أنا لى الملك ولى الحمد ، وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال الله لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بى . وكان يقول : من قالها فى مرضه ثم مات لم تطعمه النار " ، وكذلك أخرجه النسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححاه[٢] .

كما يعلمنا ﷺ إذا رأينا مبتلى بمرض من الأمراض أو العاهات أن نقول ما رواه عنه أبو هريرة حيث قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : " من رأى مبتلى فقال : الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به ، وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا، لم يصبه ذلك البلاء "[٣] .

---

(١) سنن الترمذى ، " كتاب الدعوات " ، ٣١٢/٩ . (٢) سنن الترمذى ، " كتاب الدعوات " ، ٣١٤/٩ .

(٣) سنن الترمذى ، " كتاب الدعوات " ، ٣١٦/٩ .

ومن المعلوم أن يقول ذلك سرا فى نفسه لا فى وجه صاحب العاهة المبتلى أو المريض .

كما يعلمنا ﷺ كيف نختم مجالسنا التى جلسنا فيها فخلطنا عملا وقولا صالحا، بعمل وقول سيئ أن نقول ما رواه عنه أبو هريرة حيث قال : قال رسول الله ﷺ : " من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه ؟ فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك " وقد أخرج هذا الحديث مع الترمذى أبى داود والنسائى والحاكم فى المستدرك ، والبيهقى فى الدعوات الكبير وابن حبان[٣] كما أن أصحابه كانوا يعدون له استغفاره الكثير أثناء المجلس فقد روى ابن عمر رضي الله عنه قال " كان تعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم ، رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الغفور " [٢] . فقد أخرجه أيضا أحمد ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجة ، وابن حبان .

كما أنه يعلمنا أننا إذا أصابنا ضر أو كرب ، أو مصيبة ، أن لا يكون حالنا الاعتراض والتذمر ، وإظهار الضجر ، أو التبرم بالظروف التى وقعنا فيها بل المطلوب هو ما أخبرنا به ابن عباس " **أن نبى الله ﷺ كان يدعوا عند الكرب :** لا إله إلا الله العليم الحليم الحكيم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش الكريم " ولقد أخرج الحديث البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة [٣].

---

(١) سنن الترمذى ، " كتاب الدعوات " ، ٣١٧/٩ .   (٢) سنن الترمذى ، " كتاب الدعوات " ، ٣١٧/٩ .

(٣) البخارى " كتاب الدعوات " ، باب الدعاء عند الكرب، ١٤٥/١١ ولكن اللفظ الذى معنا رواه الترمذى ، كتاب الدعوات ،٣١٨/٩.

كما يخبرنا أبو هريرة " أن النبى ﷺ كان إذا أهمه الأمر رفـع رأسـه إلـى السماء فقال : سبحان الله العظيم ، وإذا اجتهد فى الدعاء قال : يا حى يا قيـوم "(١) ورواية البخارى ومسلم " لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إلـه إلا الله رب العـرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم "(٢) .

كما كان يعلمنا ﷺ إذا نزلنا فى مكان دعت الضرورة البقاء فيه لبعض الوقت أو المبيت فيه ، وربما لأن المكان مهجور فى صحراء ، أو فندق ، أو بيت ولكـن لا يجلس فيه كثيرا ، أو غالبا لا يبيت فيه أحد ، ومن هنا قد تسكنه الجن والشـياطين فإذا جلس الشخص ربما آذوه فى منامه فأفزعوه فإذا به يعلمنا الكلمات التى إذا قلناها تسلست الشياطين وحبست عن أذانا ، فقد روت السيدة خولة بنت حكيم السلمية عـن رسول الله ﷺ أنه قال " من نزل منزلا ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر مـا خلق ولم يضره شئ حتى يرتحل من منزله ذلك "(٣) .

ولتأكيد ما ذكرت ، ما أخبرنا به أبو هريرة قال : جاء رجل إلـى النبـى ﷺ فقال : يا رسول الله ، ما لقيت من عقرب لدغتنى البارحة ! قال " أما لو قلت حيـن أمسيت : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم تضرك"(٤).

كما أنه ﷺ يعلمنا ما نقوله إذا خرجنا مسافرين أيا كان نوع السفر ، للعمـل ، أو للدراسة ، أو للزيارة من ركوب الدابة " حمار ، أو جمل ، أو فرس ، أو سيارة ، أو طيارة ، أو غير ذلك " فكان يصنع الآتى :

عن ابن عمر رضي الله عنه " أن النبى ﷺ إذا سافر فركب راحلته كـبر ثلاثـا وقـال

---

(١) سنن الترمذى ، " كتاب الدعوات " ، ٣١٩/٩ . (٢) مسلم ، فى كتاب الذكر والدعاء ، ٤/ ٢٠٩٣ .
(٣) مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، ٢٠٨١،٢٠٨٠/٤ . (٤) مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، ٢٠٨١/٤ .

" سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون "[١]. ثم يقول : " اللهم إنى أسألك فى سفرى هذا من البر والتقوى ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا المسير واطوعنا بعد الأرض اللهم أنت الصاحب فى السفر ، والخليفة فى الأهل ، اللهم اصحبنا فى سفرنا ، واخلفنا فى أهلنا" . وكان يقول إذا رجع إلى أهله " أى وهو عائد من سفره إلى بيته " "آئبون إن شاء الله تائبون عابدون لربنا حامدون " والحديث أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى[٢]. كما أنه ورد بطرق أخرى تعطى نفس الهدف والغرض .

كما أنه أخبرنا أن المسافر لا ترد دعوته فقال رسول الله ﷺ " ثلاث دعوات مستجابات : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده " وفى رواية " مستجابات لا شك فيهن "[٣].

كما كان يعلمنا ما نقول إذا هاجت الريح : فعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى ﷺ إذا رأى الريح قال : اللهم إنى أسألك من خيرها وخير ما فيها ، وخر ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به "[٤] والحديث أخرجه مسلم مطولا .

فماذا يكون الحال لو اشتدت الريح مصحوبة بالرعد والصواعق كما يحدث فى الشتاء هل نغلق الأبواب فقط ونهرب أماذا نقول ؟ يعلمنا ﷺ فيما رواه عنه سيدنا عمر بن الخطاب " أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال : اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك "[٥] وهذا الحديث أخرجه

---

(١) سورة الزخرف آية "١٣ ، ١٤" .
(٢) سنن الترمذى ، كتاب الدعوات ، ٣٢٩/٩ .
(٣) سنن الترمذى ، كتاب الدعوات ، ٣٣٠/٩ .
(٤) سنن الترمذى ، كتاب الدعوات ، ٣٣٠/٩ .
(٥) سنن الترمذى ، كتاب الدعوات ، ٣٣١/٩ .

أحمد والبخارى فى الأدب المفرد والنسائى فى اليوم والليلة والحاكم فى مستدركه .

ثم يعلمنا ما نقوله إذا رأينا الهلال فى أول الشهر . فعن طلحة بن عبيد الله " أن النبى ﷺ كان إذا رأى الهلال قال : اللهم أهلله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام . ربى وربك الله "(١) وقد أخرجه أحمد والدارمى والحاكم وابن حبان .

ثم إذا به يعلمنا ماذا نقول إذا غضبنا ، ووقعنا فى انفعال الغضب هل نتمادى أم نتراجع ، وما الشئ الذى إذا قلناه بصدق أذهب عنا الانفعال والغضب هذا ما يخبرنا به الصحابى الجليل معاذ بن جبل حيث يقول " استب رجلان عند النبى ﷺ حتى عرف الغضب فى وجه أحدهما فقال النبى ﷺ " إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب غضبه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم "(٢).

وفى رواية البخارى عن سليمان بن صرد رجلا من أصحاب النبى ﷺ قال " استب رجلان عند النبى ﷺ ، فغضب أحدهما فاشتد غضبه حتى انتفخ وجهه وتغير، فقال النبى ﷺ : إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الذى يجد . فانطلق إليه الرجل فأخبره بقول النبى ﷺ وقال : تعوذ بالله من الشيطان . فقال " أى الرجل " أترى بى بأس ، أمجنون أنا ؟ إذهب "(٣).

ثم ما حالنا إذا قام أحدنا من نومه وقد رأى شيئا يكرهه فى منامه ماذا يفعل ، وإذا رأى شيئا طيبا ماذا يفعل ؟ روى البخارى بسنده عن عبد ربه بن سعيد قال : سمعت أبا سلمة يقول: " لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضنى حتى سمعت أبا قتادة يقول : وأنا كنت أرى الرؤيا تمرضنى حتى سمعت النبى ﷺ يقول : الرؤيا الحسنة من الله

---

(١) سنن الترمذى ، كتاب الدعوات ، ٣٣٢/٩ .
(٢) سنن الترمذى ، كتاب الدعوات ، ٣٣٣/٩ .
(٣) سنن الترمذى ، كتاب الدعوات ،٣٦٥/٩ .

فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب ، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان ، وليتفل ثلاثا — أى عن يساره — ولا يحدث بها أحـدا فإنها لن تضره "(١).

فماذا كان حاله ﷺ إذا جاءه أصحابه بأوائل أى ببشاير الثمار والفواكـه ، أى فى أوائل ما تستوى بعض الثمر على الشجر مثل بشاير البلـح بعضـه أخضـر وبعضه قد احمر ، وبشاير الجوافة والخوخ والمانجو والكمثرى ، فمـاذا يجـب أن نصنع من الدعاء وغيره هذا ما علمنا إياه أهل المدينة بفعلهم الطيب لرسول الله ﷺ وما كان منه ﷺ من الدعاء للثمار والأشجار وأهل الدار ، حتى نصنع ذلك بعلمائنـا إذا كان عندنا ثمر أيا كان نوعه أن نقدم أول ما نقدم لعلمائنا مع طلب الدعاء لثمارنا وشجرنا وديارنا لتحصل البركة ويعم الخير . فعن أبى هريرة قال : كان النـاس إذا رأو أول الثمر جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ فإذا أخذه رسول الله ﷺ قـال : اللـهم بارك لنا فى ثمارنا ، وبارك لنا فى مدينتنا ، وبارك لنا فى صاعنا ومدنا ، اللـهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ، ونبيك ، وإنى عبدك ونبيك وإنه دعاك لمكة ، وأنا أدعـوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة ، ومثله معه ، قال ثم يدعو أصغر وليد يراه فيعطيـه ذلك الثمر "(٢) وقد أخرجه مسلم وابن ماجة .

كما علمنا ﷺ فى آداب الطعام — سوف يذكر فى بابه — كيـف نحمـد الله ونشكره على النعمة فعن أبى أمامة قال : كان رسول الله ﷺ إذا رفعت المائدة مـن بين يديه يقول " الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، غير مودع ولا مستغنى عنـه ربنا "(٣) أخرجه البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجة ، وأحمد فى سننه .

---

(١) البخارى ، كتاب التعبير ، باب إذا رأى ما يكره ..... إلخ ، ١٢/٤٣٠ .
(٢) سنن الترمذى ، ٩/٣٣٦ .
(٣) سنن الترمذى ٩/٣٣٩ .

وعن أبى سعيد قال " كان النبى ﷺ إذا أكل أو شرب قال : الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين " . والحديث أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهم .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه **قال** : قال رسول الله ﷺ " من أكل طعاما فقال الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقينه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه"[١] وهذا أخرجه أحمد وابن ماجة .

ثم إذا به يعلمنا أن الله قد خلق أجهزة إنذار لنا نستطيع بها أن نبتعد عن الشر ونقترب من الخير ، وجعل لإنذار الشر صوت عال قبيح ، ولإنذار الخير صوت عال رقيق مع التسمية المختلفة لكل منها فيخبرنا حبيبنا فيما رواه عنه أبو هريرة قال " إذا سمعتم صياح الديكة فأسلوا الله من فضله فإنها رأت ملكا ، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطانا "[٢] وفى رواية أبى داود والنسائى والحاكم من حديث جابر " ونباح الكلاب " .

كما يعلمنا ﷺ أن ندعوا لأحبابنا وأصحابنا فى أوقات لا يكونوا معنا فيها أثناء الدعاء وهو ما يسمى الدعاء بظاهر الغيب ، وذلك إذا كانوا فى ظروف صحية أو مالية ، أو غير ذلك ، أو كانوا يقعون فى بعض المعاصى ، أو أن الشيطان ييسر لهم أعمال الشر فالمطلوب هو الدعاء لهم بالهداية والتوفيق وأن مثل هذا الدعاء لا ترده السماء . فقد روى مسلم بسنده عن صفوان بن عبد الله بن صفوان — وكان زوج الدرداء — قال : قدمت الشام ، فأتيت أبا الدرداء فى منزله فلم أجده ، ووجدت

(١) سنن الترمذى ٣٤٠/٩ .

(٢) أخرجه البخارى ، كتاب بدء الخلق ، باب خير مال المسلم ٣٥٠/٦ ، ومسلم كتاب الذكر والدعاء ، باب استحباب صياح الديك ٣٠٩٢/٤ . والترمذى ، كتاب الدعوات ٣٤١/٩ عن ابى هريرة . كما أخرجه أبو داود فى الأدب ، والنسائى فى التفسير وفى عمل اليوم والليلة .

أمَّ الدرداء ، فقالت : أتُريدُ الحجَّ العام ؟ فقلتُ : نعم قالت : فادعُ الله لنا بخير . فـإن النبى ﷺ كان يقول : " دعوةُ المرءِ المُسلمِ لأخيه ، بظهرِ الغيبِ مستجابةٌ عند رأسه ملَكٌ مُوكَّلٌ كلَّما دعا لأخيه بخير ، قال الملكُ الموكَّلُ به ، آمين ، ولك بمثلٍ "(١). كما أن هناك أدعية كثيرة لمن أراد الرجوع إليها .

هذا : ولكل شئ آداب إذا تحلينا بها أُعطينا ثمرتها وبركتها ، وكذلك الدعـاء إذاً فما هى آداب الدعاء ؟

نقول : آداب الدعاء عشرة وهى :

الأول : أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ، ورمضان من الأشهر ، ويوم الجمعة من الأسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال تعـالى " وبالأسحار هم يستغفرون " ، وقال ﷺ " ينزّلُ ربُّنا تبارك وتعالى كلَّ ليلـةٍ إلـى سماء الدنيا حين يبقى ثلثُ الليل الآخر ، فيقول : من يدعونى فأسـتجب لـه ، مـن يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفرَ له "(٢).

الثانى : أن يغتنم الأحوال الشريفة ، يقول الصحابى الجليل أبا هريرة رضـى الله عنه " إن أبواب السماء تُفتح عند زحف الصفوف فى سبيل الله تعالى وعند نزول الغيث ، وعند إقامة الصلاة المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها " . وقال مجاهد إن الصلاة جُعلت فى خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات ، وقال ﷺ " الدعـاء بيـن الأذان والإقامة لا يُرد " وقوله ﷺ " الصائم لا تُرد دعوتـه " وبالحقيقـة : يرجـع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضاً إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الدعاء ٢٠٩٤/٤ .

(٢) البخارى كتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل ١٢٨/١١ ، ١٢٩ .

وفراغه من المشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلـوب على استدرار رحمة الله عز وجل فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها مـن أسرار لا يطلع البشر عليها ، وحالة السجود أيضا أجدر بالإجابة قال أبو هريرة ﷺ قال النبيﷺ "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا فيه الدعاء"رواه مسلم.

الثالث : أن يدعوا مستقبلا القبلة ، ويرفع يديه بحيث يرى بياض إبطيه .

فقد أثر عن النبي ﷺ كما روى ابن عباس : أنه كان إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونها مما يلي وجهه ، ولا يرفع بصره إلى السماء أثناء الدعـــاء ، حيــث إن الله يتجلى برحمته ، فربما تخطف الأبصار من جلاله ، فقد قال ﷺ " لينتهين أقوام عـن رفع أبصارهم عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم " .

الرابع : خفض الصوت بين المخافتة والجهر ، فقد روى أبو موسى قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا ، فقال النبي ﷺ : " أيها الناس ، أربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ولكن تدعون سميعا بصيرا . ثم أتـــى علي وأنا أقول في نفسي : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال : يا عبد الله بن قيس ، قل لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة ، أو قال : ألا أدلك على كلمة هي كنز من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله "[١] .

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل " ولا تجـــهر بصلاتــك ولا تخافت بها " أي بدعائك وقد أثنى الله ﷻ على نبيه زكريا عليه السلام حيـــث قـــال " **إذ نادى ربه نداء خفيا** " ، وقال ﷻ " **ادعوا ربكم تضرعا وخفية** " .

---

(١) البخاري ، " كتاب الدعوات " ، " باب الدعاء إذا علا قبه " ، ١٨٧/١١ .

الخامس : أن لا يتكلف السجع فى الدعاء ، فإن حال الداعى ينبغى أن يكون حال متضرع ، والتكلف لا يناسبه ، فقد روى البخارى بسنده عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال : حدث الناس كل جمعة مرة ، فإن أبيت فمرتين فإن أكثرت فثلاث مرات ، ولا تمل الناس هذا القرآن ، ولا ألفينك تأتى القوم وهم فى حديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم ، ولكن أنصت ، فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه ، فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه ، فإنى عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب "[1] .

وقد قال الله تعالى " **ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين** " ، قيل معناه التكلف للأسجاع ، والأولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة ، فإنه قد يعتدى فى دعائه فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته ، فما كل أحد يحسن الدعاء ، ولذلك روى عن معاذ ﷺ : إن العلماء يحتاج إليهم فى الجنة إذ يقال لأهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء ، وقد قال ﷺ " إياكم والسجع فى الدعاء حسب أحدكم أن يقول اللهم إنى أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليه من قول وعمل .

وقال بعضهم : ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ، ويقال : إن العلماء والأبدال لا يزيدون فى الدعاء على سبع كلمات فما دونها ، ويشهد له آخر سورة البقرة ، فإن الله تعالى لم يخبر فى الدعاء موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك .

واعلم أن المراد بالسجع : هو المتكلف من الكلام، فإن ذلك لا يلائم الضراعة والذلة ، وإلا ففى الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ كلمات متوازنة لكنها غير

---

(١) البخارى ، " كتاب الدعوات " ، " باب ما يكره من السجع فى الدعاء " ، ١٣٨/١١ .

متكلفة كقوله ﷺ "أسألك الأمن يوم الوعيد ، والجنة يوم الخلـــود ، مـــع المقربيـــن الشهود ، والركع السجود ، الموفين بالعهود ، إنك رحيم ودود ، وإنك تفعل ما تريد" وغير ذلك مما مر من دعاء ، فليقتصر على المأثور من الدعوات أو ليلتمس بلســان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف ، فالتضرع هو المحبوب عند الله ﷻ .

السادس : التضرع والخشوع والرغبة والرهبة ، قال الله تعالى " **إنهم كـانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا** " ، وقال عز من قائل " **ادعوا ربكـم تضرعا وخفية** " .

السابع : أن يجزم الدعاء ، ويوقن بالإجابة ، ويصدق رجاءه فيه، فقد قالﷺ "إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولن اللهم إن شئت فأعطنى فإنه لا متسكره له"، هذا ما رواه أنس بـــن مـــالك ، وأمـــا مـــا رواه أبـــو هريـــرة ﷺ فـــهو قولـــه " لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لى إن شئت ، اللهم ارحمنى ، إن شئت ليعزم المســـألة فإنه لا مستكره له "(١) . وقال ﷺ " ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، وعلمـــوا أن الله ﷻ لا يستجيب دعاء من قلب غافل " . وقال سفيان بن عيينة " لا يمنعن أحدكـم من الدعاء ما يعلم من نفسه فإن الله ﷻ أجاب دعاء شر الخلـــق إبليـــس لعنـــه الله إذ قال " **رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين** " .

الثامن : أن يلح فى الدعاء ويكرره ثلاثا ، قال ابن مسعود ﷺ كان ﷺ إذا دعا دعا ثلاثا ، وإذا سأل سأل ثلاثا " ، وينبغى أن لا يستبطئ الإجابـــة لقولـــه ﷺ " يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لى "(٢) .

---

(١) البخارى ، " كتاب الدعوات " ، ليعزم مسألة ، ١١ / ١٣٩ .
(٢) سنن الترمذى ، " كتاب الدعوات " ، ٩/٢٦٨ .

التاسع : أن يفتتح الدعاء بذكر الله ﷻ ، فلا يبدأ بالسؤال . قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبى ﷺ ثم يسأله حاجته ثم يختتم بالصلاة على النبى ﷺ فإن الله ﷻ يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما ، **وقد قال أبو الدرداء :** إذا سألتم الله عز وجل حاجة فابتدءوا بالصلاة على النبى ﷺ فإن الله ﷻ أكرم من أن يسئل حاجتين فيقضى إحداهما ويرد الأخرى .

العاشر : وهو الأدب الباطن وهو الأصل فى الإجابة التوبة ورد المظالم والإقبال على الله ﷻ بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب فى الإجابة ، فيروى عن كعب الأحبار أنه قال : أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى رسول الله ﷺ فخرج موسى ببنى إسرائيل يستسقى بهم فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا فأوحى الله ﷻ إلى موسى عليه السلام إنى لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام فقال موسى يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا ، فأوحى الله ﷻ إليه : يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما ، فقال موسى لبنى إسرائيل : توبوا إلى ربكم بأجمعكم عن النميمة ، فتابوا فأرسل الله تعالى عليهم الغيث .

وقال **يحيى الغسانى :** أصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم ، **فقال أحدهم:** اللهم إنك أنزلت فى توراتك أن نعفو عمن ظلمنا ، اللهم إنا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا . **وقال الثانى:** اللهم إنك أنزلت فى توراتك أن نعتق أرقاءنا ، اللهم إنا أرقاؤك فأعتقنا . **وقال الثالث:** اللهم إنك أنزلت فى توراتك أن لا نرد المساكين إذا وقفوا بأبوابنا ، اللهم إنا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا فسقوا[١] .

---

(١) الإحياء ، ٣١/١

وهذه نماذج من بعض الأحاديث التى وردت فى أدعية الدعاء حتى يتم لنا هذا الموضوع وقد اخترت أربعة أحاديث متنوعة فى الدعاء مع شرحها شرحا مبسطا لتتم بذلك الفائدة .

" دعاء الاستخارة "

نص الحديث الأول

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول : إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ، أو قال فى عاجل أمرى وآجله فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرا لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال : عاجل أمرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم أرضنى . قال: ويسمى حاجته"(١).

ترجمة الراوى : هو الصحابى الجليل جابر بن عبد الله بن حرام بن عمرو ابن سواد بن سلمة ينتهى إلى الخزرج الأنصارى السلمى المدنى أبو عبد الله أو أبو عبد الرحمن أو أبو محمد أحد الستة المكثرين فى الرواية عن رسول الله ﷺ روى له عن النبى ﷺ ألف حديث وخمسمائة حديث وأربعون حديثا " ١٥٤٠ حديثا " أخرج البخارى ومسلم له مائتى حديث وعشرة أحاديث " ٢١٠ حديث " إتفقا على ثمانية وخمسين حديثا "٥٨" حديثا وانفرد البخارى بستة وعشرين "٢٦ حديثا" ومسلم

---

(١) أخرجه البخارى ، " كتاب الدعاء " ، " باب الدعاء عند الاستخارة " ، ١٨٣/١١ عن جابر .

بمائة وستة وعشرين حديثا " ١٢٦ حديثا " . أمه نسيبه بنت عقبة بن عدى . مات جابر بن عبد الله بعد أن عمى سنة ثمان أو ثلاث أو أربع أو تسع وسبعين ، وقيل سنة ثلاث وستين وكان عمره أربعا وتسعين سنة ، وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان والى المدينة ، وهو آخر الصحابة موتا بالمدينة .

المفردات :

١- **الاستخارة :** هى طلب الخيرة والمراد بها صلاة الاستخارة ودعائها وهى مأخوذة من قولهم : خار الله لفلان أى أعطاه ما هو خير له ، واستخار فلان ربه أن يعطيه خير الأمرين أو الأمر الذى يتعلق بما يريد فعله .

٢- **كالسورة من القرآن :** إشارة إلى الاعتناء التام بها .

٣- **هم :** قصد وأراد وتفيد أن الأولى فى الاستخارة أن تكون عند بداية الأمر .

٤- **فليركع ركعتين :** فليصل ركعتين من إطلاق الجزء وإرادة الكل .

٥- **أستقدرك :** أطلب منك أن تجعل لى قدرة على ذلك الأمر .

٦- **أو قال عاجل أمرى وآجله:** الشك من الرواى ويمكن للداعى أن يذكر الجملتين.

٧- **أرضنى به :** اجعلنى راضيا بما قدرته لى .

٨- **ويسمى حاجته :** أى التى يستخير من أجلها .

" المعنى العام وذكر ما يستفاد "

عن جابر ﷺ **قال :** " كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة " أى صلاة الاستخارة ودعائها ، وهى طلب الخيرة فى الأمور كلها ، دليل على العموم ، وأن المرء لا يحتقر أمرا لصغره وعدم الاهتمام به فيترك الاستخارة فيه ، فرب أمر يستخف بأمره فيكون فى الإقدام عليه ضرر عظيم ، أو فى تركه ولذلك قال ﷺ ليسأل أحدكم ربه حتى فى شسع نعله " . **قوله** " كما يعلمنا السورة من القرآن " دليل

على الاهتمام بأمر الاستخارة وأنه متأكد مرغب فيه . **قوله** " إذا هم " أى إذا قصد . **قوله** " فليركع ركعتين " أى فليصل ركعتين وهو من باب ذكر الجزء وإرادة الكل لأن الركوع جزء من أجزاء الصلاة . **قوله** " من غير الفريضة " دليل على أنه لا تحصل سنة الاستخارة بوقوع الدعاء بعد صلاة الفريضة لتقييد ذلك فى النص لغير الفريضة . **قوله** " ثم ليقل اللهم " إلى آخره . دليل على أنه لا يضر تأخير دعاء الاستخارة عن الصلاة ما لا يطل الفصل **قوله** "بعلمك " الباء فيه ، **وفى قوله** " بقدرتك " للتعليل : أى أنك أعلم وأقدر ، ويحتمل أن تكون للقسم أو للاستعانة أو تكون للاستعطاف كما فى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام " **رب بما أنعمت على** " أى بحق علمك وقدرتك الشاملين . **وقوله** " وأستقدرك " أى أطلب منك أن تجعل لى قدرة عليه . **قوله** " وأسألك من فضلك العظيم " كل عطاء الله جل جلاله فضل ، فإنه ليس لأحد عليه حق فى نعمة ولا فى شئ فكل ما يهب فهو زيادة مبتدأه من عنده لم يقابلها منا عوض فيما مضى ولا يقابلها فيما يستقبل ، فإن وفق للشكر والحمد فهو نعمة منه وفضل يفتقر إلى حمد وشكر وهكذا إلى غير نهاية .

قوله " فإنك تقدر ولا أقدر " أى تقدر على كل ممكن تعلقت به إرادتك والجملة تعليل لما قبلها " وتعلم ولا أعلم " كل شئ كلى وجزئى وممكن وغيره ، ولا أعلم شيئا من ذلك إلا ما علمتنى "وأنت علام الغيوب " لا يشذ عن علمك منها شئ ولا يحيط أحد من خلقك منها شئ إلا ما علمته بإطلاع على جزئياتها وكأن حكمة تشويش النشر والإشارة بتقديم العلم أولا إلى عمومه ، وبتقديم القدرة ثانيا إلى أنها الأليق والأنسب بالمطلوب الذى هو الإقرار على فعل خير الأمرين على حد تأخيره لجملة " وأنت علام الغيوب " " وأنت قادر على كل شئ " لأنه جعل سؤال الإقدار مرتبا عليه فى قوله ﷺ " اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر " والمعنى أنا أطلب

مستأنفا لا يعلمه إلا أنت فهب لى منه ما ترى أنه خير لى فـــى دينـــى ومعيشـــتى وعاجل أمرى وآجله . **وهذه أربعة أقسام :**

١- خير يكون له فى دينه دون دنياه .

٢- خير له فى دنياه خاصة ولا تعرض فى دينه .

٣- وخير فى العاجل وذلك يحصل فى الدنيا ولكن فى الآخرة أولى .

٤- خير فى الآجل وهو أفضل ، ولكن إذا اجتمعت الأربعة فذلك الذى ينبغى للبعـــد أن يسأل ربه .

ومن دعاء النبى ﷺ " اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلـح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى إليها معادى ، واجعل الحيـــاة زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحة لى من كل شر إنك على كل شئ قدير ".

قوله " إن كنت تعلم إلى آخره " قيل " إن " للشك ، ولا يجوز الشك فى كـــون الله عالما ؟ وأجيب بأن الشك فى أن علمه متعلق بالخير والشر لا فى أصل العلـــم . **قوله** "ومعاشى" المعاش والمعيشة واحد يستعملان مصدرا واسما والمقصود ما يعاش به . **قوله** " أو قال " هو شك من بعض الرواة أو ترديد منه ، والمراد بينهما يحتمـل أن يكون العاجل والآجل مذكورين بدل الألفاظ الثلاثة ، وأن يكون بدل الآخريـــن . قيل كيف يخرج الداعى به عن عهدة التقصى حتى يكون جازما بأنه قال كمـــا قـــال رسول الله ﷺ ؟ وأجيب بأنه يدعونه ثلاث مرات يقول تارة فـــى دينـــى ومعاشـــى وعاقبة أمرى ، وأخرى فى عاجلى وآجلى ، وثالثة فى دينى وعاجل أمرى .

قوله " فاقدره لى " أى فقدره ، **يقال** قدرت الشئ أقدره قـــدرا مـــن التقديـــر والمعنى فيسره لى " وبارك لى فيه " أى أدمه وضاعفه . **قوله** " وإن كنت تعلـــم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال عـــاجل أمـــرى وآجلـــه

فاصرفه عنى واصرفنى عنه " صرح به للمبالغة والتأكيد لأنه يلزم من صرفه عنك صرفك عنه وعكسه ويصبح كونه تأسيسا بأن يراد باصرفه عنى : لا تقدرنى عليه وباصرفنى عنه : لاتبقى فى باطنى اشتغالا به .

قال ابن حجر الهيثمى فى حاشية الإيضاح : وينبغى التفطن لدقيقة قد يغفل عنها ولم أر من نبه عليها وهى أن الواو فى المتعطفات التى بعد الخير على بابها وفى التى بعد الشر بمعنى أو لأن المطلوب تيسيره لا بد وأن يكون أحواله المذكورة دينا ودنيا خيرا والمطلوب صرفه يكفى كون بعض أحواله شرا وفى إبقاء الواو على حالها إبهام لأنه لا يطلب صرفه إلا إن كانت جميع أحواله لا بعضها شرا وليس مرادا كما هو ظاهر . **قوله** " واصرفه عنى واصرفنى عنه " أى لا تعلق بالى به وتطلبه . **ويقال** معناه طلب الأكمل من وجوه انصراف ماليس فيه خيرة عنه ولم يكتف بسؤال صرف أحد الأمرين لأنه قد يصرف الله خيره عن المستخير عن ذلك الأمر بأن ينقطع طلبه له ، وذلك الأمر الذى ليس فيه خيرة يطلبه فربما أدركه ، وقد يصرف الله عن المستخير ذلك الأمر ولا يصرف قلب العبد عنه بل يبقى متطلبا متشوقا إلى حصوله فلا يطيب له خاطر ، فإذا صرف كل منهما عن الآخر كان ذلك أكمل **ولذلك قال فى آخره** " واقدر لى الخير حيث كان ثم أرضنى به " لأنه إذا قدر له الخير ولم يرض به كان متكدر العيش آثما بعدم رضاه بما قدره الله له مع كونه خيرا له . **والرضى** : سكون النفس إلى القدر والقضاء ، قوله " ويسمى حاجته " أى فى أثناء الدعاء عند ذكرها بالكناية عنها فى قوله " إن كان هذا الأمر " .

إذا فمما يستفاد من الحديث :

١- **فيه** : استحباب صلاة الاستخارة ، والدعاء المأثور بعدها فى الأمور التى لا يدرى العبد وجه الصواب فيها ، أما ما هو معروف خيره كالعبادات وصنائع المعروف فلا حاجة للاستخارة فيها ، نعم قد يستخار فى الإتيان بالعبادات فى

وقت مخصوص كالحج مثلا فى هذه السنة لاحتمال عدو أو فتنة أو حصر عن الحج وكذلك يحسن أن يستخار فى النهى عن المنكر كشخص متمرد عات يخشى بنهيه حصول ضرر عظيم عام أو خاص وإن كان جاء فى الحديث " إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر " لكن إن خشى ضررا عاما للمسلمين فلا ينكر ، وإن خشى على نفسه فله الإنكار ولكن يسقط الوجوب .

٢- **وفيه : فى قوله** " فليركع ركعتين " دليل على أن السنة للاستخارة كونها ركعتين فإنه لا تجزئ الركعة الواحدة فى الإتيان بسنة الاستخارة ، **وهل يجزئ** فى ذلك أن يصلى أربعا أو أكثر بتسليمه ؟ **يحتمل أن يقال** : يجزئ ذلك **لقوله فى حديث أبى أيوب** " ثم صلى ما كتب الله لك " فهو دال على أن الزيادة على الركعتين لا تضر . وفيه ما كان من شفقته ﷺ بأمته وإرشادهم إلى مصالحهم دينا ودنيا .

٣- **وفيه : فى قوله** " فليركع ركعتين " استحباب ذلك فى كل وقت إلا فى وقت الكراهة وكذلك عند الشافعية فى الأصح .

٤- **وفيه** : تصريح بعقيدة أهل السنة ، فإنه نفى العلم عن العبد والقدرة وهما موجودان وذلك تناقض فى بادئ الرأى ، والحق فيه الاعتراف بأن العلم لله تعالى والقدرة له ، وليس للعبد من ذلك شئ إلا ما خلق له ، **يقول** يارب تقدر قبل أن تخلق فى القدرة وتقدر مع خلقها وتقدر بعدها وأنت على الحقيقة فى الأمور كلها تصرف وتحل لمقدوراتك وكذلك فى العلم .

٥- **وفيه** : أنه يجب على المؤمن رد الأمور كلها إلى الله تعالى وصرف أزمتها والتبرؤ من الحول والقوة إليه ، وأن لا يروم شيئا من دقيق الأمور ولا جليلها حتى يسأل الله فيه ، ويسأله أن يحمله فيه على الخير ويصرف عنه الشر إذعانا بالافتقار إليه فى كل أمره ، والتزاما لذاته بالعبودية له ، وتبركا لا تباع سنة سيد

المرسلين فى الاستخارة ، وربما قدر ما هو خير ويراه شرا نحو **قوله تعالى** " **وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم** "(١).

٦- يستحب تكرار الصلاة والدعاء فى الأمر الواحد إذا لم يظهر له وجه الصواب فى الفعل أو الترك ما لم ينشرح صدره لما يفعل .

٧- **قال الإمام النووى :** إنه يستحب أن يقرأ فى ركعتين الاستخارة فى الأولى بعد الفاتحة ، قل يا أيها الكافرون ، وفى الثانية قل هو الله أحد ، وقد سبقه إلى ذلك الإمام الغزالى فإنه ذكره فى إحياء علوم الدين كما ذكره النووى ولكن الصحيح بأى سورة تقرأ حيث لم يأت تخصيص لذلك فى أى حديث من أحاديث الاستخارة برواياتها المختلفة .

" من آداب النوم والاضطجاع "

النوم : هو غشية ثقيلة تهجم على القلب فتقطعه عن المعرفة بالأشياء ، **ولذا قيل :** هو آفة لأن النوم أخو الموت ، **وقيل :** النوم للقوة والعقل ، **وقيل :** مغط لهما. **أما السنة :** ففى الرأس ، **والنعاس :** فى العين ، **وقيل السنة :** هى النعاس ، **وقيل :** هى ريح النوم تبدوا فى الوجه ثم تنبعث إلى القلب فينعس الإنسان فينام ، ويسمى العلماء أطباء العصر هذه الريح بمادة " الألفا " تسبح إلى المخ مع أبخرة أخرى فينام الجسد ولكن إلى الآن لا يعرف الإنسان متى ينام وكيف يستيقظ فسبحان من خلق النوم واليقظة وهو " لا تأخذه سنة ولا نوم " **ولذا قال الشاعر :**

أنت لا تدرى صفات ركبت فيك ... حارت فى خفاياها العقول
أين منك العقل والفهم إذا ... غلب النوم فقلى يا جهول

---

(١) جزء آية من سورة البقرة .

وعلامة النوم : أن يرى الإنسان الرؤيا فكيف يراها وكيف يرى وهو نائم إن هـــذا لشئ عجيب ، وما هو على الله بعزيز ، يحدث كل يوم ويعلمه كل الناس .

نص الحديث الثاني

عن البراء بن عازب قال : قال لى النبى ﷺ " إذا أتيت مضجعـــك فتوضـــأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل : اللهم أسلمت وجهى إليـك، وفوضت أمرى إليك ، وألجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، اللهم آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت ، فإن مت من ليلتيـــك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تكلم به قال : فرددتها على النبىﷺ فلما بلغـت: اللهم آمنت بكتابك الذى أنزلت قلت : ورسولك قال : لا ونبيك الذى أرسلت "[١] .

ترجمة الراوى : هو الصحابى الجليل البراء بتخفيف الـــراء وبـالمد علـــى المشهور يقال أبو عمارة ويقال أبو عمرو ، **ويقال** أبو الطفيل . البراء بن عازب بن الحارث بن عدى بن جثيم بن مجدعة بن الحارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمــر بن مالك بن أوس الأنصارى الأوسى . روى له عن رسول الله ﷺ ثلاثمائة حديـث وخمسة أحاديث " ٣٠٥ حديث " ، اتفق البخارى ومسلم على اثنين وعشرين حديثـــا منها ، وأفراد البخارى بخمسة عشر " ١٥ " حديثا ، ومســلم بســتة " ٦ " أحــاديث استصغر يوم أحد مع ابن عمر ثم شهد غزوة الخندق والمشاهد كلها وافتح الرى سنة أربع وعشرين هجرية صلحا أو عنوه ، وشهد مع أبى موسى غزوة تستر ، وشـــهد مع على رضى الله عنه مشاهده . توفى أيام مصعب بن الزبير بالكوفة . روى لـــه الجماعة " وأبوه عازب صحابى أيضا ذكره ابن سعد فـــى طبقاتـــه ، وليـس فـــى الصحابة عازب غيره ، ولا فيهم البراء بن عازب سوى ولده[٢] .

(١) أخرجه البخارى ، " كتاب الوضوء " ، " باب فضل من بات على وضوء " ، ٣٥٧/١ .
(٢) أنظر : • تهذيب الكمال ٣٤/٤ . • طبقات بن سعد ، ٣٦٤/٤ ، ٧/٦ .
• التاريخ الكبير ، ١١٧/٢ . • أسد الغابة ، ١٧١/١ .

المفردات :

١- **إذا أتيت مضجعك :** بفتح الجيم من ضجع يضجع من باب منع يمنع ويـروى أن مضجعك أصله مضتجعك من باب الافتعال لكن قلبت التاء طاء والمعنـى : **إذا أردت أن تأتى مضجعك فتوضأ ، كما فى قوله تعالى " فـإذا قـرأت القـرآن فاستعذ بالله** " أى إذا أردت القراءة .

٢- **قوله** " وجهت جهى إليك " أى استسلمت وقيل أسلمت ذاتى إليـك منقـادة لـك طائعة لحكمك ، لأن المراد من الوجه الذات .

٣- **قوله** " وفوضت " من التفويض وهو التسليم .

٤- **قوله** " وألجأت ظهرى إليك " أى أسندت . يقال لجـأت إليـه لجـأ بـالتحريك والتجأت إليه بمعنى ، وألجأته إلى الشئ : اضطررته إليـه ، **والمعنـى هنـا :** توكلت عليك واعتمدتك فى أمرى كما يعتمد الإنسان بظهره إلى ما يسنده .

٥- **قوله** " ورهبة "أى خوفا من عقابك .

٦- **قوله** " على الفطرة " أى على دين الإسلام .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

النوم نعمة من نعم الله ﷻ على خلقه خاصة بنى آدم ، قال تعالى " **ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسـمعون** "(١) ، وقوله تعالى" **وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا** "(٢).

ولما كان النوم نعمة جعل المنعم لها آدابا تؤدى لتتم النعمـة وليكـون النـوم حميدا ، وهذه الآداب علمها رسول الله ﷺ أصحابه وعلمهم الأدعية الخاصة بـالنوم

---

(١) الآية ٢٣ من سورة الروم .

(٢) سورة الفرقان ، الآية {٤٧} .

واليقظة ، فمن الآداب هذا الحديث الذى معنا وهو تعليم الرسولﷺ للبراء بن عازب كيف ينام النوم الشرعى ليكون نومه هنيئا ، يقول النبى للبراء – ولكل مسلم – إذا أتيت مضجعك " أى مكان نومك أو إذا أردت الذهاب للنوم " فتوضأ وضوءك للصلاة " ، الأمر فيه للندب وله فوائد ، **منها :** أن يبيت على طهارة لئلا يبغته الموت فيكون على هيئة كاملة ، ويؤخذ منه إلى الاستعداد للموت بطهارة القلب ، لأنه أولى من طهارة البدن ، **فعن مجاهد قال :** قال لى ابن عباس : لا تبيتن إلا على وضوء فإن الأرواح تبعث على ما قبضت عليه " ، **وفى رواية :** " من أوى إلى فراشه طاهرا ونام ذاكرا كان فراشه مسجدا ، وكان فى صلاة وذكر حتى يستيقظ "، ويتأكد ذلك فى حق المحدث ، ولا سيما الجنب وهو أنشط للعود ، وقد يكون منشط للغسل فيبيت على طهارة كاملة ، ومنها أن يكون أصدق لرؤياه وأبعد من تلعب الشيطان به . قوله " ثم اضطجع على شقك الأيمن " أى على الجنب اليمين ، وخص الأيمن **لفوائد منها :** أنه أسرع إلى الانتباه ، ومنها أن القلب متعلق إلى جهة اليمين فلا يثقل بالنوم ، **ومنها ما قاله ابن الجوزى :** هذه الهيئة نص الأطباء على أنها أصلح للبدن ، وقالوا يبدأ بالاضطجاع على الجانب الأيمن ساعة ، ثم ينقلب إلى الأيسر لأن الأول سبب لانحدار الطعام ، والنوم على اليسار يهضم لاشتمال الكبد على المعدة – ويسبق هذا وذاك أن يأخذ بطرف ثوبه فينظف به المكان أو ينفض به المكان وهو يقول " بسم الله بسم الله " ثم يضطجع على شقه الأيمن ، ثم يبدأ تلاوة الدعاء ، قوله " أسلمت وجهى إليك " وجاء فى رواية أخرى " أسلمت نفسى إليك " والوجه والنفس هاهنا بمعنى الذات . **قال ابن الجوزى :** يحتمل أن يراد به الوجه حقيقة ، ويحتمل أن يراد به القصد فكأنه يقول قصدتك فى طلب سلامتى .

وقال القرطبى : قيل إنّ معنى الوجه القصد والعمل الصالح ، وكذلك جاء فى رواية " أسلمت نفسى إليك ، ووجهت وجهى إليك " فجمع بينهما فدل على تغايرهما،

ومعنى أسلمت : سلمت واستسلمت : أى سلمتها لك إذ لا قدرة لى ولا تدبير بجلب نفع ولا دفع ضر فأمرهما مفوض إليك تفعل بها ما تريد ، واستسلمت لما تفعل فلا اعتراض عليك فيه ، قوله " وفوضت أمرى إليك " أى رددت أمرى إليك وبرئت من الحول والقوة إلا بك، فاكفنى همه وتولنى صلاحه .

وقال الطيبى رحمه الله : فى هذا النظم غرائب وعجائب لا يعرفها إلا النقاد من أهل البيان ، فقوله " أسلمت نفسى " إشارة إلى أن جوارحه منقادة لله تعالى فى أوامره ونواهيه ، وقوله " وجهت وجهى " أى أن ذاته وحقيقته له مخلصة بريئة من النفاق ، وقوله " وفوضت أمرى إليك " إشارة إلى أن أموره الخارجة والداخلة مفوضة إليه لا مدبر لها غيره ، وقوله " وألجأت ظهرى إليك " بعد قوله " وفوضت أمرى " إشارة إلى أن تفويضه أموره التى يفتقر إليها وبها معاشه وعليها مدار أموره يلتجئ إليه مما يضيره ويؤذيه من الأسباب الداخلة والخارجة وخص الظهر بالذكر لأن العادة جرت أن الإنسان يعتمد بظهره إلى ما يستند إليه . قوله " رغبة ورهبة " ألجأت ظهرى عن المكاره والشدائد إليك رهبة منك ورغبة إليك ، **قوله " لا ملجأ** ولا منجا منك إلا إليك " أصل ملجأ بالهمز ومنجا بغير همز ، ولكن لما جمعا جاز أن يهمز للازدواج ، وأن يترك الهمز فيهما ، وأن يهمز المهموز ويترك الآخر فهذه ثلاثة أوجه ، ويجوز التنوين مع القصر فتصير خمسة . **قال الكرمانى** : هذان اللفظان إن كانا مصدرين يتنازعان فى " منك " وإن كانا ظرفين فلا ، إذ اسم المكان لا يعمل ، وتقديره : لا ملجأ منك لى إلا إليك ولا منجا منك إلا إليك ، قوله " آمنت بكتابك " أى صدقت أنه كتابك ، وقوله " الذى أنزلت " صفته ، وضمير مفعول محذوف .

والمراد بالكتاب القرآن ، وإنما خصص الكتاب بالصفة لتناوله جميع الكتب المنزلة ، **فإن قيل** : أين العموم هاهنا حتى يجئ التخصيص ؟ **نقول** : المفرد

المضاف يفيد العموم لأن المعرف بالإضافة كالمعرف باللام يحتمل الجنس والاستغراق والعهد ، فلفظ الكتاب هاهنا يحتمل لجميع الكتب ولجنس الكتب ولبعضها كالقرآن . قالوا : وجميع المعارف كذلك ، قوله " آخر ما تكلم " بحذف إحدى التاءين وفى رواية الكشميهنى " من آخر ما يتكلم " ، قوله " فرددتها " أى رددت هذه الكلمات لأحفظهن ، فلما قام بتسميع ما حفظ إليه ﷺ ووصل إلى قوله " ونبيك الذى أرسلت " ، قال البراء " ورسولك الذى أرسلت " فقال ﷺ : " لا " أى لا تقل " ورسولك الذى أرسلت " ، بل قل " ونبيك الذى أرسلت " فلماذا قال النبى له ذلك ؟

أجاب العلماء على ذلك بأجوبة منها :

١- أنه أمره أن يجمع بين صفتيه ، وهما الرسول والنبى صريحا ، وإن كان وصف الرسالة يستلزم وصف النبوة .

٢- أن ألفاظ الأذكار توقيفية فى تعيين اللفظ وتقدير الثواب ، فربما كان فى اللفظ زيادة تبين ليس فى الآخر وإن كان يرادفه فى الظاهر .

٣- أنه لعله أوحى إليه بهذا اللفظ فرأى أن يقف عنده .

٤- أن ذكره احترازا عمن أرسل من غير نبوة كجبريل وغيره من الملائكة عليهم السلام لأنهم رسل الأنبياء .

٥- أنه يحتمل أن يكون رده دفعا للتكرار ، لأنه قال فى الأول "ونبيك الذى أرسلت".

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- فيه حجة لمن منع رواية الحديث بمعنى ، وهو قول ابن سيرين وغيره ، ولكن فى هذا الأمر خلاف بين المحدثين ولكل وجهة نظر مقبوله .

٢- أن الوضوء عند النوم مندوب إليه مرغوب فيه ، وكذلك الدعاء ؛ لأنه قد تقبض روحه فى نومه فيكون قد ختم عمله بالوضوء والدعاء الذى هو من أفضل الأعمال ، ثم إن هذا الوضوء مستحب ، وإن كان متوضئا كفاه ذلك الوضوء

لأن المقصود النوم على طهارة مخافة أن يموت فى ليلته ويكون أصدق لرؤيـــاه وأبعد من تلعب الشيطان به فى منامه .

٣- النوم على الشق الأيمن ، لأن النبى ﷺ كان يحب التيامن ولأنه أسرع للانتباه .

٤- ذكر الله تعالى لتكون خاتمة عمله ذلك .

" دعاء الليل "

نص الحديث الثالث

عن جابر ﷺ **قال** : سمعت رسول الله ﷺ **يقـــول " إن فـــى الليـــل لســـاعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه وذلـــك** كل ليلة "(١) .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

إنه لما كان آخر الليل وقت صفاء الخاطر عن الأشغال المشوشـــة ، وجمـــع القلب ، وهدوء الصوت ، ونوم الناس ، وأبعد من الرياء والسمعة ، وأفضل أوقـــات الطاعة ، ما كان فيه الفراغ وإقبال الخاطر ، وهو قوله ﷺ " **صلوا بالليل والنـــاس نيام** " ، وقوله تعالى " **إن ناشئة الليل هى أشد وطْئا وأقوم قيلا * إن لك فى النهار سبحا طويلا** "(٢) ، وأيضا فذلك الوقت وقت نزول الرحمة الإلهية وأقرب ما يكـــون الرب إلى العبد ، وأيضـا فالسهر فى طاعة الله خاصية عجيبة فى إضعاف البهيميـــة وهى بمنزلة الترياق . **وقد قال الصحابى الجليل جابر بـــن عبـــد الله** ﷺ مؤكـــدا بمؤكدات إسمية الجملة وتصديرها بأن وتقديم خبرها والإتيان باللام وكـــأن الداعـــى إليه استبعاد كون الليل محل التجليات لكونه جعل سكنا ، ومع ذلك الاســـتبعاد فـــإن

---

(١) أخرجه مسلم ، " كتاب صلاة المسافرين وقصرها " ، " باب فى الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء " ، ٥٢١/١ عن جابر .

(٢) سورة المزمل ، الأيتان {٦ ، ٧} .

فيض الله على حسب مشيئته فيجعله فيما شاء من ليل أو نهار " إن فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم " التقييد به لكونه جريا على الغالب من قيام الرجل حينئذ لا مفهوم له فمن وافقها من النساء والمسلمات كذلك " يسأل الله خيرا " مفعول مطلق: أى سؤال خير وأضافه إليه لكونه أثره وحاصلا عنه ، أو مفعول به وفيه إيماء إلى كمال كرم الله سبحانه وتعالى من عدم الوعد بإجابة السائل شرا حينئذ من أمر الدنيا والآخرة كالعافية فيهما وحصول التوفيق فى الدنيا والجنة فى العقبى "إلا أعطاه إياه" ففيه حث على الدعاء فى الليل وحض عليه ، وأبهم الساعة فى جميعه طلبا لعمارته بالتوجيه للمولى وعدم الغفلة فيه بالنوم ، ويمكن أن تكون الساعة المطلقة فى هذا الخبر محمولة على ما جاء من التقييد فى رواية بأنها بعد مضى الثلث من الليل ، وفى أخرى أنها فى النصف الأخير ، وفى أخرى أنها فى الثلث الأخير ، ولا منافاة بينهما إما بجعل الجميع على أنها فى الثلث الأخير لصدق جميع الروايات عليه ، وإما بأنها تتنقل فتارة تكون قبل النصف الأخير ، وأخرى فى النصف الأخير قبل الثلث الأخير ، وفيه على كل وجه إيمان إلى اتساع زمنها بخلاف ساعة الإجابة يوم الجمعة والدليل على ذلك الإشارة إلى ضيق ساعة الإجابة يوم الجمعة قول الصحابى الراوى للحديث ، وأشار بيده كأنه يقللها ولم يقل ذلك فى الساعة التى فى الليل ، " وذلك " أى المذكور من إعطاء السائل ما سأل " كل ليلة " بالنصف ظرف والخبر متعلقه أى كائن فيها والتجليات الإلهية لا تختص بليلة دون ليلة .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- إثبات ساعة الإجابة فى كل ليلة .

٢- الحث على الدعاء فى سائر ساعات الليل رجاء مصادفتها .

" العفو عن الجانى والدعاء له "

العفو عن الجانى والإعراض عنه بترك المؤاخذة " عن الجاهلين " فلا يؤاخذهم بما يصدر منهم من قول وعمل .

المفردات :

١- **يحكى :** يشبه .　　　　٢- **أدموه :** أجروا دمه بالجراحات .

قال تعالى " **فاصفح الصفح الجميل** " أى عاملهم معاملة الحليم الصفوح .

نص الحديث الرابع

عن ابن مسعود ﷺ **قال :** " كأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكى نبيا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون "(١) .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

عن ابن مسعود ﷺ **يخبر قال :** كأنى أنظر أى الآن إلى رسول الله ﷺ . وعبر بما ذكره إيماء إلى استحضاره فكأنه يخبر عن معاين ، وقوله " يحكى نبيا من الأنبياء " صلوات الله وسلامه عليهم جملة حالية من رسول الله صلوات وسلامه عليه، وقوله " ضربه قومه فأدموه " أى أجروا دمه بالجراحات " وهو يسمح الدم عن وجهه " جملة حالية إما من الضمير البارز فى فأدموه لكونه أقرب فيكون حالا متداخلة أن أعربت الجملة المعطوف عليها حالا أو من " نبيا " و " يقول " فى تلك الحالة المثيرة للغضب المقتضية للانتقام بعد عفوه عنهم زيادة فى الفضل " اللهم اغفر لقومى " أى ما صنعوه معى من الضرب والإدماء ، **وقوله** " فإنهم لا يعلمون "

(١) أخرجه البخارى ، " كتاب استتابة المرتدين " ، " باب إذا عرض الذمى " ، ٢٨٢/١٢ عن ابن مسعود .

كالتعليل لسؤال المغفرة لهم ، أى ما أوقعهم فى ذلك إلا جهلهم بقدر النبى ﷺ وعدم معرفتهم بعلو مرتبته ، إذ لو عرفوه لقدروه حق قدره ففيه بعد الصفح زيادة الفضل بالدعاء لهم بالغفران والاعتذار عنهم بعدم العلم .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- كمال الخلق عند النبى ﷺ بالصفح والعفو وزيادة الفضل بالدعاء لهم بالمغفرة والاعتذار عنهم بعدم العلم ، وهذا منتهى كمال الخلق منه ﷺ .

٢- أفاد الحديث ما كان عليه الأنبياء السابقين عليه ﷺ من العفو والصفح والإعراض عنهم ، وذلك من حسن خلقهم صلوات الله وسلامه عليهم جميعا .

٥- الصلاة على النبى ﷺ وفضلها

قال الله تعالى " **إن وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** "(١) .

قال ابن كثير فى تفسير الآية : قال البخارى : قال أبو العالية : صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة الدعاء .

وقال ابن عباس : يصلون يبركون هكذا علقه البخارى عنهما ، وقد رواه أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية كذلك ، وروى مثله عن الربيع أيضا ، وروى عن طلحة عن ابن عباس كما قاله سواء رواهما ابن أبى حاتم .

وقال أبو عيسى الترمذى : وروى عن سفيان الثورى وغير واحد من أهل العلم قالوا : صلاة الرب الرحمة ، وصلاة الملائكة الاستغفار ، ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا عمرو الأودى ، حدثنا وكيع عن الأعمش عن عمرو بن مرة قال الأعمش أراه عن عطاء بن أبى رباح " إن الله وملائكته يصلون على النبى " ، قال : صلاته تبارك وتعالى " سبوح قدوس سبقت رحمتى غضبى " . والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده فى الملأ الأعلى بأنه يثنى عليه عند الملائكة المقربين ، وأن الملائكة تصلى عليه ثم أمر تعالى أهل العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوى والسفلى جميعا ، وقد قال ابن أبى حاتم بسنده عن ابن عباس : أن بنى إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام هل يصلى ربك ؟ فناداه ربه ﷻ : يا موسى سألوك هل يصلى ربك ؟ فقل : نعم . أنا أصلى وملائكتى على أنبيائى ورسلى ، فأنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ " إن الله وملائكته يصلون على النبى ... الآية " . وقد أخبر سبحانه وتعالى بأنه يصلى

(١) سورة الأحزاب ، آية " ٥٦ " .

على عباده المؤمنين فى قوله تعالى " **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكـــراً كثـــيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً * هو الذى يصلى عليكم وملائكته ... الآيـــة** ". وقـــال ﷻ " **وبشر الصابرين* الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليـــه راجعـــون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** " .

وفى الحديث " إن الله وملائكته يصلون على ميامين الصفوف" ، وفى الحديـث الآخر " اللهم صل على آل أبى أوفى " وقال رسول الله ﷺ لا مرأة جابر وقد سألته أن يُصلى عليها وعلى زوجها " صلى الله عليك وعلـــى زوجـك " . **وقـد جـاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ بالأمر بالصلاة عليه** ، وكيفية الصلاة عليه ، ونحن نذكر منها إن شاء الله ما تيسر .

فقد روى البخارى بسنده عند تفسيره هذه الآية عن كعب بن عجـرة قـــال : قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة ؟ قال : "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللـــهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد" .

وروى الإمام أحمد بسنده قال : سمعتُ ابن أبى ليلى قال : لقينى كعـــب بـــن عجرة فقال : ألا أهدى لك هدية ! خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله قـــد علمنا أو عرفنا كيف السلام عليك ، فكيف الصلاة ؟ فقال " قولوا اللهم صـــل علـــى محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللـــهم بـــارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد " . وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة فى كتبهم من طرق متعددة . **وكان سيدنا على كـــرم الله** وجهه يُعلم الناس هذا الدعاء فى الصلاة عليه ﷺ يقول فيه " اللهم داحى المدحـــوات وبارئ المسموكات ، وجبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها ، اجعل شـــــرائف

صلواتك ، ونوامى بركاتك ورأفة تحننك ، على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق ، والدامغ لجيشات الأباطيل ، كما حمل فاضطلع بأمرك بطاعتك ، مستوفزا فى مرضاتك غير نكل فى قدم ، ولا وهن فى عزم ، واعيا لوحيك ، حافظا لعهدك ، ماضيا على نفاذ أمرك حتى أورى قبسا لقابس ، آلاء الله تصل بأهله أسبابه ، به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم ، وأبهج موضحات الأعلام ، ونائرات الأحكام ومنيرات الإسلام ، فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين ، وبعيثك نعمة ، ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له فى عدنك ، واجزه مضاعفات الخير من فضلك ، مهنآت له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك الملول ، اللهم أعل على بناء الناس بناءه ، وأكرم مثواه لديك ونزله ، وأتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ، مرضى المقالة ذا منطق عدل ، وخطة فصل ، وحجة برهان عظيم " .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ **قال** " إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه ، قال : فقالوا له علمنا ، قال قولوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركتك على سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك ، إمام الخير وقائد الخير ، ورسول الرحمة ، اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد . **وعنه أيضا أن رسول الله** ﷺ **قال** " أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة " رواه الترمذى . **كما روى الترمذى بسنده عن أبى بن كعب قال** : كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال " يا أيها الناس اذكروا الله ، اذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه ، جاء الموت بما فيه " ، قال أبى :

قلت : يا رسول الله إنى أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتى ؟ قال : " ما شئت " ، قلت الربع . قال : " ما شئت فإن زدت فهو خير لك " . قلت : فالنصف . قال : " ما شئت فإن زدت فهو خير لك " . قلت : فالثلثين . قال : " ما شئت فإن زدت فهو خير لك ". قلت : أجعل لك صلاتى كلها . قال : " إذن تكفى همك ويغفر لك ذنبك ". ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن .

وما رواه أحمد بسنده عن عبد الرحمن بن عوف قال : خرج رسول الله ﷺ فاتبعته حتى دخل نخلا فسجد فأطال السجود حتى خفت أو خشيت أن يكون قد توفاه الله أو قبضه ، قال : فجئت أنظر فرفع رأسه فقال : " مالك يا عبد الرحمن " . قال : فذكرت ذلك له فقال : إن جبريل عليه السلام قال لى ألا أبشرك إن الله ﷻ يقول : من صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه " . **ومن طريق أخرى يروى الإمام أحمد بسنده عن عبد الرحمن بن عوف قال :** قام رسول الله ﷺ فتوجه نحو صدقته فدخل فاستقبل القبلة فخر ساجدا فأطال السجود حتى ظننت أن الله قد قبض نفسه فيها فدنوت منه ثم جلست فرفع رأسه فقال : " من هذا ". قلت : عبد الرحمن. قال: "ما شأنك". قلت: يا رسول الله سجدت سجدة خشيت أن يكون الله قبض روحك فيها. فقال : إن جبريل أتانى فبشرنى أن الله ﷻ يقول لك من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه فسجدت لله ﷻ شكرا " .

وروى الطبرانى بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ لحاجة فلم يجد أحدا يتبعه ففزع عمر فأتاه بمطهرة من خلفه فوجد النبى ﷺ ساجدا فى مشربه فتنحى عنه من خلفه حتى رفع النبى ﷺ رأسه فقال : " أحسنت يا عمر حين وجدتنى ساجدا فتنحيت عنى ، إن جبريل أتانى فقال : من صلى عليك من أمتك واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات " . وقد ذكره الضياء المقدسى فى مستخرجه على الصحيحين .

وروى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن طلحة عن أبيه أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والسرور يرى فى وجهه ، فقالوا : يا رسول الله إنا لنرى السرور فى وجهك . فقال : " إنه أتانى الملك فقال : يا محمد أما يرضيك أن ربك ﷻ يقول : إنه لا يصلى عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا ، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا . قلت : بلى " . وقد رواه أيضا النسائى . **وروى أيضا** عن أبى طلحة الأنصارى قال : أصبح رسول الله ﷺ يوما طيب النفس يرى فى وجهه البشر . فقالوا : يا رسول الله أصبحت اليوم طيب النفس ، يرى فى وجهك البشر . قال " أجل أتانى آت من ربى ﷻ فقال : من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ورد عليه مثلها " . **وروى مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى بسندهم** عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ " من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشرا " . قال الترمذى . هذا حديث حسن صحيح . **وروى أبو داود الطيالسى بسنده** عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ "من ذكرت عنده فليصل على ، ومن صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرا". رواه النسائى أيضا . **وروى الإمام أحمد بسنده** عن على بن الحسين عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال " البخيل من ذكرت عنده ثم لم يصل على " . وقال أبو سعيد " فلم يصل على " . رواه الترمذى أيضا . **وعن أبى ذر** ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : إن أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل على " .

كما أنه يستحب الإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة وليلة الجمعة ، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن أوس بن أوس الثقفى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة على . قالوا : يا رسول الله ،

وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت ؟ – يعني وقد بليت – . قال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ". رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم.

وقد روى الطبراني في الكبير بسنده عن الحسن بن على بن أبي طالب عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال " صلوا على حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني "(١) .

وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع بعد موت رسول الله ﷺ يبكي ويقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان جذع تخطب عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك كانت أولى بالحنين إليك لما فارقتهم ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته فقال ﷻ " من يطع الرسول فقد أطاع الله " ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب ، فقال " عفا الله عنك لم أذنت لهم " ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال ﷻ " **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا** " ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون " يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا " بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الأنهار فماذا بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريحغدوها شهر ورواحها شهر فماذا بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن

(١) أنظر تفسير ابن كثير في سورة الأحزاب ، ٣/٥٠٦-٥١٥ .

كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فماذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهى مشوية فقالت لك الذراع لا تأكلنى فأنى مسمومة ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال " رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا " ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا ، فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت: اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون، بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد اتبعك فى قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا فى كثرة سنه وطول عمره ، ولقد آمن بك الكثير وآمن معه القليل ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله لو لم تجالس إلا كفؤا لك ما جلستنا ولو لم تنكح إلا كفؤا لك ما نحكت إلينا ، ولو لم تؤاكل إلا كفؤا لك ما وكلتنا ، فلقد والله جالستنا، ونكحت إلينا ، وواكلتنا، ولبست الصوف، وركبت الحمار، وأردفت خلفك، ووضعت طعامك على الأرض ، ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليك وسلم(١) . **وقال بعضهم :** كنت أكتب الحديث وأصلى على النبىﷺ فيه ، ولا أسلم فرأيت النبى ﷺ

---

(١) **قال فى المغنى :** حديث عمر فى حنين الجذع ونبع الماء من بين أصابعه والإسراء به على البراق إلى السماء السابعة ثم صلاة الصبح من ليلته بالأبطح ، وكلام الشاة المسمومة ، وأنه دمى وجهه وكسرت رباعيته فقال : اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون ، وأنه لبس الصوف وركب الحمار وأردف خلفه ووضع طعامه بالأرض ولعق أصابعه وهو غريب بطوله من حديث عمر وهو معروف من أوجه أخرى : فحديث حنين الجذع متفق عليه من حديث جابر وابن عمر ، وحديث نبع الماء من بين أصابعه متفق عليه من حديث أنس وغيره ، وحديث الإسراء متفق عليه من حديث أنس دون ذكر صلاة الصبح بالأبطح ، وحديث كلام الشاة المسمومة رواه أبو دواد من حديث جابر وفيه انقطاع وحديث أنه دمى وجهه وكسرت رباعتيه متفق عليه من حديث سهل بن سعد فى غزوة أحد ، وحديث اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون رواه البيهقى فى دلائل النبوة والحديث فى الصحيح من حديث ابن مسعود أنه ﷺ حكاه عن نبى من الأنبياء ضربه قومه وحديث لبس الصوف رواه الطيالسى من حديث سهل بن سعد وحديث ركوبه الحمار وإردافه خلفه متفق عليه من حديث أسامة بن زيد ، وحديث وضع طعامه بالأرض رواه أحمد فى الزهد من حديث الحسن مرسلا وللبخارى من حديث أنس ما أكل رسول الله ﷺ على خوان قط ، وخديث لعقه أصابعه رواه مسلم من حديث كعب بن مالك ، وأنس بن مالك .

فى المنام فقال لى : أما تتم الصلاة على فى كتابك فما كتبت بعد ذلك إلا صليت وسلمت عليه(١) .

كما أنه يستحب الصلاة عليه فى أوقات مخصوصة كالفراغ من الوضوء ونحوه ، وفى الصلاة وعند إقامتها وعقبها وتأكد ذلك بعد الصبح والمغرب فى التشهد والقنوت وعند القيام للتهجد وبعده والمرور بالمساجد ورؤيتها ودخولها والخروج منها ، وبعد إجابة المؤذن ويوم الجمعة وليلتها وخطبة الجمعة والعيدين والاستسقاء والكسوفين ، وفى أثناء تكبيرات العيد وعلى الجنازة وعند إدخال الميت فى القبر ، وفى رجب وشعبان وعند رؤية الكعبة وفوق الصفا والمروة والفراغ من التلبية واستلام الحجر الأسود ، وفى الملتزم وعشية عرفة ومسجد الخيف وعند رؤية المدنية المنورة ، وزيارة قبره ﷺ ووداعه ورؤية آثاره الشريفة ومواطنه ومواقفه مثل بدر وغيرها ، وعند الذبيحة وعقد البيع ، وكتابة الوصية والخطبة للتزويج وفى طرفى النهار وعند إرادة النوم والسفر وركوب الدابة ، ولمن قل نومه وعند الخروج إلى السوق أو الدعوة ودخول المنزل وافتتاح الرسائل وبعد البسملة وعند الهم والكرب والشدائد والفقر والغرق والطاعون ، وفى أول الدعاء وأوسطه وآخره وعند طنين الأذن وخدر الرجل ، والعطاس والنسيان واستحسان الشىء ونهيق الحمير ، وأكل الفجل ، والتوبة من الذنب وما يعرض من الحوائج ، وفى الأحوال كلها ، ولمن اتهم وهو برئ وعند لقاء الإخوان وتفرق القوم بعد اجتماعهم وختم القرآن ولحفظه ، وعند القيام من المجلس ، وكل موضع يجتمع فيه لذكر الله ، افتتاح كل كلام وعند ذكره ونشر العلم وقراءة الحديث والإفتاء والوعظ وكتابة اسمه وثواب كتابتها "(١) .

(١) الإحياء ٣١٢/١ .
(٢) أنظر ذلك تفصيلا فى كتاب " القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع " ، للحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوى من صـ ١٦٥ حتى صـ ٢٤٤ .

هذا : وقد أفرد العلماء كتبا فى فضل الصلاة والسلام عليه بدأوا بما ذكره هو ﷺ فى الصلاة والتسليم عليه ، ثم صلاة المصلين عليه وكيفياتها بدأ من أصحابه وصلاتهم وسلامهم عليه ثم من جاء بعدهم من التابعين وتابع التابعين حتى أزمانهم ، حيث إنهم يمدحون المصطفى ﷺ ويثنون عليه ويصلون عليه ويسلمون بصيغ تحمل فى بطنها الحب والعرفان بالجميل فممن كتب فى ذلك :

إسماعيل القاضى ، وأبى بكر بن أبى عاصم النبيل ، وأبى عبد الله النميرى المالكى فى كتاب سماه " الإعلام بفضل الصلاة على النبى عليه أفضل الصلاة والسلام " ، وأبى محمد بن جبر بن محمد بن جبر بن هشام القرطبى تلميذا بن بشكوال وكان موصوفا بالثقة والفضل والدين ومات فى سنة ثلاثين وستمائة، وأبى عبد الله بن القيم الحنبلى فى كتاب سماه "جلاء الأفهام فى الصلاة على خير الأنام" والتاج أبى حفص عمر بن على الفاكهانى الملكى شارع العمدة وغيرها فى كتاب سماه " الفجر المنير فى الصلاة على البشير النذير " وأبى القاسم بن أحمد بن أبى القاسم بن نون القرشى المالكى التونسى عصرى الشهاب أحمد بن يحيى بن فضل الله فى جزء لطيف سماه " فضل التسليم على النبى الكريم " وأبى العباس أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبى الأندلسى الأقليشى الحافظ المشهور فى جزء سماه " أنوار الآثار المختصة بفضل الصلاة على النبى المختار " والشهاب بن أبى حجلة الشاعر الحنفى فى كتاب سماه " دفع النقمة فى الصلاة على نبى الرحمة " والمجد الفيروز آبادى اللغوى صاحب القاموس وسفر العادة وغيرهما فى كتاب سماه " الصلاة والبشر فى الصلاة على سيد البشر " ، وأبى الحسين بن فارس اللغوى ، وابن الشيخ بن حيان الحافظ وابن موسى المدينى الحافظ وأبى القاسم بن بشكوال الحافظ فى جزء لطيف سماه " القربة إلى رب العالمين بالصلاة على سيد المرسلين ﷺ " ، وأضياء أبى عبد الله المقدسى صاحب المختارة وغيرها ، وأبى أحمد الدمياطى الحافظ النسابة وأبى الفتح

ابن سيد الناس اليعمرى الحافظ ، والمحب الطبرى الحافظ وأبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبى الحافظ نزيل تلمسان فى أربعين حديثا له[١] فضلا عما هو موجود فى الصحيحين . **كما ألف السخاوى كتاب** " القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع " وهو مطبوع ، طبع دار الكتب العلمية . **كما ألف فى العصر الحديث العالم الجليل الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهانى رئيس محكمة حقوق بيروت كتابين أحدهما** : " سعادة الدارين فى الصلاة على سيد الكونين ﷺ " **جمع فيه جميع** ما سبق من كتب وصلوات على سيد السادات ﷺ وهو كتاب عظيم القدر والفائدة وقد طبعته دار الفكر ببيروت وهو متداول . **والثانى** : كتاب " أفضل الصلوات على سيد السادات ﷺ " وهو كتاب صغير الحجم عظيم الفائدة وقد طبعته " المكتبة الثقافية ببيروت ". **كما ألف الشيخ عبد المقصود مصطفى سالم كتابه** " أنوار الحق فى الصلاة على سيد الخلق "ﷺ وهو عبارة عن عصارة الحب الخالص بين هذا الرجل وسيدنا رسول الله ﷺ .

والآن جاء أوان الحديث الذى نشرحه فى هذا المضمار :

نص الحديث الأول

روى البخارى بسنده عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال " لقينى كعب بن عجرة فقال : ألا أهدى لك هدية ؟ إن النبى ﷺ خرج علينا فقلنا :يا رسول الله ، قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلى عليك ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد "[٢] .

---

(١) القول البديع ، صـ ٢٤٨ .

(٢) أخرجه البخارى ، " كتاب الدعوات " ، " باب الصلاة على النبى ﷺ " ، ١١/١٥٢ .

نص الحديث الثانى

روى البخارى بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال : " قلنا يا رسول الله ، هذا السلام عليك فكيف نصلى ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم "(١) .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

الكلام عن الصلاة على النبى ﷺ يتطلب معرفة حكمها وفضلها وصفتها ومحلها ، **أما حكمها فحاصل أقوال العلماء فيه عشرة مذاهب هى :**

الأول : قول ابن جرير الطبرى أنها من المستحبات وادعى الإجماع على ذلك .

الثانى : مقابله وهو نقل بن القصار وغيره الإجماع على أنها تجب فى الجملة بغير حصر لكن أقل ما يحصل به الإجزاء مرة .

الثالث : تجب فى العمر فى صلاة أو غيرها وهى مثل كلمة التوحيد قاله أبو بكر الرازى من الحنفية وابن حزم وغيرهما ، وقال القرطبى المفسر : لا خلاف فى وجوبها فى العمر مرة وأنها واجبة فى كل حين وجوب السنن المؤكدة .

الرابع : تجب فى القعود فى آخر الصلاة بين قول التشهد وسلام التحلل قاله الشافعى ومن تبعه .

الخامس : تجب فى التشهد وهو قول الشعبى وإسحاق ابن راهويه .

السادس : تجب فى الصلاة من غير تعيين المحل نقل ذلك عن أبى جعفر الباقر.

السابع : يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد قاله أبو بكر بن بكير من المالكية .

الثامن : كلما ذكر ﷺ قاله الطحاوى وجماعة من الشافعية .

---

(١) أخرجه البخارى ، " كتاب الدعوات " ، " باب الصلاة على النبى ﷺ " ١٥٢/١١ .

التاسع : فى كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مرارا حكاه الزمخشرى .

العاشر : فى كل دعاء .

وأما " محلها " فيؤخذ مما ذكرناه فى حكمها ، وسوف يزاد عليه فى الكلام عن فضلها . وأما " صفتها " فهى أصل الموضوع فى الحديثين المذكورين .

يحكى عبد الرحمن بن أبى ليلى التابعى الكبير والد ابن أبى ليلى فقيه الكوفة محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ينسب إلى جده **قوله " لقينى كعب بن عجرة " أى** الأنصارى البلوى الصحابى الجليل ، وكان اللقاء عند البيت الحرام **وهما يطوفان** بالبيت كما ذكر الطبرى. **فقال له " ألا أهدى لك هدية "، زاد فى رواية " سمعتها من** النبى ﷺ " **قوله** " إن النبى ﷺ **خرج علينا " يجوز فى إن الفتح والكسر . وفى هذا** السياق إضمار تقديره نعم فقال كعب إن النبى ﷺ ، وقد وقع ذلك صريحا فى راوية **بلفظ " قلت : بلى . قال " وفى راوية " فقلت بلى : فأهدها لى . فقال " قوله " فقلنا يا** رسول الله " كذا فى أكثر الروايات عن كعب بن عجرة " قلنا " بصيغة الجمع . والمراد بالصحابة أو من حضر منهم . **وعند الطبرانى** " إن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا " . **قال الفكهانى :** الظاهر أن السؤال صدر من بعضهم لا من جميعهم ففيه التعبير عن البعض بالكل . ثم قال : ويبعد جدا أن يكون كعب هو الذى باشر السؤال منفردا فأتى بالنون التى للتعظيم ، بل لا يجوز ذلك لأن النبى ﷺ أجاب بقوله " قولوا " فلو كان السائل واحدا لقال له قل ، ولم يقل قولوا .

أقول : وما المانع أن يسأل واحد فيجيب إجابة تنفع الجميع تفيد الصحابى نفسه وتفيد غيره ، ويؤكده أن فى نفس السؤال " قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى "، كلها بصيغة الجمع فدل على أنه سأل لنفسه ولغيره فحسن الجواب بصيغة الجمع ، لكن الإتيان بنون العظمة فى خطاب النبى ﷺ لا يظن بالصحابى ، فإن ثبت أن

السائل كان متعددا فواضح ، وإن ثبت أنه كان واحدا فالحكمة فى الإتيـــان بصيغـــة الجمع الإشارة إلى أن السؤال لا يختص به بل يريد نفسه ومن يوافقه على ذلـــك ، فحمله على ظاهره من الجمع هو المعتمد ، على أن الذى نفاه الفاكهانى قد ورد فـــى بعض الطرق، فعند الطبرى من طريق الأجلح عن الحكم بلفظ " قمت إليه فقلـــت : السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك يا رسول الله ؟ قال : قل اللهم صلى على محمد ... إلخ) . **قال الحافظ ابن حجر قلت :** وقد وقفت من تعيين من باشر الســؤال على جماعة وهم : كعب بن عجرة ، وبشير بن سعد والد النعمان ، وزيد بن خارجة الأنصارى وطلحة بن عبيد الله ، وأبو هريرة ، وعبد الرحمن بن بشير ، ثـــم ذكـــر الحافظ ابن حجر الراويات التى تدل على ذلك وليس هنا مجال التفصيل .

قوله " قد علمنا " المشهور فى الرواية بفتح أوله وكسر اللام مخففا " علمنـــا " وجوز بعضهم " علمنا " بضم أوله والتشديد على البناء للمجهول . ووقع فى رواية " أمرتنا أن نصلى عليك وأن نسلم عليك ، فأما السلام فقد عرفنـــاه " ، وفـــى ضبـــط عرفناه ما تقدم فى " علمناه " وأراد بقوله " أمرتنا " أى بلغتنا عن الله تعالى أنه أمـــر بذلك . **وفى حديث ابن مسعود** " أمرنا الله " وفى رواية " كيف الصلاة عليكم أهـــل البيت فإن الله قد علمنا كيف نسلم " أى علمنا كيفية الســـلام عليـــك علـــى لســـانك وبواسطة بيانك ، وأما إتيانه بصيغة الجمع فى قوله " عليكم " فقد بين مراده بقولـــه " أهل البيت " لأنه لو اقتصر عليها لاحتمل أن يريد بها التعظيم وبها تحصل مطابقـــة الجواب للسؤال حيث قال " على محمد وعلى آل محمد " وبهذا يستغنى عن قول مـــن قال : فى الجواب زيادة على السؤال لأن السؤال وقع عن كيفية الصلاة عليه فوقـــع الجواب عن ذلك بزيادة كيفية الصلاة على آله .

قوله " كيف نسلم عليك " . **قال البيهقى :** فيه إشارة إلى الســـلام الـــذى فـــى التشهد . **قوله** " فكيف نصلى عليك " **زاد ابن مسعود فى حديثه** " فسكت رســـول الله

ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله " وإنما تمنوا ذلك خشية أن يكون لـم يعجبـه السـؤال المذكور لما تقرر عندهم من النهى عن ذلك ، وقد نـهى الله المؤمنيـن أن يسـألوا رسول الله عن أشياء لم يبدها لهم رسول الله فقال " يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عـن أشياء إن تبد لكم تسؤكم " . **ووقع عند الطبرى من وجه آخر فـى هـذا الحديـث** " فسكت حتى جاءه الوحى فقال : تقولون " واختلف فى المراد بقولهم " كيف " فقيـل المراد السؤال عن معنى الصلاة المأمور بها بأى لفظ يؤدى ، وقيل عن صفتـها ، **قال القاضى عياض** : لما كان لفظ الصلاة المأمور بها فى قوله تعالى " صلوا عليه " يحتمل الرحمة والدعاء والتعظيم سألوا بأى لفظ تؤدى ؟ هكذا قال بعض المشـايخ ، ورجح الباجى أن السؤال إنما وقع عن صفتها لا عن جنسها ، وهو أظهر لأن لفـظ " كيف " ظاهر فى الصفة ، وأما الجنس فيسئل عنه بلفظ " ما " ، **وبه جزم القرطبى فقال** : هذا سؤال من أشكلت عليه كيفية ما فهم أصله وذلك أنـهم عرفـوا المـراد بالصلاة فسألوا عن الصفة التى تليق بها ليستعملوها . والحامل لهم علـى ذلـك أن السلام لما تقدم بلفظ المخصوص وهو " السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته " فهموا منه أن الصلاة أيضا تقع بلفظ مخصوص ، وعدلوا عـن القيـاس لإمكـان الوقوف على النص ولا سيما فى ألفاظ الأذكار فإنها تجئ خارجة عن القياس غالبا ، فوقع الأمر كما فهموا فإنه لم يقل لهم قولوا الصلاة عليك أيـها النبـى ورحمـة الله وبركاته ، ولا قولوا الصلاة والسلام عليك ... إلخ) بل علمهم صيغة أخرى .

قوله " قال قولوا: اللهم " هذه كلمة كثر استعمالها فى الدعاء وهو بمعنـى يـا الله، والميم عوض عن حرف النداء ، فلا يقال " اللهم غفور رحيم " ، وإنمـا يقـال اللهم اغفر لى وارحمنى ، ولا يدخلها حرف النداء إلا فى نادر كقول الراجز :

إنى إذا ما حـادث ألمـّا   أقول يا اللهم يـا اللـهما

واختص هذا الاسم بقطع الهمزة عند النداء ووجوب تفخيم لا مـــه وبدخـــول حرف النداء عليه مع التعريف ، وذهب الفراء ومن تبعه من الكوفيين إلى أن أصلــه يا الله وحذف حرف النداء تخفيفا ، والميم مأخوذة من جملة محذوفة مثل "أمنا بخـير" وقيل بل زائدة كما فى زرقم الشديد الزرقة ، وزيدت فى الاسم العظيم تفخيما ، وقيل بل هو كالواو الدالة على الجمع كأن الداعى قال: يا من اجتمعت له الأسماء الحسنى، ولذلك شددت الميم لتكون عوضا عن علامة الجمع . **وقد جاء عن الحسن البصرى:** اللهم مجتمع الدعاء . **وعن النضر بن شميل :** من قال اللهم فقد سـأل الله بجميــع أسمائه . **قوله** " صل " عن أبى العالية أن معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه عنــد ملائكته ، ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء له . **وعن مقاتل بن حبان قال :** صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار . **وعن ابن عباس :** أن معنى صلاة الـــرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار ، **وقال الضحاك بن مزاحم :** صلاة الله رحمتــه ، وفى رواية " **مغفرته** " ، وصلاة الملائكة الدعاء ، وكأنه يريـــد الدعــاء بــالمغفرة ونحوها ورد عليه : بأن الله غاير بين الصلاة والرحمة فى قولــه " أولئــك عليـــهم صلوات من ربهم ورحمة " وكذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالى "صلوا عليه وسلموا" حتى سألوا عن كيفية الصلاة مع تقدم ذكر الرحمة فى تعليم السلام حيـــث جاء بلفظ " السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته " وأقرهم النبى ﷺ فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك فى السلام ، وجوز الحليمى أن تكـون الصلاة بمعنى السلام عليه وفيه نظر وحديث الباب يرد على ذلك، وأولى الأقوال ما تقدم عن أبى العالية أن معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه وتعظيمـــه ، وصـــلاة الملائكة وغيرهم عليه طلب ذلك له من الله تعالى ، والمراد طلب الزيادة لا طلـــب أصل الصلاة ، **وقيل :** صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة فصلاته علــى أنبيائه هى ما تقدم من الثناء والتعظيم ، وصلاته على غيرهم الرحمة فـــهى التـــى

وسعت كل شئ . **وقال بكر القشيرى :** " الصلاة على النبى ﷺ من الله تشريف وزيادة تكرمة وعلى من دون النبى رحمة وبهذا التقرير يظهر الفرق بين النبى ﷺ وبين سائر المؤمنين ، حيث قال تعالى " إن الله وملائكته يصلون على النبى " وقال قبل ذلك فى السورة المذكورة " هو الذى يصلى عليكم وملائكته " ومن المعلوم أن القدر الذى يليق بالنبى ﷺ من ذلك أرفع مما يليق بغيره والإجماع منعقد على أن فى هذه الآية من تعظيم النبى ﷺ والتنويه به ما ليس فى غيرها .

وقال الحليمى : معنى الصلاة على النبى تعظيمه ، فمعنى قولنا " اللهم صلى على محمد عظم محمدا ، والمراد تعظيمه فى الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته وفى الآخرة بإجزال مثوبته وتشفيعه فى أمته وإبداء فضيلته بالمقام المحمود، وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى " صلوا عليه " ادعوا ربكم بالصلاة عليه .

قال الحافظ ابن حجر : ولا يعكر عليه عطف آله وأزواجه وذريته عليه فإنه لا يمتنع أن يدعى لهم بالتعظيم ، إذ تعظيم كل أحد بحسب ما يليق به ، وما تقدم عن أبى العالية أظهر ، فإنه يحصل به استعمال لفظ الصلاة بالنسبة إلى الله وإلى ملائكته وإلى المؤمنين المأمورين بذلك بمعنى واحد ، ويؤيده أنه لا خلاف فى جواز الترحم على غير الأنبياء ، واختلف فى جواز الصلاة على غير الأنبياء ، ولو كان معنى قولنا " اللهم صل على محمد ، اللهم ارحم محمدا أو ترحم على محمد لجاز لغير الأنبياء ، وكذا لو كانت بمعنى البركة ، وكذا الرحمة لسقط الوجوب فى التشهد عند من يوجبه بقول المصلى فى التشهد " السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته " ، ويمكن الانفصال بأن ذلك وقع بطريق التعبد فلا بد من الإتيان به ولو سبق الإتيان بما يدل عليه . قوله " علي محمد وعلى آل محمد " كذا وقع فى الموضعين فى قوله " صل " وفى قوله " وبارك " ، ولكن وقع فى الثانى " وباك على آل إبراهيم " ، ووقع عند البيهقى من وجه آخر عن آدم شيخ البخارى فيه على " إبراهيم ولم يقل

على آل إبراهيم " ، وأخذ البيضاوى من هذا أن ذكر الآل فى رواية الأصل مقحكم كقوله " على آل أبى أوفى . **قال الحافظ ابن حجر قلت** : والحق أن ذكر محمد وإبراهيم وذكر آل محمد وآل إبراهيم ثابت فى أصل الخبر ، وإنما حفظ بعض الرواة ما لم يحفظ الآخر . **وقال الطيبى** : هذا اللفظ يساعد قول من قال إن معنى قول الصحابى " علمنا كيف السلام عليك " أى فى قوله تعالى " **يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** " . فكيف نصلى عليك " . أى على أهل بيتك ، لأن الصلاة عليه قد عرفت مع السلام من الآية ، قال : فكان السؤال عن الصلاة على الآل تشريفا لهم ، وقد ذكر محمد فى الجواب لقوله تعالى " **لا تقدموا بين يدى الله ورسوله** " ، **وفائدته** : الدلالة على الاختصاص ، قال : وإنما ترك ذكر إبراهيم لينبه على هذه النكتة ، ولو ذكر لم يفهم أن ذكر محمد على سبيل التمهيد ، ولا يخفى أن هذا الرأى ضعيف ، ووقع فى حديث أبى مسعود عند أبى داود والنسائى " على محمد النبى الأمى " ، وفى حديث أبى سعيد " على محمد عبد ورسولك ، كما صليت على إبراهيم " ، ولم يذكر آل محمد ولا آل إبراهيم ، وهذا يظهر أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر وإلا ظهر فساد ما بحثه الطيبى . وفى الحديث الذى رواه البخارى فى باب هل يصلى على غير النبى قال ﷺ " قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد "(١) . ولم يذكر " الآل " ووقعت فى رواية ابن ماجه وعند أبى داود من حديث أبى هريرة " اللهم صل على محمد النبى وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته " ، وقوله " وعلى آل محمد " قيل أصل " آل " أهل، قلبت الهاء همزة ثم سهلت ولهذا إذا صغر رد إلى الأصل فقالوا "أهيل"، وقيل بل أصله أول من آل إذا رجع سمى بذلك من ينول إلى الشخص ويضاف إليه

---

(١) البخارى ، كتاب الدعوات ، ١١/١٧١ .

ويقويه أنه لا يضاف إلا إلى معظم ، فيقال آل القاضى آل الصبان ولا يقال آل الحجام بخلاف أهل، ولا يضاف آل أيضا غالبا إلى غير العاقل ولا إلى المضمر عند الأكثر ، وجوزه وبعضهم بقلة ، وقد ثبت فى شعر عبد المطلب جدهﷺ فى قوله فى قصة أصحاب الفيل من أبيات : وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك " ، وقد يطلق آل فلان على نفسه وعليه وعلى من يضاف إليه جميعا، **وضابطه** : أنه إذا قيل فعل آل فلان كذا دخل هو فيهم إلا بقرينة، ومن شواهده قولهﷺ للحسن بن على "إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة" وإن ذكرا معا فلا ، وهو كالفقير والمسكين ، وكذا الإيمان والإسلام والفسوق والعصيان ، ولما اختلفت ألفاظ الحديث فى الإتيان بهما معا وفى إفراد أحدهما كان أولى المحامل أن يحمل على أنهﷺ قال ذلك كله، ويكون بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر ، وأما التعدد فبعيد لأن غالب الطرق تصرح بأنه وقع جوابا عن قولهم " كيف نصلى عليك "، ويحتمل أن يكون بعض من اقتصر على آل إبراهيم بدون ذكر إبراهيم رواه بالمعنى بناء على دخول إبراهيم فى آل إبراهيم ، واختلف فى المراد بآل محمد فى هذا الحديث ، فالراجح أنهم من حرمت عليهم الصدقة، وهذا نص عليه الشافعى واختاره الجمهور ويؤيده قوله لسيدنا الحسن كما سبق ذكره "إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة" وما رواه مسلم بسنده وهو **قوله** ﷺ " إن هذه الصدقة إنما هى أوساخ الناس وأنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد " .

قال الإمام أحمد : المراد بآل محمد فى حديث التشهد أهل بيته ، وعلى هذا فهل يجوز أن يقال أهل عوض آل ؟ رأيان عندهم . وقيل المراد بآل محمد أزواجه وذريته لأن أكثر طرق هذا الحديث جاء بلفظ "وآل محمد"، وجاء فى الرواية الأخرى " وأزواجه وذريته " فدل على أن المراد بالآل الأزواج والذرية ، وتعقب بأنه ثبت الجمع بين الثلاثة كما فى حديث أبى هريرة ، فيحمل على أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر ، فالمراد بالآل فى التشهد الأزواج ومن حرمت عليهم

الصدقة ويدخل فيهم الذرية فبذلك يجمع بين الأحاديث ، وقد يطلق علـــى أزواجـــه أيضا آل محمد ، ففى حديث السيدة عائشة قال " ما شبع آل محمد من خبز مـــأدوم ثلاثا " ، وحديث أبى هريرة " اللهم اجعل رزق آل محمــد قوتــا " وكــأن الأزواج أفردوا بالذكر تنويها بهم وكذا الذرية ، وقيل المراد بالآل ذرية فاطمة خاصة حكـــاه النووى فى شرح المهذب. وقيل هم جميع قريش حكاه ابن الرفعة فى الكفاية ، وقيل المراد بالآل جميع الأمة أمة الإجابة . قال ابن العربى : مال إلى ذلك مالك واختـاره الأزهرى وحكاه أبو الطيب الطبرى عن بعض الشافعية ورجحه النووى فى شـــرح مسلم، وقيده القاضى حسين والراغب : بالأتقياء منهم، وعليه يحمل كلام من أطلـق، ويؤيده قوله تعالى " **إن أولياؤه إلا المتقون** "، وقوله ﷺ "إن أوليائى منكم المتقون".

ويمكن أن يحمل كلام من أطلق على أن المراد بـــالصلاة الرحمـــة المطلقـــة فلا تحتاج إلى تقييد ، وقد استدل لهم بحديث أنس رفعه " آل محمد كل تقى " أخرجه الطبرانى ولكن سنده واه ، وأخرج البيهقى نحوه بسند ضعيف قوله "كما صليت على آل إبراهيم"، اشتهر السؤال عن موقع التشبيه مع أن المقرر أن المشبه دون المشـــبه به ، والواقع هنا عكسه لأن محمدا ﷺ وحده أفضل من آل إبراهيم ومن إبراهيـــم ، ولا سيما قد أضيف إليه آل محمد ، وقضية كونه أفضل أن تكون الصلاة المطلوبـــة أفضل من كل صلاة حصلت أو تحصل لغيره وأجيب عن ذلك بأجوبة منها :

الأول : أنه قال ذلك قبل أن يعلم أنه أفضل من إبراهيم ، وقد أخرج مسلم مـــن حديث أنس " أن رجلا قال للنبى ﷺ يا خير البرية ، قال : ذاك إبراهيـــم " وأشــار إليه ابن العربى وأيده بأنه سأل لنفسه التسوية مع إبراهيم وأمر أمته أن يســألوا لـــه ذلك فزاده الله تعالى بغير سؤال أن فضله على إبراهيم ، ورد عليه بأنه لو كان كذلك لغير صفة الصلاة عليه بعد أن علم أنه أفضل .

الثانى : أنه قال ذلك تواضعا وشرع ذلك لأمته ليتكسبوا بذلك الفضيلة .

الثالث : أن التشبيه إنما هو لأصل الصلاة بأصل الصلاة لا للقدر فهو كقوله تعالى " إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح " وقوله " كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم " ، وهو كقول القائل : أحسن إلى والدك كما أحسنت إلا فلان ، ويريد بذلك أصل الإحسان لا قدره ، ومنه قوله تعالى "وأحسن كما أحسن الله إليك" ، ورجح هذا الجواب القرطبى فى المفهم .

الرابع : أن الكاف للتعليل كما فى قوله " كما أرسلنا فيكم رسولا منكم " ، وقوله تعالى " فاذكروه كما هداكم " ، **وقال بعضهم** " الكاف على بابها من التشبيه ثم عدل عنه للإعلام بخصوصية المطلوب .

الخامس : أن المراد أن يجعله خليلا كما جعل إبراهيم ، وأن يجعل له لسان صدق كما جعل لإبراهيم مضافا إلى ما حصل له من المحبة .

السادس : أن قوله " اللهم صل على محمد " مقطوع عن التشبيه فيكون التشبيه متعلقا بقوله " وعلى آل محمد " وتعقب بأن غير الأنبياء لا يمكن أن يساووا الأنبياء فكيف تطلب لهم صلاة مثل الصلاة التى وقعت لإبراهيم والأنبياء من آله ؟ ويمكن **الجواب عن ذلك** : بأن المطلوب الثواب الحاصل لهم لا جميع الصفات التى كانت سببا للثواب .

السابع : أن التشبيه إنما هو للمجموع بالمجموع فإن فى الأنبياء من آل إبراهيم كثرة ، فإذا قوبلت تلك الذوات الكثيرة من إبراهيم وآل إبراهيم بالصفات الكثيرة التى لمحمد أمكن انتفاء التفاضل . **قال الحافظ ابن حجر قلت** : ويعكر على هذا الجواب أنه وقع فى حديث أبى سعيد – فى البخارى – مقابلة الاسم فقط بالاسم فقط ولفظه " اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم " .

الثامن : أن التشبيه بالنظر إلى ما يحصل لمحمد وآل محمد من صلاة كل فرد فرد ، فيحصل من مجموع صلاة المصلين من أول التعليم إلى آخر الزمان أضعاف ما كان لآل إبراهيم ، عبر ابن العربى عن هذا بقوله : المراد دوام ذلك واستمراره .

التاسع : ان التشبيه راجع إلى المصلى فيما يحصل له من الثواب لا بالنسبة إلى ما يحصل للنبى ﷺ ، وهذا رأى ضعيف لأنه يصير كأنه قال اللهم اعطنى ثواباً على صلاتى على النبى ﷺ كما صليت على آل إبراهيم ، ويمكن أن يُجاب بأن المراد مثل ثواب المصلى على آل إبراهيم .

العاشر : دفع المقدمة المذكورة أولاً وهى أن المشبه به يكون أرفع من المشبه، وأن ذلك ليس مطرداً ، بل قد يكون التشبيه بالمثل بل وبالدون كما فى قوله تعالى " **مثل نوره كمشكاة** " وأين يقع نور المشكاة من نوره تعالى ؟ ولكن لما كان المراد من المشبه بأن يكن شيئاً ظاهراً واضحاً للسامع حسن تشبيه النور بالمشكاة ، وكذا هنا لما كان تعظيم إبراهيم وآل إبراهيم بالصلاة عليهم مشهوراً واضحاً عند جميع الطوائف حسن أن يطلب لمحمد وآل محمد بالصلاة عليهم مثل ما حصل لإبراهيم وآل إبراهيم ، ويؤيد ذلك ختم الطالب المذكور بقوله " فى العالمين " أى كما أظهرت الصلاة على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين ، ولهذا لم يقع قوله فى العالمين إلا فى ذكر آل إبراهيم دون ذِكر آل محمد ما وقع فى الحديث الذى ورد فيه وهو حديث أبى مسعود فيما أخرجه مالك ومسلم وغيرهما .

وعبر الطيبى عن ذلك بقوله : ليس التشبيه المذكور من باب إلحاق الناقص بالكامل بل من باب إلحاق ما لم يشتهر بما اشتُهر . **وقال الحليمى :** سبب هذا التشبيه أن الملائكة قالت فى بيت إبراهيم " رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد " ، وقد علم أن محمداً وآل محمد من أهل بيت إبراهيم فكأنه قال : أجب دعاء الملائكة الذين قالوا ذلك فى محمد وآل محمد كما أجبتها عندما قالوها فى آل

إبراهيم الموجودين حينئذ ، ولذلك ختم بما ختمت به الآية وهو قوله " إنك حميد مجيد " . **قال النووى** بعد أن ذكر بعض هذه الأجوبة : أحسنها ما نسب إلى الشافعى والتشبيه لأصل الصلاة بأصل الصلاة أو للمجموع بالمجموع. **قال الحافظ ابن حجر:** وقال ابن القيم بعد أن زيف أكثر الأجوبة إلا تشبيه المجموع بالمجموع ، وأحسن منه أن يقال هو ﷺ من آل إبراهيم، وقد ثبت ذلك عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين " . **قال :** محمد من آل إبراهيم فكأنه أمرنا أن نصلى على محمد وعلى آل محمد خصوصا بقدر ما صلينا عليه مع إبراهيم وآل إبراهيم ، عموما فيحصل دلالة ما يليق بهم ويبقى الباقى كله له، وذلك القدر أزيد مما لغيره من آل إبراهيم قطعا ، ويظهر حينئذ فائدة التشبيه وأن المطلوب له بهذا اللفظ أفضل من المطلوب بغيره من الألفاظ .

قوله " على آل إبراهيم " هم ذريته من إسماعيل وإسحاق كما جزم به جماعة من الشراح ، وإن ثبت أن إبراهيم كان له أولاد من غير ساره وهاجر فهم داخلون لا محالة ، ثم إن المراد المسلمون منهم بل والمتقون ، فيدخل فيهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون دون من عداهم ، وفيه ما تقدم فى آل محمد . **قوله** " وبارك " المراد بالبركة هنا الزيادة من الخير والكرامة ، **وقيل** : المراد التطهير من العيوب والتزكية ، **وقيل** : المراد إثبات ذلك واستمراره من قولهم بركت الإبل أى ثبتت على الأرض، وبه سميت " بركة الماء " لإقامة الماء فيها . والحاصل أن المطلوب أن يعطوا من الخير أرقاه ، وأن يثبت ذلك ويستمر دائما . والمراد " بالعالمين " أصناف الخلق ، **وقيل** ما حواه بطن الفلك ، **وقيل** كل محدث ، **وقيل** ما فيه روح ، **وقيل** بقيد العقلاء ، **وقيل** الإنس والجن فقط . **قوله** " إنك حميد مجيد " **أما الحميد فهو** : فعيل من الحمد بمعنى محمود ، وأبلغ منه وهو من حصل له من صفات الحمد أكملها ، **وقيل** : هو بمعنى الحامد أى يحمد أفعال عباده . وأما "

المجيد " فهو صفة من المجد وهو صفة من كمل فى الشرف وهو مستلزم للعظمة والجلال كما أن الحمد يدل على صفة الإكرام ومناسبة ختم هذا الدعاء بهذين الاسمين العظيمين أن المطلوب تكريم الله لنبيه وثناؤه عليه والتنويه به وزيادة تقريبه، وذلك مما يستلزم طلب الحمد والمجد ، ففى ذلك إشارة إلى أنهما كالتعليل المطلوب ، أو هو كالتذييل له ، والمعنى إنك فاعل ما تستوجب به الحمد من النعم المترادفة ، كريم بكثرة الإحسان إلى جميع عبادك .

إذا فما يستفاد من الحديث :

١- تعليمه ﷺ لأصحابه الكيفية بعد سؤالهم عنها بأنها أفضل كيفيات الصلاة عليه ، لأنه لا يختار لنفسه إلا الأشرف الأفضل ويترتب على ذلك لو حلف أن يصلى عليه أفضل الصلاة فطريق البر أن يأتى بذلك .

٢- واستدل به على أن الواو لا تقتضى الترتيب لأن صيغة الأمر وردت بالصلاة والتسليم بالواو فى قوله تعالى " صلوا عليه وسلموا " وقدم تعليم السلام قبل الصلاة كما قالوا " عملنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك " .

٣- واستدل به على رد قول النخعى: يجزئ فى امتثال الأمر بالصلاة قوله " السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته فى التشهد ، لأنه لو كان كما قال لأرشد النبى ﷺ أصحابه إلى ذلك ولما عدل إلى تعليمهم كيفية أخرى .

٤- واستدل به على أن إفراد الصلاة عن التسليم لا يكره وكذا العكس لأن تعليم التسليم تقدم قبل تعليم الصلاة .

٥- واستدل به على فضيلة الصلاة على النبى ﷺ من جهة ورود الأمر بها واعتناء الصحابة بالسؤال عن كيفيتها . وقد ذكرت الأحاديث الخاصة بفضل الصلاة عليه ﷺ فى مقدمة الموضوع .

٦- أمور أخرى من النوافل غير ما مر يشتغل بها المسلم فى أوقات فراغه ترفع الدرجات .

ومن النوافل باب القرب والحب

نص الحديث الأول

عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله قال " من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذ بى لأعيذنه ، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته "(١) .

التعريف براوى الحديث :

هو الصحابى الجليل أبو هريرة : اختلف فى اسمه واسم أبيه على نحو ثلاثين قولا وأقربها : عبد الله أو عبد الرحمن بن صخر الدوسى ، وهو أول من كنى بهذه الكنية لهرة كان يلعب بها ، كناه النبى ﷺ بذلك ، وقيل والده ، وكان عريف أهل الصفة، أسلم عام خيبر بالاتفاق، وشهدها مع رسول الله ﷺ . **قال ابن عبد البر :** لم يختلف فى اسم أحد فى الجاهلية ولا فى الإسلام كالاختلاف فيه ، **وروى أنه قال :** كان يسمى فى الجاهلية عبد شمس وسمى فى الإسلام عبد الرحمن ، واسم أمه ميمونة ، وقيل أمية ، وقد أسلمت بدعاء النبىﷺ لها . **قال أبو هريرة :** نشأت يتيما وهاجرت مسكينا وكنت أجيرا لبسرة بنت غزوان خادما لها فزوجنيها الله تعالى ، فالحمد لله الذى جعل الدين قواما ، وجعل أبا هريرة إماما . **قال :** وكنت أرعى غنما

---

(١) رواه البخارى ، " كتاب الرقاق " ، " باب التواضع " ، ١١/٣٤٠ ، ٣٤١ عن أبى هريرة .

ولى هرة صغيرة ألعب بها فكنونى بها . وقيل رآه النبى ﷺ وفى كمه هرة ، **فقال :** يا أبا هريرة ، وهو أكثر الصحابة رواية بإجماع . روى له خمسة آلاف حديث وثلثمائة وأربعة وسبعون حديثا "٥٣٧٤ حديث" . اتفق البخارى ومسلم على ثلاثمائة وخمسة وعشرين، وانفرد البخارى بثلاثة وتسعين، ومسلم بمائة وتسعين . روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من صاحب وتابع ، منهم ابن عباس وجابر وأنس بن مالك . وأبو هريرة أزدى دوسى يمانى ثم مدنى ، كان ينزل بذى الحليفة بقرب المدينة ، له بها دار تصدق بها على مواليه . ومن الرواة عنه ابنه المحرر . مات بالمدينة سنة تسع وخمسين ، وقيل ثمان ، وقيل سبع ، ودفن بالبقيع وهو ابن ثان وسبعين سنة ، والذى يقوله الناس إن قبره بقرب عسقلان لا أصل له ، ولكن هناك قبر خيسعة ابن جندرة الصحابى(١) .

الحديث القدسى : هو كل حديث يضيف فيه الرسول ﷺ قولا إلى الله ﷻ ويسمى بالحديث القدسى أو الإلهى والأحاديث القدسية كثيرة ، وقد جمعها بعض العلماء فبلغت " ٢٧٢ حديث ". ونسبة الحديث إلى القدس – وهو الطهارة والتنزيه – وإلى الإله أو إلى الرب ، لأنه صادر عن الله ﷻ من حيث إنه المتكلم به أولا والمنشئ له ، وأما كونه حديثا ، فلأن الرسول ﷺ هو الحاكى له عن الله تعالى ، بخلاف القرآن الكريم فإنه لا يضاف إلا إلى الله ﷻ ، فيقال فيه " قال الله تعالى " ، ويقال فى الأحاديث القدسية " قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى " .

والفرق بين الحديث القدسى والأحاديث النبوية :

أن الحديث القدسى نسبته إلى الله تعالى والرسول ﷺ يرويها ويحكيها عنه ﷻ ولذلك قيدت بالقدس أو الإله ، **فقيل فيها :** أحاديث قدسية وأحاديث إلهية نسبة إلى

---

(١) أنظر : • تهذيب الكمال ، ٣٦٦/٣٤ . • تهذيب التهذيب ، ٢٣١/١٢ .

الذات العليه ، وقيدت الأخرى بالنبى ﷺ ، **فقيل فيها** : أحاديث نبوية نسبة إلى الرسول ﷺ وإن كانت جميعها صادرة بوحى من الله ﷻ لأن الرسول ﷺ لا يقول إلى الحق، قال تعالى " **وما ينطق عن الهوى** "(١) ، وقال ﷺ " **ألا إنى أوتيت** الكتاب ومثله معه "(٢) .

وأما الفرق بين الحديث القدسى والقرآن الكريم ، فيتلخص فى الآتى :

١- القرآن الكريم معجزة باقية على مر الدهور محفوظة من التغيير والتبديل متواترة اللفظ فى جميع الكلمات والحروف والأسلوب والحديث القدسى ليس كذلك .

٢- تحرم رواية القرآن الكريم بالمعنى ، أما الحديث القدسى فيجوز قراءته بالمعنى.

٣- كراهة مسه للمحدث وحرمة تلاوته على الجنب والحائض ، والحديث القدسى ليس كذلك حيث يجوز قراءته لهما .

٤- تعينه فى الصلاة مثل قراءة الفاتحة وما تيسر ، أما الحديث القدسى فلا يصح بل تبطل الصلاة .

٥- يسمى قرآنا ، والحديث القدسى لا يسمى بهذه التسمية .

٦- التعبد بقراءته حيث لكل حرف عشر حسنات ، والحديث القدسى لا يتعبد بتلاوته ولا يؤجر تاليه على كل حرف عشر .

٧- تسمى الجملة منه آية ، ومقدار من الآيات مخصوص سورة ، والحديث القدسى ليس كذلك .

٨- القرآن الكريم ما كان لفظه ومعناه من عند بوحى جلى ، أما الحديث القدسى فهو ما كان لفظه من عند رسول الله ﷺ ومعناه من عند الله تبارك وتعالى بالإلهام

---

(١) آية من سورة النجم .

(٢) رواه أبو داود فى سننه ، ٤/٢٧٩ .

أو المنام ، وقد يكون بوحى جلى ، وليس الوحى الجلى شرطا له بخلاف القرآن الكريم ، فإنه لا يكون إلا بوحى جلى ، أى ينزل به الملك من عند الله تعالى بلفظه ، فى حين أنه لا تنحصر الأحاديث القدسية فى كيفيات الوحى ، بل يجوز أن تنزل بأى كيفية من كيفياته ، كرؤيا النوم ، والإلقاء فى الروع وعلى لسان الملك .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

هذا الحديث من الأحاديث القدسية وهو محتمل أن يكون مما تلقاهﷺ عن ربه بلا واسطة، ويحتمل أن يكون مما تلقاه بواسطة الملك وهو الراجح. وقد وقع فى بعض طرقه أن النبىﷺ حدث به عن جبريل عن الله عز وجل وذلك فى حديث أنس . **قال تعالى** " من عادى لى وليا " المراد بولى الله : العالم بالله المواظب على طاعته المخلص فى عبادته . **وقد يقال** أن من هذا حالة لا يوجد أحد يعاديه لأن المعاداة إنما تقع من الجانبين ومن شأن الولى الحلم والصفح عمن يجهل عليه .

وأجيب : بأن المعاداة لم تنحصر فى الخصومة والمعاملة الدنيوية مثلا بل قد تقع عن بغض ينشأ عن التعصب كالرافضى فى بغضه أبو بكر ، والمبتدع فى بغضه للسنى ، فتقع المعاداة من الجانبين ، أما من جانب الولى فلله تعالى وفى الله ، وأما من جانب الآخر فلما تقدم ، وكذا الفاسق المتجاهر ببغضه للولى فى الله وببغضه الآخر لإنكاره عليه وملازمته لنهيه عن شهواته ، وقد تحدث المعاداة من الفاسق بالفعل تجاه الولى دون أن يحدث من الولى ما يقابل تلك المعاداة . **قوله** "لى" هو فى الأصل صفة لقوله " وليا " لكنه لما تقدم صار حالا . ومعنى "عادى لى وليا" أى اتخذه عدوا، من أجل ولايته وهو يتضمن التحذير من إيذاء قلوب أولياء الله ولكن يستثنى من ذلك ما إذا كانت الحال تقتضى نزاعا بين وليين فى مخاصمة أو محاكمة ترجع إلى استخراج حق أو كشف غامض .

قوله " فقد آذنته بالحرب " أى أعلمته ، والإيذان الإعلام ومنـــه أخــذ الأذان " بالحرب " أى أعلنت الحرب عليه . **وفى رواية أخرى** " فقد اســتحل محــاربتى " **وفى رواية** " فقد بارز الله بالمحاربة " . **وهنا إشكال يقول :** إن المحاربة هى وقــوع مفاعلة من الجانبين فكيف تحدث والمخلوق تحت أسر الخالق؟ . **نقول فى الجــواب:** أنه من المخاطبة بما يفهم ، فإن الحرب تنشأ عن العداوة والعداوة تنشأ عن المخالفــة وغاية الحرب الهلاك والله لا يغلبه غالب ، فكأن المعنى فقد تعرض لإهلاكى إياه ، فأطلق الحرب وأراد لازمه أى أعمل به ما يعمله العدو المحارب ، وفى هذا تــهديد شديد ، لأن من حاربه الله أهلكه ، وهو من المجاز البليغ لأن من كره من أحــب الله خالف الله ومن خالف الله عانده ومن عانده أهلكه ، وإذا ثبت هذا فى جانب المعــاداة ثبت فى جانب الموالاة فمن والى أولياء الله أكرمه الله . **وقال الطوفى :** لما كان ولى الله من تولى الله بالطاعة والتقوى تولاه الله بالحفظ والنصرة ، وقد أجرى الله العــادة بأن عدو العدو صديق وصديق العدو عدو ، فعدو ولى الله عدو الله ، فمن عاداه كان كمن حاربه ومن حاربه فكأنما حارب الله. قال الله تعالى " **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى فى الحياة الدنيــا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم** "(١) .

قوله " وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه " يجوز فـــى " أحب " الرفع والنصب ، ويدخل تحت هذا اللفظ جميع فرائض العيــن والكفايــة ، وظاهره الاختصاص بما ابتدأ الله فرضيته . **ويستفاد منه :** أن أداء الفرائض أحــب الأعمال إلى الله ، فالأمر بالفرائض جازم ويقع بتركها المعاقبة بخلاف النفـــى فـــى الأمرين ، وإن اشترك مع الفرائض فى تحصيل الثواب ، فكانت الفرائض أكمــل ،

---

(١) سورة يونس ، الآية {٦٤} .

فلهذا كانت أحب إلى الله تعالى وأشد تقريبا ، وأيضا فالفرائض كالأصل والأس والنفل كالفرع والبناء ، وفى الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر واحترام الآمر وتعظيمه بالانقياد إليه وإظهار عظمة الربوبية وذل العبودية ، فكان التقرب بذلك أعظم العمل والذى يؤدى الفرض قد يفعله خوفا من العقوبة ومؤدى النفل لا يفعله إلا إيثارا للخدمة فيجازى بالمحبة التى هى غاية مطلوب من يتقرب بخدمته . **قوله** " وما يزال عبدى يتقرب إلى " التقرب " طلب القرب . وقرب العبد من ربه يقع أولا بإيمانه ثم بإحسانه ، وقرب الرب من عبده ما يخصه به فى الدنيا من عرفانه ، وفى الآخرة من رضوانه ، وفيما بين ذلك من وجوه لطفه وامتنانه . ولا يتم قرب العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق ، وقرب الرب بالعلم والقدرة عام للناس ، وباللطف والنصرة خاص بالخواص ، وبالتأنيس خاص بالأولياء .

قوله " بالنوافل حتى أحبه " ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل ، وهنا اعتراض يقول " إن الفرائض أحب العبادات إلى الله فكيف لا تنتج المحبة ؟ **الجواب** : أن المراد من النوافل ما كانت حاوية للفرائض مشتملة عليها ومكملة لها، ويؤيده أن فى رواية أبى أمامة،" ابن آدم ، إنك لا تدرى ما عندى إلا بأداء ما افترضت عليك " . **ومعنى الحديث** : أنه إذا أدى الفرائض ودام على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى ، ويؤخذ من قوله ﷺ " ما تقرب ... إلخ) أن النافلة لا تقدم على الفريضة ، لأن النافلة إنما سميت نافلة لأنها تأتى زائدة على الفرض ، فما لم تؤد الفريضة لا تحصل النافلة ، ومن أدى الفرض ثم زاد عليه النفل وأدام ذلك تحققت منه إرادة التقرب ، وأيضا فقد جرت العادة أن التقرب يكون غالبا بغير ما وجب على المتقرب كالهدية والتحفة بخلاف من يؤدى ما عليه من خراج أو يقض ما عليه من دين ، وأيضا فإن من جملة ما شرعت له النوافل جبر الفرائض كما صح فى الحديث الذى أخرجه مسلم

" أنظروا هل لعبدى من تطوع فتكمل به فريضته " ، وهذا يدل على أن التقرب بالنوافل يقع ممن أدى الفرائض لا من أخل بها ، **كما قال بعض الأفاضل العلماء :** من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور ، **قوله** " كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به " ، **وفى حديث عائشة** " عينه التى يبصر بها " ، **وفى رواية أخرى** " عينيه التى يبصر بهما " ، وكذا قال فى الأذن واليد والرجل ، **وزاد فى رواية أخرى** " وفؤاده الذى يعقل به ، ولسانه الذى يتكلم به " ، **وفى رواية أخرى** " وقلبه الذى يعقل به " ، **وفى حديث أنس** " ومن أحببته كانت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا " ، **وهنا يكمن اعتراض وهو:** كيف يكون الله ﷻ سمع العبد وبصره ويده ورجله ؟

نقول أن الجواب فى ذلك من أوجه :

الوجه الأول : أنه ورد على سبيل التمثيل ، والمعنى كنت سمعه وبصره فى إيثاره أمرى ، فهو يحب طاعتى ويؤثر خدمتى ، كما يحب هذه الجوارح .

الوجه الثانى : أن المعنى كليته مشغولة بى فلا يصغى بسمعه إلا إلى ما يرضينى ، ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به .

الوجه الثالث : أجعل له مقاصده كأنه ينالها بسمعه وبصره ويده ورجله .

الوجه الرابع : كنت له فى النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله فى المعونة على عدوه .

الوجه الخامس : ويمكن أن يكون على تقدير حذف مضاف ، **ويكون المعنى:** كنت حافظ سمعه الذى يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل استماعه وحافظ بصره الذى يبصر به فلا يبصر إلا ما يحل النظر إليه ... وكذلك بقية الجوارح .

الوجه السادس : يحتمل أن يكون معنى آخر أدق من الذى قبلـه ، وهـو أن يكون معنى سمعه مسموعة ، لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان أملـي بمعنى مأمولى ، والمعنى أنه لا يسمع إلا ذكرى ولا يلتذ إلا بتلاوة كتابى، ولا يـأنس إلا بمناجاتى ولا ينظر إلا فى عجائب ملكوتى ، ولا يمد يده إلا فيما فيـه رضـاى ورجله كذلك .

قال الطوفى : اتفق العلماء ممن يعتد بقوله أن هذا مجاز وكناية عـن نصـرة العبد وتأييده وإعانته ، حتى كأنه سبحانه وتعالى ينزل نفسه من عبده منزلـة الآلات التى يستعين بها ولهذا وقع فى رواية " فبى يسمع وبى يبصر وبـى يبطـش وبـى يمشى" . **وقال الخطابى :** هذه أمثال والمعنى توفيق الله لعبده فـى الأعمـال التـى يباشرها بهذه الأعضاء ، وتيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمـه عن مواقعة ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه ، ومن النظر إلى ما نـهى الله عنه ببصره ، ومن البطش فيما لا يحل له بيده ومن السعى إلى الباطل برجله .

الوجه السابع : وقد يكون عبر بذلك عن سرعة إجابة الدعاء والنجـح فـى الطلب وذلك أن مساعى الإنسان كلها إنما تكون بهذه الجوارح المذكورة .

قوله " وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذ بى لأعيذنه " ، والمعنى ولئن سألنى من أمور الدنيا والآخرة فلا أتأخر عليه بل أسرع فى إعطائه ، ولئن استعاذ بى ممـا يخاف أعذته ، **وفى رواية** أخرى " وإذا استنصر بى نصرته "، **ويستفاد من ذلك:** أن المراد بالنوافل جميع ما يندب من الأقوال والأفعال ، **وهنا يظهر أيضا اعتراض يقول :** إن كثيرا من الناس من العباد والصلحاء والأخيار دعوا وبالغوا فى الدعـاء ولم يستجب لهم ؟ . **فنقول : إن الإجابة تتنوع وتأخذ أشكالا مختلفة فمنها :**

(أ) أن يقع ما يطلبه العبد على الفور وبالشكل الذى يريد .

(ب) وتارة يقع ولكن يتأخر لحكمة فيه .
(جـ) وتارة قد تقع الإجابة ولكن بغير عين المطلوب ، حيث لا يكون فى المطلوب مصلحة مهمة فتقع الإجابة بالمصلحة المهمة أو أصلح منها .

قوله " وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن " ، **وفى رواية** " ترددى عن موته " . **قال الخطابى** : التردد فى حق الله غير جائز ، والبدء عليه فى الأمور غير سائغ ، **ولكن له تأويلان :**

أحدهما : إن العبد قد يشرف على الهلاك فى أيام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعوا الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروها ، فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد أمرا ثم يبدوا له فيه ويعرض عنه ولا بد له من لقائه إذا بلغ الكتاب أجله ، لأن الله قد كتب الفناء على خلقه واستأثر بالبقاء لنفسه .

ثانيهما : أن يكون معناه ما رددت رسلى فى شىء أنا فاعله كترددى إياهم فى نفس المؤمن ، كما روى فى قصة موسى وما كان من لطمة عين ملك الموت وتردده إليه مرة بعد أخرى . **قال** : وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه .

قال أحد العلماء : أنه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات ، أى عن الترديد بالتردد ، وجعل متعلق الترديد اختلاف أحوال العبد من ضعف ونصب إلى أن تنتقل محبته فى الحياة إلى محبته للموت فيقبض على ذلك . وقد يحدث الله فى قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق إليه والمحبة للقائه ما يشتاق معه إلى الموت فضلا عن إزالة الكراهة عنه ، فأخبره أنه يكره الموت ويسوءه ، ويكره الله مساءته فيزيل عنه كراهية الموت لما يورده عليه من الأحوال فيأتيه الموت وهو له مؤثر وإليه مشتاق.

قوله " يكره الموت وأنا أكره مساءته " ، " ولا بد له منه " الكراهة هنا لما يلقى المؤمن من الموت وصعوبته وكربه ، وليس المعنى أنى أكره له الموت لأن الموت يورده إلى رحمة الله ومغفرته ، لأنه إما كان مفارقة الروح للجسد لا تحصل غالبا إلا بألم عظيم جدا ، **كما جاء عن عمرو بن العاص أنه سئل وهو يموت فقال:** " كأنى أتنفس من خرم إبرة ، وكأن غصن شوك يجر به من قامتى إلى هامتى " ، كانت كراهية العبد للموت .

وقوله " وأنا أكره مساءته " ، وهو أن يتركه الله فيطول به العمر حتى يصل على أرذله فينتكس الخلق ولا يعلم بعد علمه شيئا ، قال تعالى " ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا "(١) ، فكان من رحمة الله ﷻ قبض عبده قبل هذا السن فإنه يكره مساءته ، " ولا بد له منه " أى ولا بد له من الموت فإن الآخرة لا تنال إلا بالموت ، ولأن " كل نفس ذائقة الموت " .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- عظم قدرة الصلاة فإنه ينشأ عنها محبة الله للعبد الذى يتقرب بها وذلك لأنها محل المناجاة والقربة، ولا واسطة فيها بين العبد وربه، ولا شىء أقر لعين العبد منها فقد قال النبى ﷺ " وجعلت قرة عينى فى الصلاة " ،ومن كانت قرة عينيه فى شىء فإنه يود أن لا يفارقه ولا يخرج منه لأن فيه نعيمه وبه تطيب حياته .
٢- أن من أتى بما وجب عليه وتقرب بالنوافل لم يرد دعاؤه لوجود هذا الوعد الصادق المؤكد بالقسم " ولئن سألنى لأعطينه " .
٣- إن العبد ولو بلغ أعلى الدرجات حتى يكون محبوبا لله لا ينقطع عن الطلب من الله لما فيه من الخضوع له وإظهار العبودية .

---

(١) جزء من آية رقم {٥} ، سورة الحج .

٤- عظم قد الولى لكونه خرج عن تدبيره إلى تدبير ربه ، وعن انتصاره لنفسه إلـى انتصار الله له ، وعن حوله وقوته بصدق توكله .
٥- أن لا يحكم لإنسان آذى وليا ، ثم لم يعاجل بمصيبة فى نفسه أو مالـه أو ولـده بأنه سلم من انتقام الله ، فقد تكون مصيبته فى غير ذلك مما هـو أشـد عليـه كالمصيبة فى الدين .
٦- الاجتهاد فى الطاعة وملازمة العبودية مع التواضع التام ، فإن من تواضـع لله رفعه حتى يجعله فى أعلى عليين ، كما قال سيد المرسلين .

ومن النوافل (صلاة السنن)
الحديث الثانى

عن أم حبيبة " رملة بنت أبى سفيان " رضي الله عنها قالت : سـمعت رسـول الله ﷺ يقول " ما من عبد مسلم يصلى لله تعالى كل يوم اثنتى عشرة ركعة تطوعـا غـير فريضة إلا بنى الله له بيتا فى الجنة أو إلا بنى له بيت فى الجنة " . قالت أم حبيبـة : فما برحت أصليهن بعد "[١] .

التعريف براوية الحديث :

راوية الحديث هى أم المؤمنين حبيبة بنت أبى سفيان ، وهذا قـول الأكـثرين وهو الأصح والمشهور ، وقيل اسمها هند بنت أبى سفيان صخر بن أمية بـن عبـد شمس بن عبد مناف بن قصى القرشية الأموية المكية ثم الحبشية ثم المدنية رضـى الله عنها ، كنيت بابنتها حبيبة بنت عبيد الله بن جحش ، كانت مـن السـابقات إلـى الإسلام هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة فتوفى عنـها فتزوجـها

---

(١) أخرجه مسلم ، " كتاب صلاة المسافرين " ، " باب فضل السنن الراتبة " ، ١/٥٠٣ .

رسول الله ﷺ وهى هناك سنة ست من الهجرة وقيل سبع ، وتوفيت سنة ٤٤ مـــن الهجرة وقيل قبل معاوية بسنة ، والصحيح أنها ماتت بالمدينة سنة ٤٢ هـــ .

قال ابن منده سنة ٤٢ هـــ ، وكان النجاشى أمهرها بأربعة آلاف درهم وبعثها إلى النبى ﷺ مع شرحبيل بن حسنة ، وقدمت المدينة ولها بضع وثلاثـــون ســـنة ، روى لها عن الرسول ﷺ خمسة وستون حديثا ، روى فى الصحيحين أربعة منـــها اتفقا " أى البخارى ومسلم " على اثنتين وانفرد مسلم باثنتين[1] .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

لما كان من الرحمة المرعية فى الشرائع أن تبين لهم ما لا بد منه وما يحصــل به فائدة لطاعة كاملة ليأخذ كل إنسان حظـــه ويتمســـك المشـــغول والمقبـــل علـــى الارتقائات بما لا بد منه ويؤدى الفارغ المقبل على تهذيب نفسه وإصـــلاح آخرتـــه الكامل ، توجهت العناية التشريعية إلى بيان صلوات يتنفلون بها وتحينـــها بأســـباب وأوقات تليق وأن يحث عليها ويرغب فيها ويفصح عن فوائدها إلى ترغيبـــهم فـــى الصلاة النافلة غير المؤقتة إجمالا إلا عند مانع كالأوقات المنهية منها .

رواتب الفرائض والأصل فيها **:** أن الأشغال الدنيوية مما فيه ذكر الله صـــاده عن تدبر الأذكار وتحصيل ثمرات الطاعات فإنها تورث إخلادا إلى الراحة ولذلـــك سنت النوافل .

أما لتهيئة النفس قبل الدخول فى الفرض لجمع الهمة لـــه وصفـــاء القلـــب . أو لتكملة المقصود . وأكدها عشر ركعات أو اثنتا عشر ركعة متوزعة على الأوقات وذلك أنه أراد أن يزيد بعدد الركعات الأصلية وهى إحدى عشرة .

---

(١) أنظر : • تهذيب الكمال ، ١٧٥/٣٥ .   • تهذيب التهذيب ، ٣٦٩/١٢ .

قالت أم المؤمنين رضى الله عنها : سمعت ﷺ يقول : " ما من عبـد مسـلم يصلى لله تعالى أى مخلصا لذاته كل يوم ثنتى عشرة ركعة تطوعا غير الفريضـة ، صفة مؤكدة للتطوع ، **وهو لغة :** الزيادة . **وشرعا :** ما عدا الفريضة " إلا بنـى الله له بيتا فى الجنة " وهذا الحديث بعمومه يعطى أن الوعد المرتب فيه على صلاة مـا ذكر شاملا للرواتب وغيرها من الضحىٰ فلأن الرواتب من جملة ما رتب .

الحديث الثالث

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : " صليت مع رسول الله ﷺ ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء "(١) .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

قوله " صليت مع رسول الله ﷺ ركعتين قبل الظـهر وركعتيـن بعدهـا " ، الركعتان القبليتان والركعتان البعديتان للظهر من سننه المؤكدة ، ويسن أيضا ركعتان قبل وركعتان بعد إلا أنهما ليستا مؤكدتين ، والمفعول من السنن للظهر هو المفعـول للجمعة يومها ، فالاقتصار على قوله " ركعتين بعد الجمعة " .

باعتبار ما فعله ابن عمر مع رسول الله ﷺ " وركعتين بعد المغرب وركعتيـن بعد العشاء ، وفى الصحيحين عنه بزيادة فى بيته أى صليت معه ما ذكر فى بيتـه وهو موافق للخبر الصحيح الذى روته حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها عن النبى ﷺ . **قال العلماء :** والحكمة فى شرعية النوافل تكميل الفرائض بها إن عرض فيها نقص ، كما ثبت فى الحديث ، ولترضاه نفسه بتقديم النافلة ويتنشط بها ويتفرغ قلبـه أكمل تفريغ للفريضة .

---

(١) أخرجه مسلم ، " كتاب صلاة المسافرين " ، " باب فضل السنن الراتبة " ، ٥٠٤/١ .

الحديث الرابع

روى البخارى بسنده عن زيد بن ثابت : أن رسول الله ﷺ اتخذ حجرة قال : حسبت أنه قال : من حصير فى رمضان فصلى فيها ليالى فصلى بصلاته ناس من أصحابه ، فلما علم بهم جعل يقعد فخرج إليهم فقال : قد عرفت الذى رأيت من صنيعكم فصلوا أيها الناس فى بيوتكم ، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة ".

بعض الروايات التى تساعد على فهم الحديث :

ما رواه الإمام مسلم عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ " إذا قضى أحدكم الصلاة فى مسجده فليجعل فى بيته نصيبا من صلاته ".

وما رواه ابن ماجه عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال : "إذا قضى أحدكم صلاته فليجعل لبيته منها نصيبا، فإن الله عز وجل جاعل فى بيته من صلاته خيرا".

وما رواه مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة " .

وما رواه الإمام أحمد عن زيد بن خالد قال[1] : قال رسول الله ﷺ : " صلوا فى بيوتكم ولا تتخذوها قبورا " .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

اتخذ النبى ﷺ لنفسه حاجزا يحول بينه وبين الناس ليصلى فيه لنفسه " صلاة القيام " ، وكان هذا الحاجز من حصير وبالطبع فقد كان ذلك فى شهر رمضان ، فصلى فيها ليالى فسمع ناس من أصحابه بصلاته فصلوا بصلاته أى خلفه وهو إمام

---

(١) أخرجه البخارى ، " كتاب الأذان " ، " باب صلاة الليل " ، ٢١٤/١ ، ٢١٥ .

لهم وبينهم ذلك الحاجز ، " فلما علم بهم جعل يقعد " ولا يصلى بهم ثم خرج إليهم وقال لهم : قد عرفت الذى رأيت من صنيعكم " أى حرصكم على إقامة صلاة التراويح ، وهذا الكلام ليس لأجل صلاتهم فقط بل لكونهم رفعوا أصواتهم وسبحوا به ليخرج إليهم ، وحصب بعضهم الباب لظنهم أنه نائم . فقال لهم ما سبق ذكره من معرفته بحالهم ثم قال لهم : فصلوا أيها الناس فى بيوتكم ، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة " أى أفضل السنن أن تصلى فى البيت فدرجتها أرفع وبعدها عن الرياء أوقع ولوسوسة الشيطان أدفع إلا الفريضة فمكانها فى المسجد أفضل وهو مكانها الصحيح .

ففى الحديث دليل على أن صلاة التطوع فعلها فى البيت أفضل من فعلها فى المسجد ، ولو كانت فى المساجد الفاضلة التى تضعف فيها الصلاة على غيرها ، وقد ورد التصريح فى إحدى روايتى أبى داود لحديث زيد بن ثابت فقال فيها : "صلاة المرء فى بيته أفضل من صلاته فى مسجدى إلا المكتوبة" وإسنادها صحيح ، فعلى هذا لو صلى نافلة فى مسجد المدينة كانت بألف صلاة على القول بدخول النوافل فى عموم الحديث ، وإذا صلاها فى بيته كانت أفضل من ألف صلاة ، وهكذا حكم المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، إلا أن التضعيف بمكة يحصل فى جميع مكة بل صحح النووى أن التضعيف يحصل فى جميع الحرم ، واستثنى من عموم الحديث عدة من النوافل ففعلها فى غير البيت أكمل وهى ما تشرع فيها الجماعة كالعيدين والاستسقاء والكسوف ، **وقالت الشافعية** : وكذلك تحية المسجد وركعتا الطواف وركعتا الإحرام إن كان عند الميقات مسجد كذى الحليفة ، وكذلك التنفل فى يوم الجمعة قبل الزاول وبعده . وفيه حجة على من استحب النوافل فى المسجد ليلية كانت أو نهارية ، وفيه ما يدل على أصل صلاة التراويح .

واستثناء المكتوبة مما يصلى فى البيوت وهو فى حق الرجال دون النساء فإن صلاتهم فى البيوت أفضل وإن أذن لهم فى حضور بعض الجماعات ، وقد قال رسول الله ﷺ فى الحديث الصحيح " إذا أستأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد فأذنوا لهن ، وبيوتهن خير لهن " .

نص الحديث الخامس

عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قام فى شهر رمضان ، ثم انتظروه من القابلة فلم يخرج ، وقال : إنى خشيت أن يكتب عليكم الوتر .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

قيام رمضان هو القيام الموعود عليه بالغفران فى الحديث الصحيح ، والقيام والتراويح اسمان لمعنى واحد .

هذا : وقد أشكل التعليل لعدم الخروج بخشية الفرضية عليهم مع ثبوت حديث " وهى خمس " " أى صلوات " وهى خمسون " أى فى العمل " ؟ **وأجيب بعدة أجوبة منها الآتى :**

إن خوفه ﷺ كان من افتراض قيام الليل يعنى جعل التهجد فى المسجد جماعة شرطا فى صحة التنفل بالليل ويومئ إليه قوله ﷺ حتى خشيت أن تكتب عليكم .. فصلوا أيها الناس فى بيوتكم فمنعهم من التجمع فى المسجد إشفاقا عليهم من اشتراطه خشية فرضها مطلقا .

واعلم : أن من أثبت صلاة التراويح وجعلها سنة استدل بحديث " أنه ﷺ صلى بهم ثلاث ليال وغص المسجد بأهله فى الليلة الرابعة " ، وليس فى الحديث دليل على كيفية ما يفعلونه ولا كميته ، فإنهم يصلون جماعة عشرين مثنى فأما

الجماعة فإن عمر أول من جمعهم على إمام معين وقال إنها " بدعة " ، كما أخرجها مسلم فى صحيحه، فيجعل قوله " بدعة " على جمعهم على معين وإلزامهم بذلك لا على القيام فى ذاته ، فإنه ﷺ كان يرغبهم فى قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة ، فقال ﷺ " من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه " . وتوفى رسول الله ﷺ والأمر على ذلك ، وفى خلافة أبى بكر وصدر خلافة عمر وقد خرج عمر ذات ليلة فطاف فى رمضان فى المسجد وأهل المسجد أوزاع متفرقون يصلى الرجل لنفسه ويصلى الرجل فيصلى بصلاته الرهط ، **فقال عمر :** والله لا أظن لو جمعناهم على قارئ واحد فأمر أبى بن كعب أن يقوم بهم فى رمضان فخرج عمر والناس يصلون بصلاته .

وكمية صلاة التراويح عشرون بعشر تسليمات ، وكانوا يوترون عقبها بثلاث، وسر العشرين أن الرواتب المؤكدة فى غير رمضان عشر فضوعفت فيه لأنه وقت جد وتشمير ، ولأهل المدينة فقط لشرفهم بجوارهﷺ ست وثلاثون جبرا لهم بزيادة ست عشرة، وسميت تراويح لأنهم لطول قيامهم كانوا يستريحون بعد كل تسليمتين .

إذاً فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- تأكيد ندب قيام الليل فى رمضان ، والحث على الإكثار من العبادة فيه .

٢- يحصل قيام رمضان بصلاة التراويح ، وهى عشرون ركعة بعشر تسليمات ما عدا ركعات الوتر الثلاث .

٣- أول من جمع الناس لقيام رمضان بعد رسول الله ﷺ هو عمر بن الخطاب واشتهر بعده ، ولم ينكره أحد .

" فضل الصيام وصيام النوافل "

الصوم في اللغة : الإمساك . فقال تعالى حكاية عن مريم عليها السلام " إني نذرت للرحمن صوماً "[١] ، أى صمتاً وسكوتاً وكان مشروعاً عندهم ، ألا ترى إلى قولها " فلن أكلم اليوم أنسياً " . **قال النابغة الذبيانى :**

خيلٌ صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

أى قائمة على غير علف . **قال أبو عبيد :** كل ممسك عن الطعام أو الأكل أو السير صائم .

وشرعاً : هو إمساك المكلف عن الأكل والشرب والجماع وما هو ملحق به من طلوع الفجر الثانى إلى غروب الشمس .

نص الحديث الأول

عن أبى هريرة ﷺ **قال :** قال رسول الله ﷺ " الصيام جُنَّة فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل : إنى صائم مرتين ، والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى ، الصيام لى وأنا أجزى به ، والحسنة بعشر أمثالها "[٢] .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

" فلا يرفث " بفتح الفاء وكسرها وضمها معناه لا يفحش ، والمراد من الرفث هنا الكلام الفاحش ، ويطلق على الجماع وعلى مقدماته وعلى ذكره مع النساء ويحتمل أن يكون النهى عما هو أعم منها . قوله " ولا يجهل " أى لا يفعل شيئاً من

---

(١) جزء آية من سورة مريم .

(٢) أخرجه البخارى ، " كتاب الصيام " ، " باب فضل الصوم " ، ١٠٣/٤ عن أبى هريرة .

أفعال الجهال كالعياط والسفه والتحرك بخفة وطيش ، **وفى رواية** " فلا يرفث ولا يجادل " . **قال القرطبى** : ولا يفهم من هذا أن غير الصوم يباح فيه ما ذكر ، وإنما المراد أن المنع من ذلك يتأكد بالصوم . **وقوله** " وإن امرؤ قاتله أو شاتمه " ، **وفى رواية** " فإن سابه أحد أو قاتله " ، **وفى رواية** " وإن شتمه إنسان فلا يكلمه " ، **وفى رواية** " مرتين " اتفقت الروايات كلها على أنه يقول " إنى صائم " ، فمنهم من ذكرها مرتين ومنهم من اقتصر على واحدة . **وقوله** " لخلوف " بضم الخاء واللام وسكون الواو بعدها فاء المراد به تغير رائحة فم الصائم بسبب الصيام .

قوله " أطيب عند الله من ريح المسك " عندكم كناية عن القبول والرضا . **قال القاضى عياض** : يجازيه الله تعالى به فى الآخرة ، فتكون نكهته أطيب من ريح المسك ، وقيل لكثرة ثوابه وأجره . **قوله** " يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى " أى قال الله تعال ذلك كما فى الحديث .

نص الحديث الثانى

عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " قال الله تعالى : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى ، وأنا أجزى به ، والصيام جنة ، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم ، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح ، وإذا لقى ربه فرح بصومه "(١) .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

قوله ﷺ " جنة " بضم الجيم : كل ما ستر ومنه المجن وهو الترس ومنه سمى الجن لاستتارهم عن العيون ، والجنان لاستتارها بورق الأشجار ، وإنما كان

---

(١) أخرجه البخارى ، " كتاب الصوم " ، " باب هل يقول الصائم إنى صائم " ، ٤/١١٨ .

الصوم جنة من النار لأنه إمساك عن الشهوات والنار محفوفة بالشهوات كما في الحديث الصحيح ، " حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات " ، **وقال ابن الأثير** : معنى كونه جنة : أى يقى صاحبه ما يؤذيه من الشهوات .

وقال القاضى عياض : معناه يستر من الآثام أو من النار أو بجميع ذلك ، **وقوله** ﷺ " يترك الصائم طعامه وشرابه وشهوته من أجلى ، وإنما قدرنا هذا ليصح المعنى لأن سياق الكلام يقتضى أن يكون ضمير المتكلم فى لفظ "والذى نفسى بيده"، ولفظ " لأجلى " من المتكلم واحد ، فلا يصح المعنى عن ذلك ، فلذلك قدرنا ذلك ، ويؤيده ما رواه أحمد " يقول الله ﷻ : إنما يذر شهوته وطعامه من أجلى " أى يترك شهوة الجماع لعطفها على الطعام والشراب .

قوله " الصيام لى وأنا أجزى به " ، وهو بيان لكثرة ثوابه لأن الكريم إذا أخبرته بأنه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى عظمته وسعته، وملخصهم أن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع فى غيره ، لأنه لا يظهر من ابن آدم بفعله وإنما هو شىء فى القلب . **قوله** " والحسنة بعشر أمثالها " فخص الصيام بالتضعيف إلى سبعمائة ضعف كما فى الحديث ، **فقال** : " كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فهو لى وأنا أجزى به " . **وقال** : سائر الحسنات بعشر الأمثال بخلاف الصوم فإنه بأضعافه بدون الحساب . **والحاصل** : أن الصيام لا يتقيد بأعداد التضعيف بل الله يجزيه على ذلك بغير حساب ، **وقوله** " إذا أفطر فرح " أى بفطره ومعناه : فرح بزوال جوعه وعطشه حيث أبيح له الفطر ، وهذا الفرح طبيعى وهو السابق للفهم ، **قيل** : أن فرحه بفطره إنما هو من حيث أنه تمام صومه وخاتمة عبادته وتخفيف من ربه ومعونة على مستقبل صومه . **وقوله** " وإذا لقى ربه فرح بصومه " أى بجزائه وثوابه ، **وقيل** : هو السرور بقبول صومه وترتب الجزاء الوافر عليه .

وقال ابن العربى : فرحة عند إفطاره بلذة الغذاء عند الفقهاء ، وبخلوص الصوم من الرفث واللغو عند الفقراء .

ففى الحديثين بيان لفضيلة ومنزلة الصوم سواء كان هذا الصوم فرضا كرمضان أو نفلا أو نذرا ، كما يبين الآداب التى يجب أن يتصف بها الصائم والأحكام التى يجب أن تراعى فى الصوم ، **مثل الآتى :**

١- النية : لقوله ﷺ : " **إنما الأعمال بالنيات** " وأن تكون من الليل .

٢- تحرى عدم الأكل والشرب : بدأ من الآذان فى الفجر وحتى غروب الشمس وآذان المغرب .

٣- السحور : فقد قال ﷺ : " تسحروا فإن فى السحور بركة " .

٤- القدر الزمنى بين السحور وصلاة الفجر : وهو قدر تلاوة خمسين آية فقد روى البخارى بسنده إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : " تسحرنا مع رسول الله ﷺ ، ثم قام إلى الصلاة . قلت : كم كان بين الآذان والسحور ؟ قال : قدر خمسين آية " .

٥- تعجيل الفطر وتأخير السحور وعدم الوصال للصوم: وذلك لقوله ﷺ : "لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر " ، **وفى رواية أخرى قال :** " لا تزال أمتى بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور " ، أما النهى عن الوصال فلقوله ﷺ : " لا تواصلوا قالوا : إنك تواصل . قال : لست كأحد منكم ، إنى أطعم وأسقى أو إنى أبيت أطعم وأسقى " ، **وفى رواية أخرى قوله** " إنى لست كهيئتكم ، إنى يطعمنى ربى ويسقينى " .

٦- ترك قول الزور والعمل به فى الصوم وغيره : وذلك لقوله ﷺ : " من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه " .

إذا ففى الحديث يأمر الرسول ﷺ المسلمين بوجوب حفظ اللسان والجوارح من المخالفات وجوبا فى المحرم وندبا فى المكروه فلا يتلفظ بقبح القول ولا يفعل المحرمات والمشاتمة ونحوها كالغيبة والنميمة وقول الزور ، وهذه الأمور وإن كان يؤمر بها كل من المفطر والصائم إلا أنها فى الصائم أولى .

فقوله ﷺ : " إذا كان أحدكم صائما فلا يرفث " أى فلا يتكلم بالكلام القبيح ويطلق أيضا على الجماع ومقدماته ، ويحتمل أن إلفها كما هو أعم منها .

قوله " ولا يجهل " أى لا يفعل كما قلنا أفعال الجهال كالصياح والسفه والسخرية ونحو ذلك ولا يجادل وهذه الثلاثة ممنوعة مطلقا لكنها تتأكد بالصوم .

قال الباجى : الجهل ضد العلم يتعدى بغير حرف الجر والجهل ضد الحلم يتعدى بحرف الجر ، **قوله** ﷺ " فإن " بتخفيف النون " قاتله " .

قال القاضى عياض : أى دافعة ونازعة ويكون بمعنى شاتمه ولاعنه ، وقد جاء القتل بمعنى اللعن واستشكال ظاهر الحديث بأن المفاعلة تقتضى وقوع الفعل من الجانبين مع أن الصائم مأمور بالكف عن ذلك . والمعنى فإن أراد أن يشاتمه أو يقاتله إن وجدت منهما جميعا " أى من الطرفين " فليذكر الصوم ولا يستدل ذلك ، **وأجاب غيره :** بأن المراد بالفاعلة التهيؤ لها أى يتهيأ أحد لقاتله أو مشاتمته " فليقل إنى صائم إنى صائم " مرتين تأكيدا للانزجار منه ، أو ممن يخاطبه .

قال ابن عبد البر : قيل يقوله بلسانه للشاتم والمقاتل أى وصومى يمنعنى من ذلك ، ومعنى المقاتلة مقاتلته بلسانه ، وقيل يقول فى نفسه أى فلا سبيل إلى شفاء غيظ ولا ينطق بأنى صائم لما فيه من الرياء وإطلاع الناس عليه ، لأن الصوم من العمل الذى لا يظهر ولذا يجزى الله الصائم أجره بغير حساب .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- استحباب كف الجوارح عن الآثام وحفظ اللسان عن الهذيان والكـــذب والغيبـــة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء .

٢- التذكير للنفس بالبعد عن الشهوات أو تذكير الغير بحاله زاجرا له عن التمـــادى فيما يؤدى إلى المخاصمة .

٣- قيمة الجزاء الذى أعده الله للصائم .

٤- إن فعل الطاعات إن كان بعضه فى ظاهره منفر لبعض الناس أو قد يضيق بـــه الشخص نفسه فهو عند الله عظيم طيب الأثر فليطمئن قلـــب القـــائم بالطاعـــة ، ولا يلتفت إلى بعض ما يصدر من سلبيات فكفى بقول رسول الله ﷺ " والـــذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك " .

فضل صيام النوافل

يوم عرفة وفضله

عن أبى قتادة ﷺ قال : سئل رسول الله ﷺ عن صوم عرفة فقـــال " يكفـــر السنة الماضية والباقية "(١) .

التعريف براوى الحديث :

هو أبو قتادة بن ربعى الأنصارى المشهور أن اسمه الحـــارث اختلفـــوا فـــى شهوده بدرا واتفقوا على أنه شهد أحدا وما بعدها كان يقال له فارس رسول الله ﷺ .

قال أبى قتادة : أدركنى رسول الله ﷺ يوم " ذى قرد " غزوة " فنظـــر إلـــى فقال : " اللهم بارك فى شعره وبشره – وقال – أفلح وجهه " قلت : وجهك يا رسول الله . قال " ما هذا الذى بوجهك ؟ قلت " سهم رميت به . قال : ادن ، فدنوت فبصق

(١) صحيح مسلم ، " كتاب الصيام " ، " باب استحباب صيام ثلاثة أيام ... إلخ " ، ٢/٨١٨ ، ٨١٩ جزء حديث.

عليه " أى على مكان الجرح " فما ضرب على قط ولا فاح " أى لم يؤلمنى بعد ذلك ببركة ريق رسول الله ﷺ ، وقد قال ﷺ : " خير فرساننا أبو قتادة وخير رجالنا سلمة بن الأكوع "(١) .

بيان المفردات والمعنى العام

* **يوم عرفة :** يقصد به يوم التاسع من ذى الحجة وهو يوم الوقوف بعرفة .
* **يكفر السنة الماضية والباقية :** أى يكون سببا فى ستر ذنوب السنة الفائتة التى آخرها شهر ذى الحجة والسنة الآتية التى أولها شهر محرم ، والمراد الذنوب الصغيرة إن وقعت وإلا فيرجى التخفيف من الكبائر أو رفع درجاته إن لم يكن له ذنوب كبيرة .

المسلمون الأعزاء : يخبرنا الصحابى أبو قتادة الأنصارى عن سؤال وجه لرسول الله ﷺ فى فضل صوم يوم عرفة لغير الحاج ، وما هو أجر من صام عند الله ﷻ؟ فكان جوابه ﷺ أنه " يكفر السنة الماضية والباقية " ، فينبغى أن يكون يوم عرفة هو آخرها والسنة الثانية تبدأ من اليوم العاشر ، وهناك رأى أنه يكفر إلى آخر ذى الحجة والسنة الثانية تبدأ من المحرم .

هذا : وقد استشكل تكفير ما لم يقع من الذنوب الآتية : للسنة المقبلة ، أو بمعنى آخر : كيف تكفر ذنوب لسنة جديدة وهذه الذنوب لم تقع أصلا ، وهى فى عالم الغيب؟ **والجواب :** أن العبد يوفق فيها لعدم الإتيان بذنب وسماه تكفيرا لمناسبة السنة الماضية ، أو أنه إن أوقع فيها ذنبا وفق للإتيان بما يكفره .

---

(١) أنظر : * تهذيب الكمال ، ١٩٤/٣٤ . * تهذيب التهذيب ، ١٨٣/١٢ .

فضل صيام يوم عاشوراء وتاسوعاء

عن أبى قتادة ﷺ " أن رسول الله ﷺ سئل عن يوم عاشوراء؟ فقال : " يكفر السنة الماضية "[1] .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

اختلف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى الصوم ، فكان النبى نوح عليه السلام يصوم الدهر ، وكان داود عليه السلام يصوم يوما ويفطر يوما ، وكان الأمر كذلك فيمن سبق أو لحق من الأنبياء والرسل . قال تعالى " **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** " ، ومن الأيام المشترك صيامها بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب صيام يوم عاشوراء ، وهو اليوم العاشر من شهر المحرم ، وسر مشروعيته أنه وقت نصر الله تعالى موسى عليه السلام على فرعون وقومه وشكر موسى بصوم ذلك اليوم ، وصار سنة بين أهل الكتاب والعرب ، وصامه النبى ﷺ قبل الإسلام مع قريش ، **وذلك فى رواية البخارى الآتية** : " عن عائشة ﷺ قالت " كان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية . وكان رسول الله ﷺ يصومه فى الجاهلية ، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه ، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء ، فمن شاء صامه ومن شاء تركه " . **وعن علة صيامه يروى البخارى بسنده عن ابن عباس قال** : " قدم النبى المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : ما هذا . قالوا : هذا يوم صالح ، هذا يوم نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى ، قال : فأنا أحق بموسى منكم ، فصامه وأمر بصيامه .

فهل الأمر هنا على سبيل الفرض ؟ وهل كان الأمر به قبل رمضان على سبيل الوجوب أو الندب ؟ **الصحيح عند الجمهور** أنه على سبيل الندب المؤكد أكمل

---

(١) أخرجه مسلم : " كتاب الصيام " ، ٨١٩/٢ ، جزء حديث .

للتأكيد ، وأنه بعدها بقى أصل التأكيد لأنه ﷺ ما زال يصومه وعزم إليه التاسع فى العام المقبل ، حيث قال ﷺ " لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع " رواه مسلم .

وإنما قال ذلك ﷺ لما فيه من مخالفة أهل الكتاب وأخـــبر أنـــهم يصومـــون عاشوراء فنبه بصيام التاسع مخالفة لهم لأنهم يفردونه بالصوم ولا يضمـــون إليـــه غيره . **ومن هنا** ندب العلماء إلى صيام يوم تاسوعاء كعاشوراء أخذا من الأحـــاديث التى حثت على ذلك طالبة مخالفة أهل الكتاب . **وهنا يكمن سؤال لابد منـه وهـو:** لما خص الله صيام يوم عرفة بتكفير عامين ويوم عاشوراء بعام واحد ؟

والإجابة على ذلك: أن فضل يوم عرفة على يوم عاشوراء واضح ومعروف لأن يوم عرفة خاص بالرسالة الخاتمة، وهى رسالة الله تعالى لنبيه محمـــدﷺ إلـــى الناس كافة، ولأن يوم عرفة سيد الأيام فاقتضى فضل العمل فيه على باقيها .

أما يوم عاشوراء فهو يوم موسوى اختص به قوم موسى ، أمـــا نحـــن فـــهو مستحب من أبواب المؤكدات ، لأن المسلمين أحق بموسى من اليهود الذين حرفـــوا كتبهم .

استحباب صوم يوم الاثنين والخميس

عن أبى قتادة ﷺ " أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين ، فقـــال : ذلك يوم ولدت فيه ويوم بعثت فيه ، أو أنزل على فيه "(١) .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

سئل ﷺ عن حكمة إيثار هذين اليومين بالصوم عن باقى أيام الأسبوع ، فقـــال عن يوم الاثنين " ذلك " ، عبر عنه بذلك تنويها بشأنه كما فى قولـــه تعـــالى " **ذلـــك**

---

(١) أخرجه مسلم ، " كتاب الصيام " ، ٨١٩/٢ جزء حديث .

الكتاب " والتنوين فى قوله ﷺ " يوم " للتعظيم كما يشير إليه وصفه بقوله " ولـدت فيه ويوم بعثت " أى فيه ، أفاد به أن شرفه بما ظهر فيه من ولادته وبعثته ، " أو " شك من الراوى هل قال بعثت فيه ، أو قال " أنزل على فيه " أى الوحى فنائب الفاعل مستتر ، أو هو الظرف أى وجد الإنزال على فيه .

وفى الحديث الآخر أن الأعمال تعرضها الملائكة الحفظة أو غيرهم يوم الاثنين أو الخميس ... ففى حديث الحسن الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : " تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس ، فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم " .

فيحتمل لفضل هذين اليومين أن مجموع الأعمال فى الأسبوع منهما بعد عرضهما قبل الاثنين مع عمله فيه بمعنى أن عمل يوم الجمعة والسبت والأحد يعرض على الله فى يوم الاثنين ويضم إليهم أجر يوم الاثنين ... وكذلك يوم الثلاثاء والأربعاء يرفع فى يوم الخميس ويضم إليهم يوم الخميس ، فأحب أن يصوم يومى الاثنين والخميس لتثقيل الميزان ورفع الدرجات .

مما سبق يتبين مدى أهمية الصوم فى حياة المسلم فريضة كانت أم كفارة أو نافلة ، كتكفير الأيمان ، أو بدلا لمن لم يقدر على الهدى فيمن أصابه الأذى وهو " محرم " ففدية من صيام أو صدقة أو نسك " ، وكذلك لمن قتل الصيد وهو محرم أو فى الحرم " فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره " .

إذا فالصوم ركن هام من أركان الإسلام ، له أهمية كبرى فى حياة الفرد والمجتمع ، نستكمل فضائله فى كتاب آخر إن شاء الله .

إذا يستفاد من الحديث الآتى :

١- استحباب صوم يوم الاثنين ، لأن النبى ﷺ ولد فيه وكان ذلك فى ليلة الثانى عشر من ربيع الأول على الرأى المشهور ، وأنزل عليه القرآن والوحى فى يوم الاثنين السابع عشر من رمضان .

٢- استحباب صوم يوم الخميس ، لأنه اليوم الذى يسبق يوم الجمعة الذى هو عيد المسلمين الأسبوعى والذى يجتمعون فيه على الذكر وسماع الموعظة .

ومن النوافل زيارة أهل الخير ومحبتهم وإعلامهم بذلك الحب

نص الحديث الأول

عن أبى هريرة ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال : إن رجلا زار أخا له فى قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لى فى هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها عليه ؟ قال : لا ، غير أنى أحببته فى الله تعالى ، قال : فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه "(١) .

١- **المدرجة** : الطريق . ٢- **تربها** : تقوم بها وتسعى فى صلاحها .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

أخبر الرسول ﷺ أن رجلا زار أخا له فى الدين فى قرية فأرسل الله له ملكا أى جعله يترقبه وينتظره ، وليبشره وهو فى طريقه ، فلما أقبل الرجل عليه قال أى الملك للرجل أين تريد ؟ واستفهم مع اطلاع الله له على ذلك . **قال الرجل** : أريد زيارة أخا لى كائنا فى هذه القرية . **قال الملك** : هل لك عطية وإحسان تسعى فى

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فى فضل الحب فى الله ، ١٩٨٨/٤ .

صلاحها بتربيتها وحفظها بالزيارة ، **قال الرجل** : لا ، أى لا نعمة لى أربها بزيارتـه أى لم أزره لغرض من أغراض الدنيا . ثم استثنى استثناء منقطعا بقوله " غير " أى لكن أحببته فى الله ، **قال الملك** : فإنى رسول الله إليك جئت لأخبرك بأن الله قد أحبك كما أحببته " . وهذا بيان لعظم فضل الحب فى الله والتزاور لأهل الخير فيه ، وأنــه من أعظم الأعمال ، وأفضل القرب إذا تجرد من هوى النفس .

نص الحديث الثانى

عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال أبو بكر الصديق لعمر ﷺ بعد وفاة رســول الله ﷺ : انطق بنا إلى أم أيمن ﷺ نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها . فلمــا انتهيا إليها بكت فقالا لها : ما يبكيك؟ أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ، قالت : إنى لا أبكى إنى أعلم ما عند الله تعالى خير لرسول الله ﷺ ، ولكــن أبكــى لأن الوحى قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها "(١) .

التعريف براوى الحديث :

هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد من بنى عدى بــن النجــار ، خادم رسول الله ﷺ وهو أحد المكثرين من الرواية عنه ، قد روى " ٢٢٨٦ " حديثا عن رسول الله ﷺ ، قال أنس قدم النبى ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين ، وأن أمــه أم سليم أتت به النبى ﷺ لما قدم ، فقالت له هذا أنس غلام يخدمك فقبله وأن النبــى ﷺ كناه أبا حمزة ببقلة كان يجتنيها ، ومازحه النبى ﷺ فقال له : " يا ذا الأذنين "، ودعا له الرسول ﷺ بالبركة وطول العمر ، فتوفى فى ســـنة " ٩٣ هــــ " علــى اختلاف فى الروايات ، وقد جاوز المائة سنة ، وبالطبع فإن ترجمته موجــودة فــى كتب الصحابة ورجال الحديث مثل الإصابة وأسد الغابة وغيرهم كثير .

---

(١) أخرجه مسلم ، " كتاب فضائل الصحابة " ، " باب من فضائل أم أيمن ﷺ " ، ١٦٠٧/٤ .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

أم أيمن : مولاة رسول الله ﷺ كانت أمة لعبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله ﷺ وكانت من الحبشة ، فلما ولدت السيدة آمنة رسول الله ﷺ بعد وفاة أبيه كانت أم أيمن تحضنه حتى كبر ، فأعتقها ﷺ ثم أنكحها زيد بن حارثة فهى أم أسامة بن زيد توفيت بعده ﷺ بخمسة أشهر ، واسمها بركة بنت ثعلبة .

قال الخليفة الأول لرسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه واسمه : عبد الله ابن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى القرشى التميمى ، أبو بكر الصديق بن أبى قحافة خليفة رسول الله ﷺ أمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر أبنة عم أبيه ، ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر ، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق : تذاكر رسول الله ﷺ وأبو بكر ميلادهما عندى ، فكان النبى ﷺ أكبر وصحب النبى ﷺ قبل البعثة وسبق إلى الإيمان به واستمر معه طول إقامته بمكة ورافقه فى الهجرة وفى الغار وفى المشاهد كلها إلى أن مات النبى ﷺ وكانت الراية معه يوم تبوك وحج فى الناس فى حياة رسول الله ﷺ سنة تسع من الهجرة واستقر خليفة فى الأرض بعده ، ولقبه المسلمون خليفة رسول الله ، ومناقبه كثيرة لا تحصى . قال أبو بكر رضي الله عنه للخليفة الثانى عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشى أبو حفص أمير المؤمنين ، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة ، ولد قبل البعثة بثلاثين سنة أى كان عمره ثلاثون سنة يوم بعثة النبى ﷺ كان إليه السفارة فى الجاهلية ، وكان عند مبعث الرسول ﷺ شديدا على المسلمين ثم أسلم ، فكان إسلامه فتحا على المسلمين وفرجا لهم من الضيق ، قال عبد الله بن مسعود " ما عبدنا الله جهرة حتى أسلم عمر " ، "بعد وفاة النبى إنطلق بنا إلى أم أيمن -كرامة لها- نزورها كما كان رسول الله ﷺ

يزورها " ، فقد كانت لها منزلة الأم عند رسول الله ﷺ فقد كان ﷺ يقول عنــها " أم أيمن أمى "، وكان يبرها ويكرمها مبرة الأم، ويكثر زيارتها، وكان عندها كولدها، ولذا تصخب عليه وتذمر أى ترفع صوتها عليه ، وتغضب وتضجر فعـل الوالـدة بولدها . " فلما انتهيا إليها بكت " تذكرا لعهد المصطفى ﷺ ، وزيارتها برؤيتها لكثرة ملازمتها له وعدم مفارقتها له فى الغالب فقالا : ما يبكيك ؟ " ما " استفهام تقريرى " تعلمين أن ما " أى الذى " عند " مما أعده الله لنبيه مما لا يستطيع العبارة الإعـراب عن أدناه فضلا عن أقصاه خير لرسول الله ﷺ فقد قال الله له " وللآخرة خير لـك من الأولى "(١) . قالت ﷺ : إنى لا أبكى إنى " أى " لأنى " لأعلم أن مـا عنـد الله خير لرسول الله ﷺ " أى لا أبكى لجهل بأخيرية ما عند الله له ، وأنا أعلم ذلك كمـا جاء عنها عند ابن ماجه قالت " إنى لأعلم أن ما عند الله خير لرسوله " و " لكـن " استدراك لم قد يتوهم من انتفاء مقتضى البكاء عند علمها بشرف مقامه المنتقل إليـه بأن للبكاء سببا آخر هو قولها " أبكى أن " أى " لأن الوحى قد انقطع من السـماء " أى لانقطاع الوحى من السماء عن الأرض بموته ﷺ " فأن " بفتح الـهمزة علـى إضمار حرف التعليل وانقطاع الوحى سبب اختلاف مذاهب الناس ووقوع التنـازع والفتن وحصول المصائب والمحن ولذا نجم بعده النفاق وفشا الارتداد والشقاق لـولا أن الله تعالى تدارك الدين بثانى اثنين " أبو بكر الصديق " لما بقى منه أثرا ولا عين.

فأثارتهما على البكاء بذكرها ما يدعو إليه " فجعلا " فعل من أفعال الشروع أى فشرعا يبكيان معها .

---

(١) من سورة الضحى .

إذا فمما يستفاد من الحديث :

١- جواز البكاء حزنا على فراق الصالحين والأصحاب وإن كانوا قد انتقلوا إلى أفضل ما كانوا عليه .

٢- زيارة الصالحين وفضلها ، وزيارة الصالح لمن هو دونه ، وزيارة الإنسان لمن كان صديقه يزوره ولأهل ود صديقه واستحباب العالم والكبير في العبادة والزيارة .

٣- فضل أم أيمن رضى الله عنها .

نص الحديث الثالث

عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " **إن الله تعالى يقول يوم القيامة:** أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى "(١) .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى يقول " يوم القيامة " أين المتحابون بجلالى "، والسؤال عنهم مع علمه بمكانهم وغيره من أحوالهم لينادى بفضله فى ذلك الموقف ، ويصرح به وعظمته واللام فيه للتعليل أى المتحابون لجلاله سبحانه وتعالى وعظمته لا لغرض سوى ذلك من دنيا ونحوها ، وخص الجلال بالذكر لدلالته على الهيبة وأنهم فى حبهم لله قائمون بحق تعظيمه والخوف منه مطرقون إجلالا لهيبته ، فجمع بينهما هذا الوصف العظيم لا كما يجمع حب أهل المتحابين على شهواتهم الخسيسة الباعثة على ترك الهيبة وإلقاء صفة الحياء .

قوله " اليوم أظلهم فى ظلى " المراد ظل العرش ، وظاهر أنه فى ظله من الحر والشمس ووهج الموقف وأنفاس الخلق .

---

(١) أخرجه مسلم ، " كتاب البر والصلة " ، " باب فضل الحب فى الله " ، ٤/١٩٨٨ .

قوله " يوم لا ظل إلا ظلى " أى لا يكون فى ذلك اليوم من له ظـــل إلا ظـــل عرش الرحمن سبحانه وتعالى . ففى هذا الحديث كما ترون دلالة واضحـــة علـــى فضل الحب فى الله .

نص الحديث الرابع

عن أبى عكرمة المقدام بن معدى كرب ﷺ عن النبى ﷺ قال : " **إذا أحـــب الرجل أخاه فليعلمه إياه** "[١] .

التعريف براوى الحديث :

هو المقدام بن معد يكرب ، يكنى أبا كريمة صحب النبـــى ﷺ وروى عنـــه أحاديث هى " ٤٧ " حديثا ، وروى عن خالد بن الوليد وأصحاب رســـول الله ﷺ ، توفى بالشام سنة " ٨٧ هـــ " " وله " ٩١ " سنة[٢] .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

فى هذا الحديث يخبر الرسول ﷺ بوجوب إخبار المسلم أخاه المسلم إذا أحبه فى الله أنه يحبه حتى تدوم الصلة بينهما ، وقد أقسم الرسول ﷺ بأن حب المسلم أخاه شعبة من شعب الإيمان ، فقال " والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا " . والمراد لا تؤمنوا إيمانا كاملا ، لا يأمن بعضكم بعضا حتى تحابوا لأن المحب فى الله يأمن من محبوبه شريطة أن يكون الحب خالصا لله لا لغرض دنيوى إنه بذلك تجب له محبة مولاه وهذا أعظم الجزاء فإن أحب الرجل أخاه وفقا لما سبق ذكره أن يخبره حمل الأمر فى الحديث على الندب ، والحكمة فى الإعلام أنها سبب لمزيد الحب وتأكده من الطرف الثانى .

---

(١) أخرجه الترمذى ، " كتاب الزهد " ، " باب ما جاء فى إعلام الحب " ، ٩٨/٧ عن المقدام .

(٢) أنظر : * تهذيب الكمال ، ٤٥٨/٢٨ . * تهذيب التهذيب ، ٢٥٧/١٠ .

فقد روى أنس ﷺ : " أن رجلا كان عند النبى ﷺ فمر رجل فقال يا رسول الله إنى لأحب هذا ، فقال له النبى ﷺ أأعلمته ؟ فقال : لا . قال : أعلمه فلحقه . فقال : إنى أحبك فى الله . فقال : أحبك الذى أحببتنى له " . ففى كلام الأخير عدل عن الإتيان بالاسم الجامع " الله " لفظ الجلالة إعلاما بسبب حبه تعالى لذلك ، وإيماء إليه أخرجها مخرج الماضى تحققا له وحرصا على وقوعه .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- فضل الحب فى الله سبحانه وتعالى وبيان الثواب المترتب عليه فَى الآخرة فضلا على الفائدة الدنيوية .

٢- يستحب إخبار المحب من يحب بمحبته ، ومن الأدب لمن أورد على **مشغول** بالله ألا يشغله عما هو فيه حتى يفرغ من عبادته .

٣- الحكمة من إخبار الرجل أخاه بمحبته إياه لتحصل بينهما مودة وصلة وتزاور ومناصحة وتعاون ، فتزداد بذلك المحبة وتتوثق عرى الأخوة .

ومن النوافل (السلام ، وغيره من الفضائل)

فضل السلام

السلام هو التحية ، فتحية المسلم السلام عليه أى إظهاره وأشاعته ونشره . قال تعالى "**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم**" أى غير التى تسكنوها "**حتى تستأنسوا** " أى تستأذنوا بلطف وأدب ، " **وتسلموا على أهلها** " بأن تقولوا السلام عليكم أأدخل ، وصفة الاستئذان أن يستأذن ثلاث مرات ثم يرجع إن لم يرد عليه .

نص الحديث الأول

عن البراء بن عازب ﷺ قال : " أمرنـــا رســول الله ﷺ بـسبع : بعيــادة المريض، واتباع الجنائز ، وتشميت العاطس ، ونصرة الضعيف ، وعون المظلوم ، وإفشاء السلام ، وإبرار القسم "(١) .

معانى المفردات :

١- **عيادة المريض :** كثرة زيارته على التخفيف فى الجلوس وعدم التطويل .

٢- **اتباع الجنائز :** تشييعها وما ترتب عليه من صلاة وسير خلفه حتى الدفن .

٣- **تشميت العاطس :** الدعاء له بالرحمة وهو قول " يرحمكم الله " .

٤- **إفشاء السلام :** الإكثار فيه ونشره .

٥- **إبرار القسم :** فعل المقسم عليه حتى لا يحنث المقسم .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

قال الصحابى الجليل البراء بن عازب ﷺ وعن أبيه فى حديث طويل فيه ذكر المنهيات التى نهى الله عنها ورسوله . قال أمرنا رســول الله ﷺ والأمــر شــامل للفرض والمستحب . وأول الأمر من هذه الأوامر هو :

١- **عيادة المريض :** أى الإكثار من زيارة المريض شريطة التخفيف فى المجلس ، وعدم الإطالة لما فيها من التخفيف على المريض ، ورفع معنوياته ، وتحســس أخباره ، ومساعدته عند الحاجة إلى ذلك ، ولعظم الأجر والثواب للزائر .

فقد روى عن النبى ﷺ قوله " من زار مريضا فى الصباح أصبح ويستغفر له سبعون ألف ملك ، ومن زار مريضا فى المساء أمسى ويستغفر له ســبعون ألــف

(١) أخرجه البخارى ، " كتاب المظالم " ، " باب نصر المظلوم " ، ٩٩/٥ عن البراء .

ملك " ، والله ﷻ يعاتب على عدم الزيارة ، ففى الحديث القدسى " عبدى مرضـــت فلم تعدنى ، فيقول العبد : كيف تمرض وأنت رب العالمين . فيقول : ألــم تعلــم أن عبدى فلانا كان مريضا فلم تزره ولو زرته لوجدتنى عنده " . فيسن زيارة المريض بأى مرض كان ، وقيل بل هى فرض كفاية إذا فعله بعض المسلمين سقط عن الكـل وإذا لم يفعله الجميع وقع عليهم الإثم .

٢- **إتباع الجنائز** : أى حضورها والسير معها والصلاة عليها ودفنها فلفاعل ذلـــك الأجر والمثوبة ، فقد روى عن النبى ﷺ قوله " من تبع الجنازة وصلى عليها له قيراطان أقلهم كجبل أحد " وهى أيضا فرض كفاية .

٣- **وتشميت العاطس** : إذا حمد الله . **قيل** : هى من الشماتة ، وهى فرح الشـــخص بما يسوء عدوه فكأنه إذا حمد الله أدخل على الشيطان ما يسوءه ، فشمت هـــو بالشيطان . **وقيل** : هى من شامتة أى قائمة وذلك أن العاطس ينحل كل عضـــو فى رأسه وما يتصل به من العنق ونحوه فكأنه إذا قيل له يرحمك الله كان معناه أعطاك الله رحمة يرجع بها بذلك إلى حالة قبل العطاس ، ويقيم على حاله مـــن غير تغيير . هذا ويكره التشميت إذا لم يحمد الله تعالى لأن الإنسان المسلم أمـــو بالحمد بعد أن يعطس ، كما أن الآخر أمر بالتشميت عند الحمد فيدل على النهى عند عدمه . **أمور لا يستحب التشميت لأصحابها :**

أولا : من لم يحمد بعد العطس كما سبق من قريب .

ثانيا : الكافر فقد أخرج أبو داود من حديث أبى موسى الأشعرى قال " كانت اليهود يتعاطسون عند النبى ﷺ رجاء أن يقول يرحمك ، وكان يقـــول : يـــهوديكم ويصلح بالكم .

ثالثا : المزكوم إذا تكرر منه العطاس وزاد على الثلاث، فقد روى عن أبى هريرة: " شمته واحدة وثنين وثلاثا ، فما كان بعد ذلك فهو زكام . " ومـــن طريـــق

عبد الله بن الزبير " أن رجلا عطس عنده فشمت، **ثم عطس فقال فى الرابعة:** أنت مضنوك : أى مزكوم .

رابعا : عند خطبة الجمعة لأن التشميت يخل بالإنصات المأمور به .

خامسا : من عطس وهو يجامع أو فى الخلاء ، أى فى قضاء حاجته سواء فى الحمام أو أى مكان .

٤- نصر الضعيف : أى إعانته على من ظلمه بالحيلولة بينهما وإعلاء حجته .

٥- إفشاء السلام : أى إشاعته وأقل السلام أن يقول السلام عليكم ليتناوله ومليكه " أى الملكين الحفظة " . وأكمل منه أن يزيد : ورحمة الله وبركاته ، ولو قال سلام عليكم أجزأه . **واستدل العلماء** لزيادة ورحمة الله وبركاته بقوله تعالى إخبارا عن سلام الملائكة بعد ذكر السلام "رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت"، وبقول المسلمين كلهم فى التشهد " السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته"، ويكره أن يقول المبتدئ : عليكم السلام ، فإن قاله استحق الجواب على الصحيح المشهور ، وقد صح أن النبى ﷺ قال : " لا تقل عليك السلام فإن عليك السلام تحية الموتى " .

وأما صفة الرد فالأفضل الإكمال أن يقول : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيأتى بالواو ، فلو حذفها جاز وكان تاركا للأفضل ، ولو اقتصر على وعليكم السلام، أو على : عليكم ، لم يجزه . **وأقل السلام** ابتداء وردا أن يسمع صاحبه ولا يجزئه دون ذلك ويشترط أن يكون الرد على الفور ، ولو أتاه سلام من غائب مع رسول أو فى ورقة وجب الرد على الفور ، **وأما معنى السلام فقيل :** هو اسم العظيم فقوله السلام عليك أى اسم السلام عليك ، ومعناه اسم الله عليك أى أنت فى حفظه كما يقال : الله معك والله يصحبك ، وقيل : السلام بمعنى السلامة أى السلامة ملازمة لك .

ولكن اختلف فى مشروعية السلام على الفاسق وعلى الصبى ، وفـــى ســـلام الرجل على المرأة وعكسه ؟

قال الإمام النووى : يستثنى من العموم بابتداء السلام من كان مشتغلا بـــأكل أو شرب أو جماع ، أو كان فى الخلاء أو الحمام أو نائمـــا أو ناعســا أو مصليــا أو مؤذنا ما دام ملتبسا بشىء مما ذكر ، ولا يسلم الخصم على القاضى ، وإذا ســـلم لا يجب عليه الرد ، ولا يسلم على من يلعب بالشطرنج إلا إذا كان قصده التشـــويش عليهم ، ولا يسلم المبتدع ولا من اقترف ذنبا عظيما ولم يتب منه ، ولا يرد عليـــهم السلام ، ولا يسلم على الظلمة إلا إذا اضطر إليه ، ولا يسلم على شارب الخمر .

٧- **إبرار القسم :** والمقصود بذاك أى إبرار حالف القسم وهو الذى حلف على عمل شىء ، كأن يقول إنسان والله ليصلين مثلا فيطلب منك إعانته على إبرار قسمه بفعلك لينجو من الحنث .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

الترغيب فى الآداب الإسلامية الواردة فى الحديث لما فيها من تقوية روابـــط الأخوة بين المسلمين وتحقيق الألفة والمحبة وانتشار السلام والطمأنينة .

تحريم ابتداء الكافر بالسلام وكيفية الرد عليهم

الحديث الثانى

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " لا تبدأوا اليهود ولا النصـــارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم فى طريق فاضطروه إلى أضيقه "(١) .

---

(١) أخرجه مسلم " كتاب السلام " ، " باب النهى عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام " ، ١٧٠٧/٤ عن أبى هريرة.

الحديث الثالث

عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم "(١) .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

اتفق العلماء على الرد على أهل الكتاب إذا سلموا لكن لا يقال لهم وعليكم السلام بل يقال عليكم أو وعليكم ، وقد جاءت الأحاديث " عليكم " و " عليكم " بإثبات الواو وحذفها وأكثر الروايات بإثباتها **وعلى هذا فى معناه وجهان :**

الأول : أنه على ظاهره ، فقالوا : عليكم الموت . فقال : وعليكم أيضا ، أى نحن وأنتم فيه سواء وكلنا نموت .

الثانى : أن الواو هنا للاستئناف لا للعطف والتشريك ، وتقديره وعليكم ما تستحقونه من الذم ، وأما حذف الواو فتقديره بل عليكم السام " أى الموت " ، وبه اختلف العلماء فى رد السلام على الكفار وابتدائهم به والصحيح التحريم ووجوب رده عليهم أن يقول وعليكم أو عليكم فقط والدليل فى الابتداء قوله ﷺ " لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام"، وفى الرد قوله ﷺ " فقولوا وعليكم " وقال آخرون يكره ابتداؤهم بالسلام ولا يحرم . إلا أن الأمر الوارد فى الحديث النهى للتحريم .

وقالوا : يجوز ابتداؤهم به للضرورة والحاجة أو سبب . ويجوز الابتداء بالسلام على جمع فيه مسلمون وكفار أو مسلم وكفار ويقصد المسلمون للحديث أنه ﷺ سلم على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين ، وقيل لا يترك للذمى صدر الطريق بل يضطر إلى أضيقه إذ كان المسلمون يطرقون ، فإن خلت الطريق عن الزحمة فلا حرج بشرط ألا يصدمه جدار .

---

(١) أخرجه مسلم ، " كتاب السلام " ، " باب النهى عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام " ، ١٧٠٥/٤ عن أنس .

والحديث الثانى : فيه جواز رد التحية على غير المسلمين ولكــن لا يقــول وعليكم السلام ، وإنما تقتصر على وعليكم أى ما تستحقونه من الذم أو نحن وأنتـــم فيه سواء أى الموت . ففى حديث لمسلم أن اليهود إذا سلموا عليكم يقول أحدهم السام عليكم فقل وعليك .

من الآداب الإسلامية

١ـ الحياء من الإيمان

نص الحديث الأول

روى البخارى بسنده عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ مـــر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه فى الحياء ، فقال رسول ﷺ " دعـــه فـــإن الحياء من الإيمان "[1] .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

قوله " مر على رجل " ، **يقال :** مر عليه ومر به ، بمعنى واحد أى : اجتـــازه وهى جملة فى محل الرفع لأنها وقعت خبرا ، لأن قوله " من الأنصار " صفة لرجل والألف واللام فيه للعهد ، والأنصار جمع ناصر كالأصحـــاب جمـــع صـــاحب أى أنصار رسول الله ﷺ الذين آووا ونصروا من أهل المدينة ﷺ .

قوله " يعظ أخاه " أى ينصح أخاه من الوعظ وهو : النصح والتذكير بالعواقب، **وقيل هو:** التذكير بالخير فيما يرق القلب ، **وقوله** " أخاه " يحتمل وجهين : **أحدهمـا:** أن يكون الرجل الذى وعظ أخا للواعظ فى الإسلام ، على ما هو عرف الشـــارع ، فعلى هذا يكون مجازا لغويا ، أو حقيقة عرفية .

---

(١) أخرجه البخارى ، " كتاب الحياء من الإيمان " ، ٧٤/١ .

والآخر : وهو الظاهر ، أن يكون أخاه فى القرابة والنسب ، فعلى هــذا هــو حقيقة . **قوله** " فى الحياء " فيه حذف : أى فى شأن الحياء وفى حقه ، ومعناه أنـــه ينهاه عنه ويخوفه منه ، فزجره النبى ﷺ عن وعظه **فقال** : دعه ، أى اتركه علـــى حيائه فإن الحياء من الإيمان . **قال التيمى** : الوعظ : الزجر ، يعنـــى زجـــره عـــن الحياء ، ويقول له لا تستحى ، فقال رسول الله ﷺ " دعه يستحى فإن الحيـــاء مـــن الإيمان " إذ الشخص يكف عن أشياء من مناهى الشرع للحياء .

وقال ابن قتيبة : معناه أن الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصى كما يمنع الإيمان ، فسمى إيمانا كما يسمى الشىء باسم ما قام به .

وقال بعض العلماء : الأولى أن نشرح معنى قوله " يعظ " بمـــا جـــاء عـــن البخارى فى الأدب من طريق عبد العزيز بن أبى سلمة عن ابن شـــهاب ، ولفظـــه " يعاتب أخاه فى الحياء يقول : إنك لتستحيى حتى كأنه يقول قد أضربك " ، وهـــذا المعنى على بعد من حيث اللغة : **فإن معنى الوعظ** : الزجر ، ومعنى العتب الوجد ، وفى العباب : عتبه عليه : إذا وجد يعتب عليه ، ويعتب عتبا وعتبا ومعتبا ، علـــى أن الروايتين تدلان على معنيين جليلين ليس فى واحد منهما خفاء حتى يفسر أحدهما بالآخر ، غاية ما فى الباب أن الواعظ المذكور وعظ أخاه فـــى اســـتعماله الحيـــاء وعاتبه عليه ، والراوى حكى فى إحدى روايتيه بلفظ الوعظ ، وفى الأخرى بلفـــظ المعاتبة وذلك أن الرجل كان كثير الحياء ، وكان ذلك يمنعه من اســـتيفاء حقوقـــه ، فوعظه أخوه على مباشرة الحياء وعاتبه على ذلك ، فقال النبـــى ﷺ : دعـــه ، أى اتركه على هذا الخلق الحسن ، لأن الحياء خير له فى ذلك بل فى كل الأوقات وكـــل الحالات يدل على ذلك رواية الحديث الثانى " الحياء لا يأتى إلا بخير " ، **والروايـــة الأخرى** " ، " الحياء خير كله " فإن قيل ما وجه التأكيد بإن فى قوله " فإن الحياء من الإيمان " وإنما يؤكد بإن ونحوها إذا كان المخاطب منكرا أو شاكا ؟

نقول : الظاهر أن المخاطب كان شاكا بل كان منكرا له **لأنه** منعه ذلــك **فلــو** كان معترفا به من الإيمان لما منعه من ذلك . ولئن سلمنا أن يكون هذا مـــن بـــاب التأكيد لدفع إنكار غير المخاطب ، ويجوز أن يكون التأكيد من جهة أن القصة فـــى نفسها مما يجب أن يهتم بها ويؤكد عليها وإن لم يكن ثمة إنكار أو شك مـــن أحـــد ، **فإن قيل :** أن الناهى ما كان يعرف أن الحياء من مكملات الإيمان لهذا وقع التأكيد ؟ ولكن الصحيح أن الخطاب لمثل هذا الناهى لا يحتاج إلى تأكيد ، فإنه يسمع الكـــلام ينتقش فى ذهنه لأنه ليس بمنكر ولا متردد وإنما هو خالى الذهن ، **إذا فمـــا معنـــى الحياء** ؟ وهل معنى قوله تعالى " إن الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فمـــا فوقها " أن الله يستحيى كما يستحيى الناس ، وما هى الحقيقة فى ذلك ؟

نجيب على ذلك فى الآتى :

قال التيمى : الحياء الاستحياء ، **وهو :** ترك الشيء لدهشة تلحقك عنده .. قال تعالى " **ويستحيون نساءكم** " أى يتركون ، **قال :** وأظن أن الحياة منه لأنه البقاء من الشخص ، **وقال الكرمانى :** ليس هو ترك الشيء بل هو دهشة تكون ســـببا لـــترك الشيء . **نقول :** والتحقيق ما ذكرناه سابقا فى تعريف الحياء ***لغة واصطلاحا*** **:** بأنـــه تغيير وانكسار يعترى الإنسان عند خوف ما يعاب أو يذم به ، وليس هـــو بدهشـــة ولا ترك الشيء ، وإنما ترك الشيء من لوازمه .

فإن قيل يمنع ما قلت إسناده إلى الله تعالى فى **قولـــه** " **إن الله لايســـتحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها** " ، **نقول** : هذا من باب المشاكلة وهى أن يضرب بذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته ، **فلماذا قال المنافقون** : أما يســتحى رب محمد بذكر الذباب والعنكبوت فى كتابه " **أجيبوا** بأن الله لا يستحى، والمراد **لا يترك** ضرب هذا المثل بهذه الأشياء **فأطلق** عليه الاستحياء على سبيل المشاكلة ، كما فـــى

قوله تعالى " **فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق** " ومن هذا القبيل **قوله** عليـــه الصلاة والسلام " إن الله حيى كريم يستحيى إذا رفع العبد إليه يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا " ، وهذا مجاز على سبيل الاستعارة التبعية التمثيلية ، شـــبه ترك الله تعالى تخييب العبد ورد يديه صفرا بترك الكريم رد المحتاج حياء فقيل ترك الله رد المحتاج حياء كما قيل ترك الكريم رد المحتاج حياء **فأطلق الحياء ثمة** كمـــا أطلق الحياء هاهنا ، فلذلك استعير ترك المستحى لترك ضرب المثل ثم نفى عنه .

قوله " من الإيمان " ، من هنا معناها التبعيض أى بعض من الإيمـــان ويـــدل عليه قوله ﷺ " الحياء شعبة من الإيمان " . **فإن قيل** : إذا كان الحياء بعض الإيمان فإذا انتفى الحياء انتفى بعض الإيمان وإذا انتفى بعض الإيمان انتفى حقيقة الإيمـــان فينتج عن هذه المقدمات انتفاء الإيمان عمن لم يستحى ، وانتفاء الإيمان كفر ؟

نقول : لا نسلم صدق كون الحياء من حقيقة الإيمـــان ، لأن المعنـــى : فـــإن الحياء من مكملات الإيمان ، ونفى الكمال لا يستلزم نفى الحقيقة . **نعم الإشكال** قـــائم على قول من يقول الأعمال داخلة فى حقيقة الإيمان ، وهذا لم يقل به المحققون كمـــا ذكرنا فيما مضى . **إذا فلماذا جعل الحياء من الإيمان ؟**

أجيب بأنه : الباعث على أفعال الخير ومانع عن المعاصى ، ولكنـــه ربمـــا يكون تخلقا واكتسابا كسائر أعمال البر ، وربما يكون غريزة لكن اســـتعماله علـــى قانون الشرع يحتاج إلى اكتساب ونية فهو من الإيمان لهذا .

ويأتى سؤال وهو : قوله ﷺ "الحياء لا يأتى إلا بخير" ، **وقوله** ﷺ " الحيـــاء خير كله " فصاحب الحياء قد يستحيى ، **روى البخارى بسنده عـــن أم ســـلمة** رضي الله عنها **قالت** " جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحى من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ قال النبـــى ﷺ : إذا رأت المـــاء ،

فغطت أم سلمة – يعنى وجهها – ، وقالت : يا رسول الله وتحتلم المرأة ؟ قـــال : نعم ، تربت يمينك ، فبم يشبهها ولدها " ؟ فلم يمنعها الحياء أن تستحى فى هذا الأمر لأنه لا حياء فى العلم . **وهذا حديث آخر رواه البخارى بسنده عن علـــى كـــرم الله وجهه قال :** " كنت رجلا مذاء فأمرت المقداد أن يسأل النبى ﷺ فسأله فقال : فيـــه الوضوء . **وقوله** " كنت رجلا مذاء " بالنصب صفته وهو على وزن فعال بالتشـــديد للمبالغة فى كثرة المذى . **والمذى هو :** الماء الرقيق الذى يخـــرج عنـــد الملاعبـــة والتقبيل . وهناك تعريفات أخرى له محلها الكتب الكبرى ولا نذكر كل التعريفـــات خشية الإطالة ، **ولكن نقول :** أن الحياء لم يمنع الصحابى الجليل على بن أبى طالب أن يرسل إلى رسول الله ﷺ المقداد بن الأسود ليسأله فى هذا الحكم هل فيه الغســـل أم فيه الوضوء ؟ ، إذا فلا حرج فى أسئلة العلم أيا كانت طالما يبتغى بها المعرفـــة لبيان الخير أو دفع الضر ، وليس معنى ذلك أن نتحلل ونخرج مـــن ربقـــة الديـــن والحياء بحجة العلم . **والسؤال :** هل كان النبى ﷺ يستحى ؟ **نقول :** نعم .

نص الحديث الثانى

عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال : " كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العـذراء فى خدرها فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه فى وجهه "(١) .

التعريف بالصحابى :

هو الصحابى الجليل سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد الأبجـــر وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصـــارى أبـــو ســـعيد الخـــدرى . استصغر يوم أحد وغزا بعد ذلك اثنتى عشرة غزوة . روى عن النبى ﷺ وعن أبيه

---

(١) أخرجه البخارى ، " كتاب الأدب " ، " باب من لم يواجه الناس بالعتاب " ، ٥١٣/١٠ ، " وكتاب المناقب " ، " باب صفة النبى " ، ٥٦٦/٦ ، " وكتاب الأدب " ، " باب الحياء " ، ٥٢١/١٠ .

وأخيه لأمه قتادة بن النعمان ، وأبى بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت وخلق كثير من الصحابة . وروى عنه عبد الرحمن وزوجته زينب بنت كعب بن عجرة ، وابن عباس وابن عمر وجابر وزيد بن ثابت وأبو أمامة بن سهل ومحمود بن لبيد وابن المسيب وغيرهم خلق كثير . **قال** حنظلة بن أبى سفيان عن **شيخه** لم يكن أحدا من أحداث أصحاب رسول الله ﷺ أفقه من أبى سعيد. مات سنة " ٧٤هـ "، **وقيل** سنة " ٦٤ " وهو ابن أربعة وستون سنة(١) .

يذكر الصحابى أبو سعيد أن الرسول كان أشد حياء من العذراء . وهى البكر سميت به لبقاء عذرتها ، والخدر : ستر يجعل لها فى جنب البيت . **فإن قيل** : مبنى أمر العذراء على الستر فما فائدة قوله فى خدرها ؟ **نقول** : هذا من باب النعيم للمبالغة ، وذلك لأن العذراء " البكر " فى حالة الخلوة بالزوج الذى لم تعرفه قبل يشتد حياؤها أكثر مما تكون خارجة عن الخدر، لكون الخلوة مظنة وقوع الفعل بها . وليس المراد حال انفرادها فى الخدر فإنها حينئذ لا حياء عندها من إنسان أو إنسانة وإنما الحياء الدائم من الله . ثم محل هذا الحياء منه ﷺ فى غير حدود الله ، إما فى حدود الله فلا حياء حتى تقضى الأمور وفق ما أراد الله .

" فإذا رأى شيئا " التنكير فيه للتعميم ليشمل القليل والكثير والجليل والحقير " يكرهه " طبعا " عرفناه فى وجهه " أى عرفنا الكراهية له فى وجهه الشريف أى أنه لا يتكلم لحيائه بل يتغير وجهه فنفهم نحن كراهيته لذلك لأنه لا يواجه أحدا بما يكرهه .. ففى الحديث أن للشخص أن يحكم بالدليل لأنهم عرفوا كراهته للشئ بتغير وجهه كما كانوا يعرفون قراءته فى الصلاة السرية باضطراب لحيته .

---

(١) أنظر : • تهذيب الكمال ، ١٠/٢٩٤ . • تهذيب التهذيب ، ٣/٤١٨ .

إذا فمما يستفاد من الأحاديث الآتى :

١- فضل الحياء وأنه من كمال الإيمان لأن المستحى ينقطع عن فعل المعـــاصى ، ويبعثه حياؤه على فعل الطاعات .

٢- الحياء فطرة وغريزة فى الإنسان ولكنه ينمو ويزداد بالتخلق والاكتساب والـتزام آداب الشريعة وإنه خير للفرد والمجتمع .

٣- الحض على الامتناع عن قبائح الأمور ورذائلها وكل ما يستحى من فعله .

٤- الدلالة على أن النصيحة إنما تعد وتحسب إذا وعقت موقعها .

٢ـ آداب المجلس والجليس

نص الحديث الأول

عن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه . ولكن توسعوا وتفسحوا " . وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس "[١] .

قال الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتـــوا العلم درجات والله بما تعملون خبير "[٢] .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

عن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه " هذا الحديث فيه تعميم لكونه فى سياق النهى عــن الشــبيه بـــالنفى ،

---

(١) أخرجه مسلم . " كتاب السلام " ، " باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح " ، ١٧١٤/٤ ، واللفظ له . وأخرجه البحارى ، " كتاب الجمع " ، " باب لا يقيم الرجل أخاه " ٣٩٣/٢ ، " وكتاب الاستئذان " ، " بـــاب لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه " ، ٦٢/١١ كلهم عن ابن عمر . (٢) سورة المجادلة الآية رقم ١١ .

والنهى للتحريم . **قوله** " رجلا " أى جالسا فى مجلسه -وكذلك المرأة لا تقم المـــرأة وتجلس مكانها- وذكر الرجل لكونه أشرف لما تقدم ، وعمومه متناول لما إذا كـــان الوارد أفضل من الجالس لعلم أو صلاح فليس له إقامة من سبقه للجلوس فى المحـل المباح ليجلس هو فيه ، نعم استثنى الفقهاء من عرف بمجلس من المسجد يدرس فيـه فجلس فيه غيره فيقام للمدرس . ومثله البائع إذا ألف مكانا من السوق فله إقامة مـــن يجلس فيه . فمن سبق إلى موضع مباح فى المسجد أو غيره يوم الجمعة أو غـــيره لصلاة أو غيرها من الطاعات فهو أحق به . **قال العلماء** : ولا فرق فى المسجد بين أن يتقدم ويترك فيه سجادة أولا فإنه أحق به ، وكذلك من اعتاد فى المســجد محــلا يدرس فيه فهو أحق به والحديث يشمل من قعد فـــى موضــع خصــوص لتجــارة أو حرفة . **قوله** " من مجلسه " أى مكان الجلوس " ثم يجلس فيـــه " أى بـــدلا مـــن صاحب المكان . ثم استدرك ما قد يتوهم من الحديث من جلوس الداخل فى مكـــان بقوله " ولكن توسعوا " أى تكلفوا التوسع للقادم " وتفسحوا " هو بمعنـــى مـــا قبلـــه فالعطف تفسيرى . **وأما قوله** "وكان ابن عمر إذا قام له رجل عن مجلسه لم يجلــس فيه" فهذا ورع منه وليس قعوده فيه حراما إذا قام برضاه ولكنه **تورع عنه لوجهين:**

أحدهما : أنه ربما استحى منه إنسان فقام له من مجلسه من غير طيـــب قلبـــه فســـد ابن عمر الباب ليسلم من هذا .

ثانيهما : أن الإيثار بالقرب "أى الطاعات" مكروه أو خلاف الأولى فكان ابن عمـو يمتنع من ذلك لئلا يرتكب أحد بسببه مكروها أو خلاف الأولى بأن يتـأخر عن موضعه من الصف الأول ويؤثره به وشبه ذلك . **قال الإمام النووى :** وإنما يحمد الإيثار بحظوظ النفوس وأمور الدنيا دون القرب .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- حرمة إقامة الإنسان من مكان مباح سبق إليه ليجلس به غيره ، ولو كان الداخل أفضل من الجالس بعلم أو سن . وهذا الحكم يشمل الرجال والنساء ، ولكن الفقهاء استثنوا من ذلك من عرف بمجلس فى المسجد يدرس فيه فجلس غيره فيقام للدرس ، ومثله البائع إذا ألف مكانا من السوق فله إقامة من يجلس فيه ، واستثنوا مسائل أخرى وهذا لا ينافى استحباب القيام للعالم من غير رغبة ولا طلب ، وإنما تركه ابن عمر ورعا خشية الدخول فى مدلول النهى .

٢- استحباب التوسعة للداخل ومحاولة التوسيع له ولو بالمجاملة .

٣- من قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به كمن قام من مجلسه فى المسجد بأن فارقه ليتوضأ أو يمشى يسيرا ثم يعود لم يبطل اختصاصه ، فإن كان قد قعد فيه غيره فله أن يقيمه وعلى القاعد أن يفارقه .

نص الحديث الثانى

عن سلمان الفارسى قال : قال النبى ﷺ : " لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلى ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى "(١) .

ترجمة الصحابى الجليل راوى الحديث :

هو الصحابى الجليل أبى عبد الله سلمان الفارسى ، وسلمان الخير مولى الرسول ﷺ سئل عن نسبه فقال: أن ابن الإسلام، أصله من فارس من قرية " جى " من قرى أصبهان ، وقيل رامهرمز أسلم قديما ولإسلامه قصة طويلة مذكورة فى

---

(١) أخرجه البخارى ، " كتاب الجمعة " ، " باب لا يفرق بين اثنين " ، ٣٩٢/٢ .

كتب السيرة ، وأول مشاهده مع الرسول ﷺ الخندق ، ولم يتخلف عن مشهد بعدهـا فأخى النبى ﷺ بينه وبين أبى الدرداء ، وثبت ذلك فى صحيح البخارى ، وكان مـن فضلاء الصحابة وزهادهم وعلمائهم وذوى القرب من رسول الله ﷺ ، وهو الـذى أشار على النبى ﷺ بحفر الخندق عند مجئ الأحزاب ، سكن العراق ، وكان يعمـل الخوص " أى يصنع أشياء من خوص النخيل مثل المقاطف وغيرها فيبيعها ويـأكل من أثمانها " ، وقد نقل عن العلماء أنه عمر سنوات طويلة(١) .

روى له عن رسول الله ﷺ " ستون حديثا " اتفق البخارى ، ومسلم على ثلاث وانفرد مسلم بثلاث ، ومن فضله أن النبى ﷺ قال " إن الجنة تشتاق إلى ثلاث علـى وعمار وسلمان " قال الترمذى حديث حسن .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

يقول الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون " .

يوم الجمعة وتسميته بهذا الاسم :

اختلفوا فى تسمية هذا اليوم بالجمعة فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : إنمـا سمى يوم الجمعة لأن الله تعالى جمع فيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام .

وروى ابن خزيمة عن سلمان رضي الله عنه **مرفوعا :** " يا سـلمان مـا تـدرى يـوم الجمعة؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : به جمع أبوك أو أبوكم " . **وفـى الأمـالى لثعلب :** إنما سمى يوم الجمعة لأن قريشا كانت تجتمع إلى قصى فـى دار النبـوة ، **وقيل :** لأن كعب بن لؤى كان يجمع فيه قومه فيذكرهم ويـأمرهم بتعظيـم الحـرم ويخبرهم بأنه سيبعث منه نبى .

---

(١) أنظر : • تهذيب الكمال ، ١١/٢٤٥ . • تهذيب التهذيب ، ٤/١٢٤ .

وقال ابن حزم : وهو اسم إسلامى ولم يكن فى الجاهلية ، إنما كانت تسمى فى الجاهلية يوم العروبة فسميت فى الإسلام الجمعة لأنه يجتمع فيــه للصــلاة ، إسـما مأخوذا من الجمع . **وعن ابن سيرين قال :** جمع أهل المدينة قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وقبل أن تنزل الجمعة ، وهم الذين سموها الجمعة ، وذلك أن الأنصار قالوا : لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وكذا النصارى ، فهلم فلنجعــل يومــا نجتمع فيه ونذكر الله ونصلى ونشكره ، فاجعلوه يوم العروبة ، وكانوا يسمون يــوم الجمعة يوم العروبة ، فاجتمعوا إلى أسعد فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموا الجمعة حين اجتمعوا إليه ، وذبح لهم أسعد شاة فتغدوا وتعشوا من شاة وذلك لقلتهم ، فـأنزل الله " **يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلــى ذكــر الله ... إلخ)** . **وقال الزجاج والفراء وأبو عبيد وأبو عمرو :** " كانت العرب العاربــة تقول ليوم السبت : شبار ، وليوم الأحد : أول ، ويوم الاثنيــن : أهــون ، وليــوم الثلاثاء : جبار ، وللأربعاء : دبار ، وليوم الخميس : مونــس ، وليــوم الجمعــة : العروبة ، وأول من نقل العروبة إلى يوم الجمعة كعب بن لؤى . **ثم لفظ الجمعــة :** أى اليوم المجموع فيه الناس . **قوله** " **لا يغتسل رجل** " إلى آخــره مشــتمل علــى شروط سبعة لحصول المغفرة، وجاء فى غيره من الأحاديث شروط أخرى على مــا نذكرها إن شاء الله تعالى :

الأول : الاغتسال يوم الجمعة ، وفيه دليل على أنه يدخل وقت غسل الجمعة بطلــوع الفجر من يومه ، وهو قول جمهور العلماء .

الثانى : التطهر ، وهو معنى " ويتطهر ما استطاع من الطهر " ، **وفى رواية** " مــن طهر " بالتنكير ، ويراد به المبالغة فى التنظيف فلذلك ذكره فى باب التفعـل هو للتكلف ، والمراد به التنظيف بأخذ الشارب وقص الظفر وحلق العانــة أو المراد بالاغتسال غسل الجسد وبالتطهير غسل الرأس ، أو المــراد بــه

تنظيف الثياب ، وفى حديث أبى داود لفظه " من اغتسل يوم الجمعة ولبس من أحسن ثيابه " .

الثالث : الإدهان وهو معنى قوله " ويدهن من دهنه " ، والمراد به إزالة شعر الرأس واللحية به ، ويدهن بتشديد الدال من باب الافتعال ، لأن أصله يتدهن ، فقلبت التاء دال وأدغمت الدال فى الدال .

الرابع : مس الطيب وهو معنى قوله " أو يمس من طيب بيته " ، **قيل معناه :** إن لم يجد دهنا يمس من طيب بيته ، **وقيل** بطيب بيته ، **وقيل** أو بمعنى الواو .

وقال الكرمانى : و " أو " فى " أو يمس " لا ينافى الجمع بينهما . وقيل بطيب ليؤذن بأن السنة أن يتخذ الطيب لنفسه ويجعل استعماله عادة له فيدخر فى البيت بناء على أن المراد بالبيت حقيقته ، **ولكن فى حديث عبد الله بن عمر وعند أبى داود :** " أو يمس من طيب امرأته ، والمعنى على هذا إن لم يتخذ لنفسه طيبا فليستعمل من طيب امرأته ، **وفى الرواية التى معنا** " أو يمس من طيب بيته " ، **قال الشيخ العراقى :** الظاهر أن تقييد ذلك بطيب المرأة والأهل غير مقصود ، وإنما خرج مخرج الغالب ، والمراد بما سهل عليه مما هو موجود فى بيته .

الخامس : أن لا يفرق بين اثنين واختلفوا فى التفرقة بين اثنين ، والأشبه بتأويله أن لا يتخطى رجلين أو يجلس بينهما على ضيق الموضع ويؤيده حديث " لأن يصلى أحدكم بظهر الحرة خير له من أن يقعد حتى إذا قام الإمام جاء يتخطى رقاب الناس" ومعناه أن المأثم عنده من يتخطى أكثر من المأثم فى التخلف عن الجمعة .

وقال بعضهم : أن المعنى " إن صلاته بالحرة وهى حجارة سود بموضع يبعد عن المسجد خير له " . **وقال كعب :** لأن أدع الجمعة أحب إلى من أن أتخطى رقاب

الناس . وقد قال ﷺ " إن الذى يتخطى رقاب الناس ويفرق بين اثنين بعد خـــروج الإمام كالجار قصبه فى النار " ، والقصب هى الأمعاء ، إذا فلا يزاحم رجلين فيدخل بينهما لأنه ربما ضيق عليهما خصوصا فى شدة الحر واجتماع الأنفاس ، فعليـــه أن يبكر فلا يتخطى الرقاب .

السادس : يصلى ما شاء وهو معنى قوله " ثم يصلى ما كتب له " ، **وفى الروايـــة الأخرى** " فيركع إن بداله " .

السابع : الإنصات وهو معنى قوله " ثم ينصت " أى يسكت ولا يتكلم ولا يلغو ففـــى الحديث " ثم لم يتخط رقاب الناس ولم يلغ عند الموعظة كانت كفارة لمـــا بينهما ، ومن لغا وتخطى رقاب الناس كانت له ظهرا " واللغو قد يكـــون بغير الكلام كمس الحصى وتقليبه بحيث يشغل سمعه وفكره ، **وفى بعــض الأحاديث** " ومن مس الحصى فقد لغا " .

الثامن : المشى وترك الركوب ففى الحديث " ثم مشى إلى المسجد " ، ولا شـــك أن المشى إليها أفضل إلا أن يكون بعيدا عن مكـــان إقامتـــها وخشـــى فوتـــها فالركوب أفضل .

التاسع : ترك الأذى ، **ففى الحديث** " ولم يؤذ أحدا " .

قوله " إلا غفر ما بينه وبين الجمعة الأخرى " أى ما بين يوم الجمعة هذا وبين يوم الجمعة الأخرى ، وقوله " الأخرى " ، يحتمل الماضية قبلها والمستقبلة بعدها .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- استحباب الغسل يوم الجمعة ، وتنظيف الثياب ، والإدهان والتطيب .

٢- كراهة تخطى الرقاب يوم الجمعة إلا إذا اضطر إليه .

٣- استحباب التنفل قبل صلاة الجمعة بما شاء لقوله ﷺ " صلى ما كتب له " .

٤- وجوب الإنصات لورود الأمر بذلك .

٥- **وفيه** : أن المغفرة ما بينه وبين الجمعة الأخرى مشروطة بوجود ما تقدم من الأمور السبعة المذكور فى الحديث .

٦- معنى " أن يكون كفارة للجمعة التى تليها " أو " يغفر له إلى الجمعة الأخرى " ، يحتمل : إن كانت له ذنوب فى الجمعة التى قبلها كفرت ما قبلها ، فإن لم تكن له ذنوب فيها بأن حفظ فيها أو كفرت بأمر آخر ، تكفر عنه ذنوب الجمعة المستقبلة ، **فإن قيل** : تكفير الذنوب الماضية بالحسنات وبالتوبة وبتجاوز الله تعالى فكيف يعقل تكفير الذنب قبل وقوعه ؟ **نقول** : المراد عدم المؤاخذة به إذا وقع ومنه ما ورد فى مغفرة ما تقدم من الذنب وما تأخر .

٣- آداب الطعام

نص الحديث الأول

عن عمر بن أبى سلمة ﷺ قال : " كنت غلاما فى حجر رسول الله ﷺ وكانت يدى تطيش فى الصحفة ، فقال لى رسول الله ﷺ : يا غلام سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك ، فما زلت تلك طعمتى بعد "(١) .

التعريف براوى الحديث :

عمر بن أبى سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، واسم أبيه أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد ، وأم أبى سلمة برة بنت عبد المطلب ابن هاشم، وأم عمر هى السيدة أم سلمة زوج النبى ﷺ وهو ربيب رسول الله ﷺ أى ابن زوجة النبى ﷺ ، وله أحاديث توجب له فضل الصحبة مع رسول الله ﷺ ، وطال عمره ﷺ(٢) .

---

(١) أخرجه البخارى ، " كتاب الأطعمة " ، " باب التسمية على الطعام " ، ٥٢١/٦ ، وأخرجه مسلم ، " كتاب الأشربة " ، " باب آداب الطعام ... إلخ " ، ١٥٩٩/٣ عن عمر بن أبى سلمة ، كما أخرجه غيرهم .

(٢) أنظر : " تهذيب الكمال ، ٣٧٢/٢١ . " تهذيب التهذيب ، ٣٨٥/٧ .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

قوله " كنت غلاما " أى دون البلوغ ، يقال للصبى من حين يولد إلى أن يبلـــغ غلام . وذكر ابن عبد البر أنه ولد فى السنة الثانية من الهجرة بـــأرض الحبشـــة ؛ ولكن الصواب أنه ولد قبل ذلك ، **فقد صح فى حديث عبد الله بن الزبير أنه قـــال** " كنت أنا وعمر بن أبى سلمة مع النسوة يوم الخندق ، وكان أكبر منـــى بســـنتين " ، ومولد ابن الزبير فى السنة الأولى من الهجرة على الصحيح فيكون مولد عمر قبـــل الهجرة بسنتين فيكون عنده من العمر يوم مات النبى ﷺ اثنتا عشرة سنة وقيل تسـعة أعوام **قوله** " فى حجر رسول الله ﷺ **أى فى تربيته وتحت نظره ، وأنه يربيه فـــى حضنه تربية الولد واقتصر عليه . والحجر والحجر بمعنى واحد وهو يطلق علـــى الحضن وعلى الثوب فيجوز فيه الفتح والكسر ، وقيل إذا أريد به الحضانة فبـــالفتح لا غير ، وإن أريد به المنع من التصرف فبالكسر. وقولهم** " فلان فى حجر فلان ": **أى فى كنفه ومنعته ومنه قوله تعالى** " وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نســـائكم ". **وقوله** " وكانت يدى تطيش " أى تتحرك حوالى الصحفة ولا تقتصر على موضـــع واحد . **قال الطيبى : والأصل أطيش بيدى فأسند الطيش إلى يده مبالغة ، والصحفـة ما يشبع عشرة . قوله** " يا غلام سم الله " أى قول بسم الله فى ابتداء الأكل وأصـــوح ما ورد فى صفة التسمية ما رواه أبو داود والترمذى من طريق أم كلثوم عن عائشة رضي الله عنها عن النبى ﷺ قال " إذا أكل أحدكم الطعام فليقل بسم الله ، فإن نسى فـــى أولـــه فليقل بسم الله أوله وآخره " والأمر بالتسمية عند الأكل محمول علـــى النـــدب عنـــد الجمهور ، وحمله بعضهم على الوجوب لظاهر الأمر . **وقال النووى :** اســـتحباب التسمية فى ابتداء الطعام مجمع عليه ، وكذا يستحب حمد الله فى آخره .

قال العلماء : ويستحب أن يجهر بالتسمية لينبه غيره، فإن تركها عمدا أو ناسيا أو جاهلا أو مكرها أو عاجزا لعارض ثم تمكن فى أثناء أكله يستحب له أن يســـمى ،

وتحصل التسمية بقوله"بسم الله " فإن اتبعها بالرحمن الرحيم كان حسنا . ويسمى كل واحد من الآكلين. **وقال الشافعي** : فإن سمى واحد منهم حصلت التسمية.

وقوله " كل بيمينك " أى كل بيدك اليمين ، والأكل باليمين حمله أكثر العلماء على الندب ، وبه صرح الغزالى والنووى ، وقد نص الشافعى على وجوب التسمية.

وقال القرطبى : إن الأكل باليمين محمول على الندب ، ولأنه من باب تشريف اليمين ، ولأنها أقوى فى الأعمال وأسبق وأمكن ، ولأنها مشتقة من اليمن والبركة ، فقد كان ﷺ يجعل يمينه لطعامه وشرابه وشماله لما سوى ذلك ، فإن احتيج إلى الاستعانة بالشمال فبحكم التبعية . **وقوله** " كل مما يليك " أى مما يلى الأكل وهو سنة متفق عليها ، وخلافها مكروه شديد الاستقباح إذا كان الطعام واحد .

قوله " فما زالت تلك طعمتى بعد " أشار بقوله " تلك " إلى جميع ما ذكر من الابتداء بالتسمية والأكل باليمين والأكل مما يليه . **قوله** " طعمتى" بكسر الطاء وهذه الصيغة للنوع ، وأراد أن أكله كان بعد ذلك على هذا النوع المذكور الذى أشار إليه بقوله تلك . **وقال الكرمانى** : ويروى بضم الطاء والطعمة بالضم بمعنى الأكلة يقال طعم طعمة : إذا أكل أكله " بعد " مبنى على الضم : أى بعد ذلك فلما حذف المضاف إليه بنى على الضم . وقد ذكرنا عن قريب أن الأمر بالتسمية محمول على الندب عند الجمهور . وأما الأكل باليمين فقد ذهب بعضهم إلى أنه واجب لظاهر الأمر ولورود الوعيد فى الأكل بالشمال ، وقد ذكرنا طرفا منه ، وسوف يأتى حديث النهى عن الأكل بالشمال فيما بعد ، ولما رواه عن النبى ﷺ " لا تأكلوا بالشمال ، فأن الشيطان يأكل بالشمال" ولما رواه أحمد عن النبى ﷺ " من أكل بالشمال أكل معه الشيطان " .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- الأمر بالتسمية عند الأكل ، وهو محمول على الندب عند الجمهور وعلى الوجوب عند الإمام أحمد . والحكمة فى التسمية إنها تجلب البركة وتدعو إلى القناعة وعدم الشره .

٢- وجوب تربية الأولاد ، على الآداب الإسلامية والأخلاق الفاضلة وتوجيهم إلى الصواب .

٣- الأكل باليمين مخالفة للشيطان فإنه يأكل بشماله ، ولأن البركة فى التيامن ولأنها مركز التركيز الإرادى فى الإنسان .

٤- التزام الصحابة ﷺ لتوجيه النبى ﷺ والتزامهم لسنته حتى الصغار .

٥- الأكل مما يلى الآكل سنة متفق عليها وخلافها مكروه ، وهذا خاص فى غير الفاكهة ، أما الفاكهة فللآكل أن يختار .

نص الحديث الثانى

عن أبى إياس سلمة بن الأكوع ﷺ " أن رجلا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال : كل بيمينك . قال : لا أستطيع . قال : لا استطعت ، ما منعه إلا الكبر فما رفعها إليه فيه "(١) .

التعريف براوى الحديث :

هو سلمة بن عمرو بن الأكوع ، واسمه سنان بن عبد الله بن بشير بن خزيمة ابن مالك بن سلامان بن أسلم أبو مسلم . ويقال أو إياس ويقال أبو عامر . شهد مع النبى ﷺ بيعة الرضوان . روى عن النبى ﷺ وعن أبى بكر وعمر وعثمان وطلحة ﷺ ، وعنه ابنه إياس ومولاه يزيد بن أبى عبيد وغيرهم خلق كثير . وكان

---

(١) أخرجه مسلم ، " كتاب الأشربة " ، " باب آداب الطعام والشراب " ، ٣/١٥٩٩ .

شجاعا راميا ويقال كان يسبق الفرس شدا على قدميه وكان يسكن الربذة . مات سنة أربع وسبعين وهو ابن ثمانين سنة . وقيل غير ذلك[١] .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

كان رسول الله ﷺ يحب التيامن فى أموره كلها مأكله وملبسه ومشربه ولـــذا فـــإن كثيرا من العلماء ذهبوا إلى أن الأكل باليمين واجب وذلك لظاهر أمره إلى عمر بـــن أبى سلمة فقد روى البخارى بسنده عن عمر بن أبى سلمة رضي الله عنه قال " كنت غلاما فـــى حجر الرسول ﷺ، وكانت يدى تطيش فى الصحفة ، فقال لـــى رســـول الله ﷺ : يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك ، فمازالت تلك طعمتى بعد ".

ولورود الوعيد فى الأكل بالشمال فقد روى أحمد بسنده عن عائشة أن الرسول ﷺ قال " من أكل بشماله أكل معه الشيطان " وبما رواه مسلم عن جابر أن رســـول الله ﷺ قال " لا تأكلوا بالشمال ، فإن الشيطان يأكل بشماله " والحديث الـــذى معنـــا يخبر أن رجلاً قالوا أن اسمه " بسر بن راعى العير " وهو صحابى مشهور أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال له الرسول الكريم : كل بيمينك فقال لا أســـتطيع قالـــها كبراً ، فدعى النبى ﷺ بقوله " لا استطعت " ، وذلك لمخالفة الحكم الشـــرعى بـــلا عذر ورده قول الرسول الله ﷺ فما استطاع أن يرفعها إلى فمه ، حيث إنها شـــلت فى الحال قيل إنه كان منافقاً فى أول أمره ، فلما كان الدعاء والآية التى ظهرت تاب وأناب وظلت آية قائمة بيده علامة لمن يخالف أمر النبى ﷺ ، قال تعالى " فليحـــذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم "[٢] .

---

(١) أنظر : * تهذيب الكمال ، ٣٠١/١٦ . * تهذيب التهذيب ، ١٣٦/٤ .

(٢) سورة النور .

إذاً يستفاد من الحديث الآتى :

١- استحباب الأكل باليمين وكراهية الأكل بالشمال ، حيث لا عذر من الأكل باليمين كمرض أو قطع ، ومثل الأكل كل شيء شريف ، فيستحب مباشرته باليمين ، وعكسه كل أمر خسيس .

٢- بيان أن دعاء الرسول كان بسبب امتناع الرجل تكبراً وعناداً .

٣- الترغيب فى القيام بأمور اليتيم والمحافظة على أمواله .

باب الأكل متكئاً

أى هذا باب فى بيان حكم الأكل حال كونه متكئاً ، وإنما لم يجزم بحكمه لأنه لم يأت فيه نهى صريح ، وقد ترجم الترمذى هذا الباب بقوله " باب ما جاء فى كراهة الأكل متكئاً " ثم روى حديث أبى جحيفة .

قال الشيخ زين الدين العراقى : حمل الترمذى أحاديث الأكل متكئاً على الكراهة كما بوب عليه وهو قول الجمهور ، وقد أكل غير واحد من الصحابة والتابعين متكئاً رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه . ثم قال : اختلف فى المراد بالاتكاء فى حالة الأكل ، **فقيل :**

أ- هو المتربع المتقعد المتهيئ للطعام .

ب- وقيل هو المعتمد على الوطاء الذى تحته ، وكل من استوى قاعداً على وطاء فهو المتكئ كأنه أوكى مقعدته وسدها بالقعود على الوطاء الذى تحته .

جـ- وقيل هو أن يتكئ على أحد جانبيه وهو فعل المتجبرين .

والمتكئ أصله المتوكئ قلبت الواو تاء وأدغمت التاء فى التاء وهو من معتل الفاء ومهموز اللام ، تقول : اتكأ على شيء فهو متكئ .

نص الحديث الثالث

عن أبى جحيفة وهب بن عبد الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ إنى " لا آكــل متكئاً "[١] .

ترجمة الصحابى :

هو : وهب بن عبد الله السوائى ، يقال له " وهب الخير " ، مات النبى ﷺ ولم يبلغ وهباً الحلم ، روى عن النبى ﷺ وعن البراء بن عازب ، وروى عنه ابنه عون وسلمة بن كهيل والشعبى وغيرهم ، ولاه على بن أبى طالب بيت المال ، واســتعمله على خُمس المتاع وسماه " وهب الخير "، مات سنة أربع وسبعين للهجرة[٢] .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

قوله ﷺ " إنى لا آكل متكئاً " أى حال كونى متكئاً . **قال الخطــابى :** حســب العامة أن المتكئ هو المائل على أحد شقيه ، وليس كذلك ، بل المتكــئ هنــا هــو المعتمد على الوطاء الذى تحته ، وكل من استوى قاعداً على وطائه فهوى متكــئ : أى إذا أكلت لم أقعد متمكناً على الأوطئة فعل من يستكثر من الأطعمة ، ولكنى آكـل العلقة من الطعام فيكون قعودى مستوفزاً له . **ولفظ الترمذى : أما أنا فلا آكل متكئاً**، واستدل به بعضهم على أن ترك الآكل متكئاً من خصائصه ﷺ ، والظــاهر عــدم التخصيص . **وقد روى الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى الــدرداء قــال :** قــال رسول الله ﷺ " لا تأكل متكئا " ، ورجال إسناده ثقات . **وقال البيهقى :** يكره أيضـا لأنه من فعل المتعظمين وأصل الاتكاء مأخوذة من ملــوك العجــم . وإذا ثبــت أن

---

(١) أخرجه البخارى ، " كتاب الأطعمة " ، " باب الأكل متكئا " ، ٥٤٠/٩ ، وأخرجه الترمذى ، " كتاب الأطعمة " ، " باب ما جاء فى كراهة الأكل متكئا " ، ٤٧٠/٥ .

(٢) أنظر : • تهذيب الكمال ، ١٣٢/٣١ . • تهذيب التهذيب ، ١٤٤/١١ .

الاتكاء مكروه أو خلاف الأولى فالمستحب فى صفة الجلوس أن يكون جاثيا على ركبتيه وظهور قدميه ، أو ينصب الرجل اليمنى ويجلس على اليسرى .

نص الحديث الرابع

عن أنس ﷺ قال " رأيت رسول الله ﷺ جالسا مقعيا يأكل تمرا "(١) .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

يحكى الصحابى الجليل أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ أنه رأى رسول الله " جالسا مقعيا " ، والمقعى هو الذى يلصق إليه بالأرض وينصب ساقيه وزاد أحد العلماء ويتساند ظهره وهو الاحتباء " يقال القرفصاء " الذى هو جلوس الأنبياء ، وأكثر جلوسه ﷺ ، وإنما كره هذا الإقعاء فى الصلاة للنهى عنه ، وطلب فى الأكل لما فيه من الاستيفاز وعدم التقعد المشعر بذلك بأن أكله بقدر الحاجة مع ما فيه بالأرقاء ففيه غاية التواضع .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- كراهة الجلوس إلى الطعام على هيئة تشعر بالكبر والتعالى والتجبر وربما يختلف هذا عرفا من بلد إلى آخر ومن زمان إلى زمان .

٢- عدم الإكثار من الطعام والجلوس على المائدة طويلا .

٣- الحث على التواضع مطلقا اقتداء بالنبى ﷺ .

٤ ـ آداب الشراب

نص الحديث الأول

عن ابن عباس ﷺ **قال :** قال رسول الله ﷺ " لا تشربوا واحد كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث وسموا إذا أنتم شربتم واحمدوا إن أنتم رفعتم "(٢) .

---

(١) أخرجه مسلم ، " كتاب الأشربة " ، " باب استحباب تواضع الأكل " ، ١٦١٦/٣ .

(٢) أخرجه الترمذى ، " كتاب الأشربة " ، ٥٤٠/٥ .

ترجمة الصحابى :

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو العباس الهاشمى ابن عم رسول الله ﷺ ، وأمه أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث أخت ميمونة أم المؤمنين ، كان يقال له الحبر والبحر لكثرة علمه وترجمان القرآن ، وهو أحد العبادلة الأربعة وهم : عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله ابن الزبير ، وعبد الله بن عمرو بن العاص .

وقال أحمد بن حنبل : ستة من الصحابة أكثروا الرواية عن رسول الله ﷺ : أبو هريرة ، وابن العباس ، وابن عمرو ، وعائشة ، وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وأبو هريرة أكثرهم حديثا . روى ابن عباس عن النبى ﷺ " ألف حديث وستمائة وستين حديثا " " ١٦٦٠ " حديث . اتفق البخارى ومسلم منها على " خمسة وتسعين حديثا " " ٩٥ " حديثا ، وانفرد البخارى بمائة وعشرين حديثا ومسلم بتسعة وأربعين حديثا . ولد بالشعب قبل الهجرة بثلاث سنين ، وتوفى النبى ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة . **وقال الإمام أحمد :** خمس عشرة سنة . مات بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة على الصحيح فى أيام ابن الزبير وصلى الله عليه محمد بن على أبى طالب المسمى محمد بن الحنفية . وقد عمى فى آخر عمره ﷺ .

معانى المفردات :

١- **لا تشربوا واحدا :** أى تجعلوا شربكم جرعة واحدة دون تنفس خلاله .

٢- **كشرب البعير :** أى فإنه لا يتنفس بين شربه .

٣- **رفعتم :** أى إناء الشربَ منْ فمكم .

---

(١) أنظر : • تهذيب الكمال ، ١٥/١٥٤ . • تهذيب التهذيب ، ٥/٢٤٥ .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

يروى ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " لا تشربوا واحـــدا " صفــة مصدر محذوف تقديره " شربا بأن لا تتنفسوا بينه كشرب البعير فإنه لا يتنفس بيـــن شربه ولكن " استدراك " ، والمعنى مخالفة ما قبلها أى اشـــربوا " مثنـــى " أى فـــى نفسين و " ثلاث " أى وفى أنفاس ثلاثة .،والنهى عن الشرب من نفس واحد للتنزيه، وقوله ﷺ " وسموا إن أنتم شربتم " إن شرطيه والضمير المنفصل بعدها فاعل لفعل الشرط المقدر المفسر بالمذكور بعده ، وكذا حال الشرطية بعده " واحمدوا إن أنتـــم رفعتم " من الشراب فى كل مرة من الثلاث أو المرتين ، وهذا الحديث حســـن مـــن وجه آخر عند الترمذى .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

كراهة شرب الماء جرعة واحدة ، ويستحب أن يقول عند بدء الشرب بســم الله وإن أكمل الرحمن الرحيم فهو أفضل ، وأن يقول عند الانتهاء من الشرب الحمــد لله وإن أتم رب العالمين فأكمل .

نص الحديث الثانى

عن عبد الله بن أبى قتادة ﷺ عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ " إذا شـــرب أحدكم فلا يتنفس فى الإناء "[١] .

نص الحديث الثالث

عن أنس ﷺ قال : " كان رسول الله ﷺ يتنفس فى الشراب ثلاثا "[٢] .

---

(١) أخرجه الترمذى ، " كتاب الأشربة " ، " باب ما جاء فى كراهية التنفس فى الإناء " ، ٥٤٣/٥ .

(٢) أخرجه مسلم ، " كتاب الأشربة " ، " باب كراهة التنفس فى الإناء " ، ١٦٠٢/٣ .

نص الحديث الرابع

عن أبى قتادة ﷺ " أن النبى ﷺ نهى أن يتنفس فى الإناء "(١) .

التعريف بالصحابى :

هو أبو قتادة الأنصارى السلمى فارس رسول الله ﷺ ، اسمه الحارث بن ربعى ، وقيل النعمان والمشهور أن اسمه الحارث بن ربعى بن بلدمة بن خناس بن سفان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة السلمى المدنى .

روى عن النبى ﷺ وعن معاذ بن جبل وعمر بن الخطاب ، وروى عنه : ولداه ثابت وعبد الله مولاه نافع بن عباس بن الأقرع ، وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وخلق كثير . شهد غزوة أحد وما بعدها من الغزوات مع رسول الله ﷺ . قال فيه رسول الله ﷺ " خير فرساننا أبو قتادة " . توفى بالكوفة سنة أربع وخمسين، وهو ابن سبعين سنة(٢) .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

ورد فى هذه الأحاديث الثلاثة النهى عن التنفس فى الإناء . **قال المهلب :** التنفس إنما نهى عنه كما نهى عن النفخ فى الطعام والشراب من أجل أنه لابد أن يقع فيه شيء من ريقه فيعافه الطاعم له ويستقذر أكله ، فنهى لذلك لئلا يفسد على من يريد تناوله ، وهذا إذا أكل أو شرب مع غيره ، وإذا كان وحده أو مع من يعلم أنه لا يستقذر شيئا منه فلا بأس بالتنفس فى الإناء .

---

(١) أخرجه مسلم ، " كتاب الأشربة " ، " باب كراهة التنفس فى نفس الإناء " ، ١٦٠٢/٣ .

(٢) أنظر : " تهذيب الكمال ، ١٩٤/٣٤ .   " تهذيب التهذيب ، ١٨٣/١٢ .

وقال الحافظ ابن حجر فى النهى عن النفخ : ولا فرق فى ذلك بين كونه مع غيره أو وحده إذا لا يؤمن مع ذلك أن تفضل فضله أو يحصل النفور من الإناء أو نحوه . **وقال أيضا :** جاء النهى عن التنفس فى الإناء لأنه ربما حصل له تغير من النفس إما لكونه المتنفس كان متغير الفم بمأكول مثلا أو لبعد عهده بالسواك أو المضمضة أو لأن النفس يصعد ببخار المعدة والنفخ فى هذه الأحوال كلها أشد من التنفس . **وقال القرطبى :** معنى النهى عن التنفس فى الإناء لئلا يتقذر به من البصاق أو أثر رائحة كريهة تعلق بالماء وعليه إذا لم يتنفس يجوز له الشرب بنفس واحد ، وقيل يمنع لأنه شرب الشيطان . **أما قوله** " الشرب بنفسين أو ثلاثة ولفظ الحديث الذى أورده فى الباب كان يتنفس فكأنه أراد أن يجمع بين حديث الباب والحديث الذى ذكر قبله . " النهى عن التنفس فى الإناء " لأن ظاهرها التعارض إذ الأول صريح فى النهى عن التنفس فى الإناء والثانى يثبت التنفس فحملها على الحالتين : **فحالة النهى** عن التنفس داخل الإناء ، **وحالة الفعل** على من يتنفس خارجه فالأول ظاهره من النهى ، **والثانى تقديره :** كان يتنفس فى حالة الشرب من الإناء . **وقد أجاب العلماء** بالجمع بين هذين الحديثين المتعارضين . ولقد أغنى البخارى عن ذلك بمجرد لفظ الترجمة للباب فجعل الإناء فى الأول ظرفا للتنفس والنهى عنه لاستقذاره ، **وقال فى الثانى :** الشرب بنفسين فجعل النفس الشرب أى لا يقتصر على نفس واحد بل يفصل بين الشربين أو ثلاث خارج الإناء ، فعرف ذلك بنفى التعارض . **قال الإسماعيلى :** المعنى أنه كان لا يتنفس أى لا محالة والأصل عدم النسخ والجمع مما أمكن أولى .

قال ابن حجر قلت : الأولى تعميم المنع لأنه لا يؤمن مع ذلك تفضل فضلة أو يحصل التقذر من الإناء أو نحو ذلك .

قال ابن العربى : النهى عن التنفس من مكارم الأخلاق ، ولكن يحـــرم علـــى الرجل أن يناول أخاه ما يتقذر ، فإن فعله فى خاصة نفسه ثم جاء غيره فناوله إيـــاه فليعلمه فإن لم يعلمه فهو غش والغش حرام .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- استحباب أخذ الماء على ثلاث جرعات وأن يتنفس بعد كل جرعة ، وأن يجعـــل تنفسه بعيدا عن إناء الماء ، ولا يخفى ما فى ذلك من الفوائد الصحية .

٢- كراهة التنفس فى الإناء أثناء الشرب أو بعد الجرعات ، وفمه على الإناء لئـــلا يتأثر الماء من رائحة كريهة أو بصاقة فيعافه الشارب ويستقذره .

نص الحديث الخامس

عن أبى سعيد الخدرى ﷺ " أن النبى ﷺ نها عن النفخ فى الشراب . فقـــال رجل : القذارة أراها فى الإناء . فقال : اهرقها . قال : لا أروى من نفس واحد قـــال فأبن القدح إذا عن فيك "[١] .

نص الحديث السادس

عن ابن عباس ﷺ " أن النبى ﷺ نهى أن يتنفس فى الإناء أو ينـــفخ فيـــه " رواه الترمذى[٢] .

١- **القذاة :** واحدة القذى ، وهو ما يقع فى الماء والشراب من تبن أو تراب أو وسخ أو غير ذلك .

٢- **فأبن القدح :** أزل القدح " الكأس " وأبعده عن فمك إذا أردت الشرب أكثر مـــن جرعة .

---

(١) أخرجه الترمذى ، " كتاب الأشربة ٤ ، " باب ما جاء فى كراهية النفخ " ، ٥٤٢/٥ .

(٢) المرجع السابق .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

إن الحكمة من كراهية النفخ فى الشرب : هو خشية تقذر الشراب بما يصل إليه بواسطة النفخ . فعن أبى سعيد الخدرى ﷺ : أن النبى ﷺ نها عن النفـــخ فـــى الشراب نهيا تنزيهيا. فقال رجل " القذاة " أى ما يسقط من الغبار والأوساخ أو الشعر وخلافه " أراها فى الإناء. فقال النبى ﷺ : أهرقها أى ألقها من الماء، ولا تنفخ فيه. فقال : أنى لا أروى من نفس واحد " أى لغلبة العطش ، " فقال : فـــأبن " أى أزل " القدح إذا عن فيك " أى عن فمك وتنفس لئلا يسبق شىء بالنفس إلى الإناء فتقزره .

أما الحديث الثانى : وهو المروى عن ابن عباس ﷺ أن النبى ﷺ " نـــهى أن يتنفس " بالبناء للمفعول أو البناء للفاعل وهو المتنفس المفهوم من الفعـــل قبلـــه " وفى الإناء أو " للتنويع " ينفخ فيه " وذلك خشية الاستقذار .

إذا فمما يرشد إليه الحديث :

١- كراهية النفخ فى الشراب أثناء الشرب أو بعده حتى ولو كان لإبعاد وسخ ومـــا شابهه .

٢- إذا وجد فى الشراب أريق منه شىء لإزالته حرصا على السلامة والصحة .

٥- بر الوالدين وتحريم العقوق والحث على صلة الأرحام واحتمال أذى الأقارب

نص الحديث الأول

عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : " رغم أنف ثم رغم أنف ثـم رغـم أنف. قيل : من يا رسول الله . قال : من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهمـا فلم يدخل الجنة "(١)(٢) .

معانى المفردات :

١- **رغم أنف :** الرغام هو التراب المختلط برمل . والتعبير قصد به الكنايـة عـن الذل كأنه لصق أنفه بالتراب هوانا .

٢- **ثم رغم أنف :** المقصود بثم هنا التراخى مع إعادة الدعاء .

٣- **أدرك أبويه :** أى فى حال حياتهما .

بعض الروايات التى تساعد على فهم الحديث مع شرحه :

روى البخارى بسنده فى كتاب الأدب المفرد عن عبد الله بـن عمـر قـال : "رضا الرب فى رضا الوالد . وسخط الرب فى سخط الوالد" .

وروى أيضا بسنده عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : لا يجزى والد والـده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه .

وروى عن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ يريد الجـهاد . "فقال : أحى والداك . قال : نعم . فقال : ففيهما فجاهد"(٣) .

---

(١) الأدب المفرد ، صـ ٢٤ .

(٢) أخرجه مسلم ، " كتاب البر والصلة "، " باب رغم أنف " ، ١٩٧٨/٤ .

(٣) الأدب المفرد ، صـ ٢٤ فما بعده .

ففى هذا الحديث دلالة على خطورة معصية من أدرك والديه عند كبرهمـــا ، وإن كانا غنيين عنه بما لهما ، وعن خدمته لهما بما عندهما مـــن خـــدم ، **ويكـــون المعنى فى هذه الرواية :** أن يدركهما الكبر وهما عنده وفى مؤنته محتاجين إليـــه . والتقييد بالكبر فى هذا الحديث لأن الابتلاء بهما حينئذ أتم لمزيد حاجتهما لضعفهما ، فكان القيام بحقهما حينئذ آكد كما قاما من قبل بحق الإبن منذ أن كان فى المهد إلـــى أن صار رجلا، وكانت حاجته لهما وافتقاره إليهما واضحة بينه فلم يهملاه أو يقصرا فى حقه ، وليس معنى ذلك أنه إذا كان الوالدان شبابا لم يبلغا حد العَجز والكـــبر أن نتركهما ؟ لا بل يجب برهما فى كل وقت وعلى كل حال ، ولكن التقييد بالكبر جـــاء لمزيد التأكيد ولبيان كمال الحاجة إلى ولدهما فى هذا السن ، ولـــذا دعـــا النبـــى ﷺ بإلصاق أنف من يهمل والديه فى التراب ، وهو حال الذليل الخاسر الذى لا كرامـــة له ولا قيمة .

وقوله " أحدهما أو كلاهما " بالرفع محتمل لكونه مبتدأ محـــذوف الخـــبر أى "أحدهما أو كلاهما" سواء فيما ذكر أو فاعلا لمحذوف، أى يستوى أحدهما أو كلاهما فى ذلك . **وقوله** ﷺ " فلم يدخل الجنة " عطف على " أدرك " والعطف بالفاء فيـــه : إشعار بحصول الجنة بالفضل الإلهى للبار بأبويه أو " أحدهما " حال موت الآخـــر ، وبيان أن البار يدخل الجنة عقب مفارقة الحياة ، وذلك بعرض مقامه عليه وتبشـــيره بما يؤل إليه .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- بر الوالدين واجب ولو فى حال شبابهما ، وإليه خص كبرهما بـــالذكر لمزيـــد التأكيد عليه لأن حاجتهما إلى البر وقت كبرهما تكون أشد .

٢- عقوق الوالدين من الكبائر التى يستحق بها الإنســـان الطـــرد مـــن رحمـــة الله والعذاب فى النار .

نص الحديث الثانى

عن أبى بكرة نفيع بن الحارث ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر – ثلاثا – ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : الإشراك بالله وعقوق الوالديـن ، وكان متكئا فجلس ، فقال : ألا وقول الزور وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتـى قلنا ليته سكت "(١) .

ترجمة الراوى :

هو نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبى سلمة أبـو بكـرة . وسمى أبو بكرة لأنه تدلى من حصن الطائف إلى النبى ﷺ فأعتقـه يومئـذ . روى عن النبى ﷺ ، وروى عنه أولاده عبيد الله وعبد الرحمن وغيرهم .

قال العجلى : كان من خيار الصحابة . توفى سنة أحدى وخمسين هجرية(٢) .

معانى المفردات :

أ- **أكبر الكبائر :** هى الذنوب الكبيرة التى ورد فيها وعيد شديد فى القرآن الكريـم والسنة .

ب- **عقوق الوالدين :** العقوق مأخوذ من العق وهو الشق والقطع ، وضابطـه : أن يفعل مع أحد والديه ما يتأذى به من فعل أو قول .

جـ- **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر :** " ثلاثا " أى قال ذلك ثلاث مرات .

د- **قول الزور :** هو الكذب على الغير .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

قوله " ألا " استفتح الرسول ﷺ الحديث بقوله " ألا " وهى حـرف اسـتفتاح

---

(١) أخرجه البخارى ، " كتاب الأدب " ، " باب عقوق الوالدين من الكبائر " ، ٤٠٥/١٠ .

(٢) أنظر : " تهذيب الكمال ، ٩/٣٠ . " تهذيب التهذيب ، ٤١٩/١٠ .

وأتى بها ليتنبه المخاطب من غفلته ، ليتوجه لسماع ما يلقى إليه فيقر فى قلبه ، ولـذا إنما يؤتى بها فيما يهتم بأمره ، فقوله ﷺ " ألا أنبئكم " ، **وفى رواية** " ألا أخبركم "، **وفى رواية الترمذى** " ألا أحدثكم " ، وفيه دليل على أنه ينبغى للعـــالم أن يعــرض على أصحابه ما يريد أن يخبرهم به ، إما لأجل الحض على التفريغ والاستماع لـه ، وإما لسبب يقتضى التحذير مما يحذرهم، وإما للحض على الإتيان بما فيه صلاحهم.

قوله " بأكبر الكبائر " أى بأعظم الذنوب الكبائر . **وقوله** " ثلاثـا " أى قالــها ثلاث مرات على عادته فى التكرير تأكيدا لتنبيه السامع على إحضار قلبـــه وفهمـــه للذى يقوله ، وليس المعنى أن الكبائر ثلاث فقط وهو غير صحيح ، والذنوب منـــها ما هو صغير ومنها ما هو كبير . **والكبيرة حدها** : أنها ما ورد فيه وعيد شديد فـــى الكتاب أو السنة وإن لم يكن فيه حد . **وقال إمام الحرمين** : الكبيرة هى كل جريمـــة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين وقلة الديانة . " قلنا بلى يا رسول الله " فى الإشارة إلى تعظيم الإذعان لرسالته وما ينشأ منها من بيان الشريعة وإلى استجلاء شىء مـــن كلماته وكمالاته وعلومه . **قال** " الإشراك بالله " ، والمقصود بـــه الكفـــر بأنواعـــه. **وقوله** " وعقوق الوالدين " أو أحدهما وجمعهما لأن عقوق أحدهما يســـتلزم عقــوق الآخر غالبا أو يجر إليه . فإن قيل أكبر الكبائر لا يكون إلا واحدا وهو الشرك فكيف تعدد هنا ؟ وأيضا فنحو القتل والزنا أكبر من العقوق فلما حذفـــا وذكــر هــو " أى العقوق " ؟ **والإجابة** : أن ادعاء الأكبر لا يكون إلا واحدا إنما هو إن أريد الحقيقـة ، أما إن أريد الأكبر النسبى فهو يكون متعددا ولاشك أن الأكبر بالنســـبة إلـــى بقيـــة الكبائر أمور أشار النبى ﷺ لها بقوله " اتقوا السبع الموبقات " ، وحينئذ فالأكبر هنـا لتعدده فى الجواب مرادا به الأمر النسبى وإنما ترك ذكر القتل ونحـــوه فـــى هــذا الحديث لأنه علم من أحاديث أخر أن ذلك من أكبر الكبائر على أنه ﷺ كان يراعـــى فى مثل ذلك أحوال الحاضرين ، وعلى ذلك يحمل اختلاف الأحاديث نحو " أفضـــل

الأعمال الصلاة " وأخرى " أفضل الأعمال الجهاد " وأخرى " أفضل الأعمـال بـر الوالدين" وغيره كثير .

قوله : وكان متكئا فجلس " تنبيها على عظم إثم وقبح شهادة الزور فيفيد تـأكيد تحريمه وتعظيم قبحه وسبب الاهتمام به حتى جلس بعد اتكائه سهولة وقوع النـاس فيه وتهاونهم به ، فإن الإشراك ينبو عنه قلب المسلم والعقوق يصرفه عنه الطبـع ، ولكن الحوامل على الزور كثيرة جدا كالعداوة والحسد فاحتيج إلى الاهتمام بشأنه لأن مفسدته متعدية إلى الغير بخلاف غيره من المعاصي .

قوله : ألا وقول الزور " ويحتمل كون الواو استئنافية لعظم قبح هـذا الذنـب ومزيد إثمه ، ويحتمل أنها عاطفة على محذوفة أي اتركوا ما ذكر الكبـائر وقولـه " الزور " هو الكذب على الغير " وشهادة الزور " أتى بها ﷺ للتـأكيد " فمـا زال يكررها " أي هذه الكلمة بأعتبار المعنى اللغوي أو الشهادة لأنها أقـرب مذكـور ، وقول الزور بمعناه " حتى قلنا : ليته سكت " أي شفقة عليه وكراهية لمـا يزعجـه وخشية أن يجرى على لسانه ما يوجب نزول البلاء عليهم ، وفى الحديث ما كـانوا عليه من كثرة الأدب معه ﷺ والمحبة له والشفقة عليه .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتي :

١- الذنوب تتفاوت بحسب مقاصدها .

٢- الترهيب من عقوق الوالدين وشهادة الزور .

٣- أعظم الذنوب الإشراك بالله ، ثم قول الزور .

٤- محبة الصحابة للنبي ﷺ وشفقتهم عليه .

نص الحديث الثالث

عن أنس بن مالك ﷺ أن الرسول ﷺ قال : " من أحب أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره فليصل رحمه "[١] .

معاني المفردات :

١- " **من أحب** " وفي رواية " من أسره" .

٢- " **أن يبسط** " بالبناء للمفعول أي يوسع ويكثر ويبارك له في رزقه .

٣- " **وينسأ له في أثره** " أي يؤخر أجله . وسمى الأثر أجل لأنه يتبع العمر . وأصله من أثر مشيه في الأرض فإن مات لا تبقى له حركه فلا تبقى لقدمه أثر على الأرض .

٤- " **فليصل رحمه**" فليبر أقاربه .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

يؤكد الرسول ﷺ في هذا الحديث أن صلة الرحم من أجل القربات إلى الله ﷻ وسببا كبيرا في مرضاته .

فقد روى البخاري بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال " إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت بلى يارب . قال : فهو لك. قال رسول الله ﷺ فاقرءوا إن شئتم " فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم "[٢] . كما حث النبي ﷺ على ذلك بقوله " ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها ".

---

(١) أخرجه مسلم ، " كتاب البر والصلة " ، " باب صلة الرحم " ، ٤/١٩٨٢ .

(٢) سورة محمد .

وفى الحديث القدسى عن رب العزة قوله " أنا الرحمن وهم الرحم اشتققت لــها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته ".

وقوله ﷺ " إن صلة الرحم محبة الأهل ، مثراة فى المال ، منسأة فى الأثــو " ولذا فإن صلة الرحم سبب للتوفيق لمرضاة الله سبحانه وتعالى وطاعته وعمارة وقته بما ينفع ويقرب من الله ﷻ فمن سره أن يكون هكذا فليصل رحمه .

هذا : وقد قيل إن ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى " إذا جاء أجلـــهم فــلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون "[١].

فكيف يكون الجمع بين الآية والحديث ؟

١- بحمل الزيادة على أنها كناية عن البركة فى العمر بسبب التوفيق إلى طاعــة الله وعمارة وقته بما ينفعه ويقربه من مولاه .

٢- أو بحمل الزيادة فى الحديث على حقيقتها ، وذلك بالنسبة للأجل المعلق المكتوب فى اللوح المحفوظ المرفوع للملك ، مثلا كتب فيه : إن أطاع فلان فعمره كـــذا وإلا فعمره كذا والله سبحانه وتعالى عالم بالواقع منهما والأجل المحتوم فى الآيـة على ما فى علم الله سبحانه الذى لا يتغير فيه ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعـــالى " **يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** "[٢] . فالحديث فيه ما أشارت إليـه أول الآية من الأجل المعلق، وقوله "**وعنده أم الكتاب**"، أشار به إلى العلم الإلـهى الذى لا تغير فيه، ويعبر عنه بالقضاء المبرم وعن الأول بالقضاء المعلق .

(١) سورة يونس الآية رقم ٤٩ .

(٢) سورة الرعد الآية رقم ٣٩ .

هذا : والوجه الأول أليق بلفظ الحديث معنا فإن الأثر ما يتبع الشيء فإن أخر حسن أن يحمل على الذكر الحسن بعد فقد المذكور ، وقيل المقصود حصول البركة في الرزق والعمل والأولاد .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- فضل صلة الرحم فى حصول البركة فى العمر وسعة الرزق ، وحفظ الصحة والذكر الحسن .

٢- تحريم قطيعة الرحم . لذهاب البركة بقطعها .

احتمال أذى الأقارب وفضله

قال تعالى " والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس "(١) ، بحبس النفس عن مرادها من الانتقام ، وترك مؤاخذتها فى ذلك " **والله يحب** " أى يثبت " **المحسنين** " وفيه إيمان إلى أن كل من كان منصفاً بهذه الصفات فهو من المحسنين .

وقال تعالى " ولمن صبر " على الإيذاء " **وغفر** " وصفح عمن آذاه "**إن ذلك**" أى ما ذكر " **لمن عزم الأمور** " أى معزومها شرعاً .

نص الحديث الرابع

عن أبى هريرة ﷺ " **أن رجلاً قال** : يا رسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى ، وأحسن إليهم ويسئون إلىّ ، وأحلم عنهم ويجهلون علىّ : فقال لئن كنت كما قلت : فكأنما تُسِفُّهُم المَلَّ ولا يزال معك من الله تعالى ظهير عليهم ما دمت على ذلك(٢) .

---

(١) آل عمران الآية رقم {١٣٤} .

(٢) أخرجه مسلم ، "كتاب البر والصلة" ، "باب صلة الرحم" ، ١٩٨٢/٤ .

معانى المفردات :

١- أحلم : أصبر وأصفح ، والحلم الأناة .

٢- ويجهلون على : يسيئون إلى .

٣- الملّ : بفتح الميم الرماد الحار .

٤- تفسهم : تطعمهم .

٥- ظهير : منيع .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

" عن أبى هريرة أن رجلا من المسلمين قال : يا رسول الله إن لى قرابة " أى ذوى قرابة أى رحم ونسب ، ويقال فيها قربى ، " أصلهم ويقطعونى ، وأحسن إليهم " أى أسدى إليهم الإحسان " ويسيئون إلى ، وأحلم " ويسيئون إلى وأصبر " عنهم ويجهلون على " ، ويجوز أن تكون الجمل المضارعة معطوفة على أقرانها ، وهو الأقرب ، ويحتمل أن تكون فى محل الحال على تقدير مبتدأ محذوف ، أى وهم يقطعونى لأن الواو الحالية لا يجوز دخولها على الجمل المضارعة المثبتة الخالية من قد إلا ضرورة نحو قوله " علقتها عرضا وأقتل قومها " ، وقد قتل " فقال النبى ﷺ : لئن كنت كما قلت " اللام فى هذه العبارة مؤذنة بقسم مقدر أتى به تأكيدا للمقام للترهيب من مقابلة الحسن بالسيئ ، قال تعالى " هل جزاء الإحسان إلا الإحسان "(١) أى والله لئن " كنت كما قلت " من إسدائك الجميل لهم ومقابلتهم حسن صنيعك بقبيح فعلهم " فكأنما تسفهم الملّ " أى تجعلهم يسفون الرماد الحار ، " ولا يزال معك من الله ظهير عليهم " أى ولا يزال الله معين لك ودافع لأذاهم وظهير يطلق على الواحد والجمع ففى القرآن " والملائكة بعد ذلك ظهير " ، والمظاهرة المعاونة اسم يزال ،

---

(١) سور الرحمن الآية رقم {٦٠} .

وقوله " عليهم " خبر، ويجوز أن يكون صفة وقوله " معك " أو من الله الخبر، وقوله ﷺ " ما دمت على ذلك " أى من دوامك على ما ذكر ، أو أنـــه لمــا كــان الإحسان والحلم معطوفين على الصلة الشاملة لهما من عطف الخاص علـــى العــام أفرد اسم الإشارة .

ومعنى قوله " تسفهم " من سف الدواء أكله غير ملتوت ، فأشار إلى أنه تنــاول الجامدات غير ملتوتات ، " والمل " الرماد الحار .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- مشروعية الإحسان إلى المسىء لأنه ربما يرتدع فيعود إلى الإحســان وإلا ازداد بعدا من الرحمن .

٢- الإساءة للمحسن خزى وتحقير للمسىء فى نفسه كمن يسف المل ، أو أن الــذى يأكله من إحسان المحسن كالمل يحرق أحشائه .

٣- الصبر قدر المستطاع على الأذى من الأقارب فهم فى النهايـــة لحمـــى ودمـــى وإليهم أنتمى .

٦- الغضب إذا انتهكت حرمات الشرع

والمقصود من الحرمات ما حرمه الله عز وجل فى كتابه وعلى لسان رسـول الله ﷺ ، لما فيها من المفاسد التى تعود على الفرد والمجتمع .يقول الحـق " ذلـك ومن يعظم حرمات الله فو خير له عند ربه " وقوله تعالى " تلـك حـدود الله فـلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فألئك هم الظالمون" وقال ﷺ " ألا وإن حمى الله فـى الأرض محارمه ".

هذا : وتعظيم حرمات الله يتمثل فى عدم خرقها وترك دواعيها ، والحذر مـن الوقوع فى شبهاتها فمن أحسن تعظيم حرمات الله أحسن الله أجـره فـالله سـبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا ومعنا حديثين من أحـاديث النبـى ﷺ فـى موضوعين مختلفين إلا أنهما اتفقا فى المخالفة الشرعية مما أظهر الغضب والضيـق فى وجه وقلب رسول الله ﷺ وصدرت منه ﷺ أحكاما كانت خيرا وبركـة علـى الأمة ، وزجرا وتقبيحا لكل من خالفها أو سار على عكسها وهـانحن الآن بصـدد الحديث الأول والذى يعتبر موضوعه فى حكم من يؤم الناس فى الصـلاة ويطيـل عليهم الصلاة دون مراعاة لظروف المأمومين .

نص الحديث الأول

عن أبى مسعود عقبة بن عمرو البدرى رضى الله عنه قال : " جـاء رجـل رسول الله ﷺ فقال : إنى لا أتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنـا فما رأيت النبى ﷺ غضب فى موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال : يـا أيـها الناس إن منكم منفرين فأيكم أم الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والصغـير وذا الحاجة "(١) .

---

(١) أخرجه البخارى ، " كتاب الأذان " ، " باب من شكا إمامه إذا طول " ، ٢٠٠/٢ عن أبى مسعود .

معانى المفردات :

١- **قوله** : " إنى لأتأخر عن صلاة الصبح" وفى رواية " عن صلاة الفجر" وفى رواية " عن صلاة الغداة" والجميع بمعنى واحد إذ المقصود بها أول صلاة تصلى فى اليوم ابتدأ . وخصها بالذكر لأنها تطول فيها القراءة غالبا ، ولئن الانصراف منها وقت التوجه لمن له حرفة إليها .

٢- " **من أجل فلان** " : أى بسببه. **وفلان** : هو كناية عن اسم سمى به المحدث عنه ، قيل أنه معاذ بن جبل ، أو أبى بن كعب .

٣- **والرجل الذى اشتكى قيل إنه** : حرام بن ملحان خال أنس بن مالك .

٤- " **مما يطيل بنا** " **وفى رواية** " **مما يطول لنا** " : أى من أطالته الصلاة بنا .

٥- **غضب** : الغضب هو انفعال يحصل من غليان الدم لشئ دخل فى القلب .

٦- **الموعظة** : هى القول الرقيق الذى يسبق إلى القلب وتطمئن له النفس .

٧- " **أشد مما غضب يومئذ**" **وفى رواية** " **أشد غضبا منه يومئذ** " : أى أكثر غضبا .

٨- " **منفرين** " : بصيغة الجمع ، وهو من التنفير يقال نفر ينفر نفورا ونفارا : إذفر وذهب ، والمقصود : منفرون عن صلاة الجماعة.

٩- **فليوجز** : أى فليخف ، **يقال** : تجوز فى صلاته : أى خفف وليقتصر مع إتمام الأركان وأداء السنن .

١٠- " فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة " ، **وفى رواية أخرى** " فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة " . **وفى أخرى** " فإن من خلفه الضعيف والكبير وذو الحاجة ".

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

يقول الصحابى الجليل أبو مسعود عقبة بن عمـــرو بـــن ثعلبـــة الأنصـــارى الخزرجى " البدرى " نسبة إلى بدر لنزوله وسكناه إياها وإلا فإنه لم يشهد وقعتها مع النبى ﷺ - جاء رجل إلى رسول الله ﷺ قيل إن هذا الرجل اسمه : حـــرام بـــن ملحان خال أنس بن مالك ، وقيل حزم بن ملحان ، وقيل اسمه : سليم رجل من بنـــى سلمة ، والراجح أن اسمه حرام بن ملحان كما دلت عليه رواية أحمد بن حنبل فـــى مسنده عن جابر ، وأنس بن مالك . هذا الرجل جاء رســـول الله ﷺ فقـــال " إنـــى لأتأخر عن صلاة الصبح " يعنى لا أحضرها مع الجماعة لأجل التطويل الذى يحدث فيها من فلان " من أجل فلان" وكلمة فلان : كناية عن ذى العلم العــــاقل المذكـــر، والظاهر أن الراوى هو الذى كنى عنه والرجل الذى شكاه للنبى ﷺ سماه وذلك من حسن الأدب فى التعبير .

وخص صلاة الصبح بالذكر لأنها تطول فيها القراءة غالبا، ولأن لانصــــراف منها هو بداية التوجه للأعمال التى يقوم بها الناس — حيث إن الصلاة ثم الإفطار ثم الانتشار — إلى الأعمال امتثالا لقوله تعالى " **فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقـــه** " وقوله ﷺ " بورك لأمتى فى بكورها ".

قوله " مما يطيل بنا " بدل مما قبله بإعادة العامل أى من إطالته الصــــلاة بنـــا "فما رأيت" أى علمت النبى ﷺ غضب فى موعظة قط " أشد " قيل بالنصب علـــى الحال من رسول الله ﷺ أو بالنصب نعت مصدر محذوف " أى غضبا أشد" " ممـــا غضب يومئذ " أى يوم أخبر بذلك ، **فلماذا غضب ؟**

قال ابن دقيق العيد : سبب الغضب : إما لمخالفة الموعظة " أى مخالفة كـــلام النبى ﷺ الذى أخبر الأئمة من أصحابه بعدم التطويل " ، أو للتقصير فى تعلم مـــا ينبغى تعلمه .

قال أبو الفتح اليعمرى : فيه نظر ، لأنه يتوقف على تقدم الإعلام بذلك . قلت : يحتمل تقدم الإعلام به بقصة معاذ ، ولهذا لم يذكر فى حديثه الغضـــب ، وواجهـــه وحده ، ويحتمل أن يكون ما ظهر من الغضب لإرادة لاهتمام بما يلقيـــه لأصحابـــه ليكونوا من سماعه على بال ، **قال ابن حجر فى الفتح :** والتعليل الأَخير أحسن فـــى الباعث على الغضب .

قوله " مما غضب " ما مصدرية أى من غضبه " يومئذ " أى فى ذلك اليـــوم ، ولا يعارض هذا ما جاء من نهيه ﷺ القاضى أن يقضى وهو غضبان " بمعنى آخر" إن رسول الله ﷺ قد نهى القاضى أن يحكم فى قضاء حال غضبه ، فما الحكـــم إذا حكم رسول الله ﷺ فى أمر من الأمور وهو غضبان ؟

نقول : إن مكانة رسول الله ﷺ ومنزلته تختلف عن غيره حيث إن عصمتـــه مانعة من حمل الغضب إياه على مالا ينبغى من قول أو فعل بخلاف غير المعصوم. " فقال " عطف على مقدر دل عليه سابق الكلام : أى فوعظ فقال : " يا أيها الناس " المقصود بالنداء هو الناس من أصحاب رسول الله ﷺ ، أو من تعرض للأمامة إلى يوم القيامة " إن منكم منفرين " لم يقل إن منكم منفرون ولكنه أتى بمن التبعيضية أى " بعضكم منفرون "وكان المقتضى منه ﷺ أن يخاطب المطول وحده فلمـــا عمـــم الكلام ولم يخص ؟

نقول : إنما خاطب الكل ولم يعين المطول كرما ولطفا عليه وكانت هذه عادته حيث ما كان يخصص العتاب والتأديب بمن يستحق حتى لا يحصل له الخجل ونحوه على رؤوس الأشهاد ولذلك كان دائما يقول " ما بال أقوام يفعلون كذا " " ما بال رجال يشترطون كذا ولا يخصص .

وقيل : قال ذلك إعراضا عنه وهو أشد الوعيد . **قال ابن بطال :** لما أمر الشارع بالتخفيف كان المطول عاصيا ، ومخالفة العاصي جائزة لأنه لا طاعة إلا في معروف ، **وقوله ﷺ** " فأيكم أم الناس " أي أي واحد منكم كان إماما لصلاة من أي الصلوات الخمس " فليوجز " أي يخفف ومعنى يوجز يقتصر مع تمام الأركان والسنة قال أهل اللغة أوجزت الكلام قصرته فهو موجز .

والتطويل والتخفف من الأمور الإضافية ، فقد يكون الشيء خفيفا بالنسبة إلى عادة قوم طويلا بالنسبة إلى آخريين ، **قال أبو الفتح اليعمري :** الأحكام إنما تناط بالغالب لا بضرورة النادرة فينبغي للأئمة التخفيف مطلقا . **قال :** وهذا كما شرع القصر في الصلاة في حق المسافر وعلل بالمشقة ، وهي مع ذلك تشرع ولو لم تشق عملا بالغالب لأنه لا يدري ما يطرأ عليه وهنا كذلك . **قال العلامة العيني في كتابه** " عمدة القارئ شرح صحيح البخاري " يؤيد كلامه صيغة بالتخفيف فإنه أمر بعد الغضب الشديد ، وظاهره يقتضي الوجوب " فإن من ورائه " أي ممن اقتدى به " الكبير " فيعجز عن الوقوف وطول الصلاة لكبره ، إذ هو مظنة الضعف غالبا " والصغير " الذي لا ثبات عنده على الصبر على الإطالة " وذا الحاجة " أي صاحب المصلحة فتمنعه من إدراك حاجته الإطالة ويشغل خاطره فيسلبه خشوعه الذي هو لب العبادة . **واختلاف الروايات** في هذا الحديث يعطي عطاء زائدا ويؤصل حقيقة حكم التخفيف **ففي رواية** " فمن صلى بالناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف

وذو الحاجة "، **وفى رواية أخرى** " والصغير والكبير " ، **وفى أخـــرى** " والحـــامل والمرضع " وفى أخرى " والعابر السبيل " .

ولذا : فقد تناول الحديث جميع الأنواع المقتضية للتخفيف ، فإن المقتضى لـــه إما فى نفسه أولا ، والأول إما بحسب ذاته وهو الضعف أو بحسب العارض وهـــو المرض وغيره . **فينبغى للإمام التخفيف مع إكمال الأركان لأنه** ﷺ **قال للذى لم يتم** ركوعه ولا سجوده " ارجع فصل فإنك لم تصل " وقوله ﷺ "لا تجزئ صلاة مـن لا يقيم ظهره فى الركوع والسجود " .

ولذا : ينبغى على إمام العامة أن يقتصر على أواسط المفصل وصغاره وفـــى التسبيح فى الركوع والسجود ثلاث مرات ، ويأتى بكمال التشهد والصلاة على النبى ﷺ . وأما إمام قوم محصورين لم يتعلق بعينهم حق راضين بالتطويل فى مســـجد لا يطرقهم غيرهم فلا بأس به ، ومحل ذلك أيضا فى غير ما لم يرد فيه قراءة سورة معينة وإلا كما فى " **آلم تنزيل الكتاب** " سورة السجدة و" **هل أتى علـــى الإنســـان** " سورة الإنسان فى صبح الجمعة ، و" **ق** " وسورة " القمر " " **اقتربت الساعة** " فـــى العيد ، ونحو ذلك فيأتى به ، وإن لم يرض القوم اكتفاء بوروده من فعله ﷺ .

وقول الفقهاء : لا يزيد الإمام على ثلاث تسبيحات فى الركوع والســـجود لا يخالف ما ورد عن النبى ﷺ أنه كان يزيد على ذلك لرغبة الصحابة فى الخـــير . **ولقول النبى** ﷺ " أنت إمام قومك وأقدر القوم بأضعفهم " . وممن كـــان يخفـف الصلاة من السلف أنس بن مالك . **قال ثابت البنانى** : "صليت معه العتمة فتجوز مـا شاء الله". وكان سعد إذا صلى فى بيته أطال الركوع والسجود فى الصلاة فقيل لـــه فقال : إنا أئمة يقتدى بنا ، وصلى الزبير بن العوام صلاة خفيفة فقيـــل لـــه : أنتـــم أصحاب النبى ﷺ أخف الناس صلاة ، فقال إنا بنادر هذا الوسواس .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

قال الإمام النووى :

١- فيه جواز التأخر عن صلاة إذا اعلم من عادة الإمام التطويل الكثير .

٢- فيه جواز ذكر الإنسان بفلان ونحوه فى معرض الشكوى .

٣- فيه جواز الغضب لما ينكر من أمور الدين .

٤- فيه جواز الإنكار على من ارتكب ما ينهى عنه وإن كان مكروها غير محرم .

٥- فيه التعزير على الإطالة فى الصلاة إذا لم يرض المأموم به وجواز التعزير بالكلام .

٦- فيه الأمر بتخفيف الصلاة .

٧- جواز التخلف عن الجماعة بعذر .

قال ابن بطال : وإنما غضب رسول ﷺ لأنه كره التطويل فى الصلاة من أجل أن فيهم المريض ونحوه ، فأراد الرفق والتيسير بأمته ، ولم يكن نهيه ﷺ من التطويل لحرمته لأنه ﷺ كان يصلى فى مسجده ويقرأ بالسور الطوال مثل سورة يوسف وذلك لأنه كان يصلى معه جلة أصحابه ، ومن أكثر همه طلب العلم والصلاة لهذا خفف فى بعض الأوقات كما فى " سماعه صوت بكاء الصغير ونحوه " .

نص الحديث الثانى

عن عائشة رضى الله عنها **قالت : " قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت سهوة لى بقرام فيه تماثيل ، فلما رآها رسول الله ﷺ هتكه وتلون وجهه، وقال : يا عائشة أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله . قالت : فجعلناه وسادة أو وسادتين "[1] .**

(١) أخرجه البخارى ، " كتاب اللباس " ، " باب ما وطئ من التصاوير " ، ٣٨٦/١٠، ٣٨٧ ، " وكتاب المظالم " باب هل تكسر الدنان " ، ١٢٢/٥ .

ترجمة السيدة / عائشة :

هى أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها ، تكنى بأم عبد الله ، كناها رسول الله ﷺ بابن أختها عبد الله بن الزبير . وعائشة مأخوذة من العيش ، وحكى عيشة لغة فصيحة . وأمها " أم ر ومان " بفتح الراء وضمها : زينب بنت عامر وهى أم عبد الرحمن أخى عائشة أيضا .

تزوجها رسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة بسنتين وقيل ثلاث ، وقيل بسنة ونصف أو نحوها فى شوال وهى بنت ست وقيل سبع ، وبنى[1] بها فى شوال أيضا بعد وقعة بدر فى السنة الثانية من الهجرة ، أقامت فى صحبته ثمانية أعوام وخمسة أشهر وتوفى عنها وهى بنت ثمانى عشرة سنة .

عاشت السيدة عائشة خمسا وستين سنة ، وكانت من أكبر فقهاء الصحابة ، وأحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية .

روى لها " ألفا حديث ، ومائتا حديث ، وعشرة أحاديث " " ٢٢١٠حديث " اتفق البخارى ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثا " " ١٧٤حديث " . وانفرد البخارى بأربعة وخمسين " ٥٤حديث ". ومسلم بثمانية وخمسين حديثا "٥٨حديث ".

روت عن كثير من الصحابة ، وروى عنها جمع كثير من الصحابة والتابعين قريب من المائتين . **وفاتها :** ماتت بعد الخمسين ، إما سنة خمس أو ست أو سبع أو ثمان وخمسين فى رمضان ، وقيل فى شوال ، وأمرت أن تدفن ليلا بعد صلاة الوتر بالبقيع ، وصلى عليها أبو هريرة رضى الله عنه وجمع من الصحابة .

---

(١) بنى بها : أى دخل بها .

(٢) أنظر : • تهذيب الكمال ، ٢٢٧/٣٥ . • تهذيب التهذيب ، ٣٨٤/١٢ .

معانى المفردات :

١- **قدم من سفر** : قيل أنها غزوة تبوك ، وقيل غزوة خيبر .

٢- **سهوة لى** : بفتح السين المهملة وسكون الهاء وبالواو ، وهى : الصفة تكون بين يدى البيوت ، وقيل الكوة، وقيل الرف والطاق . **وقيل** : هو بيت صغير منحدر فى الأرض شبية بالخزانة الصغيرة والمعنى: مكان بين جداريـــن ، أو فتحـــة صنعت لها ستارة حتى لا يرى ما خلفها كما نصنع اليوم فى بيوتنا من ســـتائر على أبواب الحجرات أو فى وسط الصالة، أو الجزء الخاص بالمطبخ والحمام.

٣- قرام : القرام بكسر القاف هى : ستارة فيها رسم ونقوش ، وقيل ستارة رقيقـة ، وقيل ثوب من صوف ملون يفرش فى الهودج أو يغطى به .

٤- **فيه تماثيل** : جمع تمثال وهو اسم من المثال، يقال : مثلت بالتخفيف، والتثقيل : إذا صورت مثالا ، وقيل لا فرق بين الصورة والتمثال – والصحيح أن بينـــهما فرقا ، وهو : أن الصورة تكون فى الحيوان والتمثال يكون فيه وفـــى غـــيره ، وقيل التمثال ماله جرم وشخص والصورة ما كان رقما أو تزويقا فـــى ثـــوب أو حائط .

٥- **هتكة** : قطعه ونزعه . وفى رواية " فأمرنى أن أنزعه فنزعته .

٦- **تلون وجهه** : أى تغير عن هيئته وظهرت فيه ملامح الغضب .

٧- **أشد الناس عذابا** : أكثرهم وأغلظهم .

٨- **يوم القيامة** : يوم العرض والجزاء .

٩- **يضاهون بخلق الله** : أى يصور مثله أو يصنع على هيئة مشابهة لا مطابقة من كل الوجوه .

١٠- **الوسادة** : جمع وسائد وهى المخدة : أى جعلت منه كسوة لمخدة أو مخدتيـــن وهو ما نسميه اليوم " بياضة المخدات أو مفارش المخدات " .

بعض روايات الحديث التى تساعد فى فهم نصه :

روى البخارى بسنده عن عبد الله بن مسعود قال : سمعت النبى ﷺ يقـــول " إن أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون " .

وروى البخارى بسنده عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ قـــال : " إن الذيــن يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة ، يقال أحيوا ما خلقتم " .

وروى بسنده عن أبى طلحة قال : قال النبىﷺ " لا تدخل الملائكة بيتا فيـــه كلب ولا تصاوير " .

وروى بسنده عن أبى طلحة صاحب رسول الله ﷺ قال : " إن رســـول الله ﷺ قال : إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه الصورة قال بشر : ثم اشتكى زيد فعدناه فإذا على بابه ستر فيه صورة ، فقلت لعبيد الله ربيب ميمونة زوج النبىﷺ : ألم يخبرنـا زيد عن الصور ، يوم الأول ؟ فقال عبيد الله : ألم تسمعه حين قال : إلا رقما فـــى ثوب " .

وروى بسنده عن عبد الله بن عمر قال : " وعد النبىﷺ جبريل فــراث عليــه " أى أبطأ " حتى اشتد على النبى ﷺ فخرج فلقيه ، فشكا إليه ما وجد ، فقال لـــه : " إنا لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب " .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

قدم النبى ﷺ من إحدى غزواته روى البيهقى أنها كانت غزوة تبوك ، وروى أبو داود والنسائى على الشك " غزوة خيبر أو تبوك " فوجد السيدة عائشة زوجتـه ، قد وضعت ستارة رقيقة بها تصاوير ورسومات ونقوش على جهة من جهات البيـت من الداخل ، من باب التزيين والتجميل أو لحاجة المكان لهذا الستر . فغضب رسول الله ﷺ حين رآه وتغير وجه الشريف ، ونزعه من مكانه ، أو أنه هتكه بمعنى أنـــه

عابه ولم يمتدحه وذمه وأمرها كما فى الرواية الأخرى برفعه من مكانـــه . وقـال مناديا : يا عائشة فهل كانت السيدة عائشة فى جزء آخر من بيتها حين غضب ونزع تلك الستارة فناداها ليخبرها بجرم المصورين يوم القيامة وليبين غضبه من وضـــع تلك الستارة ، أم ناداها رغم قربها منه ووقوفها بجواره ليزداد انتباهها إليه فترى مـا به من غضب ولتكون أسمع لكلامه حين يتكلم يحتمل أحد الأمرين فقال : أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله أى الذين يصنعون من الصور والتمـــاثيل سواء مجسمة أو مرسومة أو مدهونة ما يشبه خلق الله . فما كان من السيدة عائشـــة رضى الله عنها إلا أن أخذتها من يده الشريفة ، أو نزعتها على الروايـــة الأخـرى فجعلته كيسا لمخدة أو مخدتين أو مفرشا أو كما تسميه " بياضة للمخدات " وغـيرت رأيها وما صنعته استجابة لله ولرسوله ﷺ .

اعتراضات وردود عليها :

الاعتراض الأول : يقول الحديث " أشد الناس عذابا عنـــد الله يـوم القيامـة المصورون " **والاعتراض هنا هو :** كون المصور أشد الناس عذابا — مـــع قولـه تعالى — " أدخلوا آل فرعون أشد العذاب — فإنه يقتضى أن يكون المصـــور أشـد عذابا من آل فرعون ؟

والإجابة تتكون من الآتى :-

أ- **أجاب الطبرى :** بأن المراد هنا من يصور ما يعبد من دون الله تعـالى : وهـو عارف بذلك قاصد له، فإنه يكفر بذلك فلا يبعد أن يدخل مدخـل آل فرعـون . وأما من لا يقصد ذلك فإنه يكون عاصيا بتصويره فقط .

ب- **وقال الطبرى :** إن " الناس " الذين أضيف إليهم " أشد " لا يراد بهم كل النــاس بل بعضهم ، وهم الذين شاركوا فى المعنى المتوعد عليه بالعذاب . ففرعـــون

أشد الناس الذين ادعوا الإلهية عذابا ، ومن يقتدى به فى ضلاله وكفره أشد عذابا ممن يقتدى به فى ضلاله وفسقه . ومن صور صورة ذات روح للعبادة أشد عذابا ممن يصورها لا للعبادة .

وقيل الرواية ثابتة بإثبات " من " أى " إن من أشد الناس " وبحذفها محمولة عليه ، وإذا كان من يفعل التصوير من أشد الناس عذابا ، كان مشتركا مع غيره ، ولبس فى الآية ما يقتضى اختصاص آل فرعون بأشد العذاب ، بل هم فى العذاب الأشد فكذلك غيرهم يجوز أن يكون فى العذاب الأشد . وقيل الوعيد بهذه الصيغة إن ورد فى حق كافر فلا إشكال فيه لأنه يكون مشتركا فى ذلك مع آل فرعون ، ويكون فيه دلالة على عظم كفر المذكور . وإن كان ورد فى حق عاص فيكون أشد عذابا من غيره من العصاة ، ويكون ذلك دالا على عظم المعصية المذكورة .

وقال فى التوضيح : تصوير صورة الحيوان حرام أشد التحريم وهو من الكبائر ، وسواء صنعه لمن يمتهن أو لغيره ، فحرام بكل حال ، لأن فيه مضاهاة لخلق الله، وسواء كان فى ثوب أو بساط أو دينار أو درهم أو فلس أو إناء أو حائط، وأما ما ليس فيه صورة حيوان كالشجر ونحوه ، فليس بحرام ، وسواء كان فى هذا كله ماله ظل وما لا ظل له، **وبمعناه قال جماعة العلماء :** مالك والثورى وأبو حنيفة وغيرهم ، يستثنى من ذلك لعب الأطفال بنين أو بنات .

الاعتراض الثانى : هل كل الملائكة لا يدخلون البيوت التى فيها صورة أو كلب ، ولما خص الصورة والكلب ؟ وما هو حد الصورة المباحة ؟

نقول : يقصد بالبيت المكان الذى يستقر به الشخص سواء كان بيتا أو خيمة أو غير ذلك .

وظاهر الأحاديث أن كل الملائكة لا يدخلون تلك البيوت ولكن استثنى الحفظة وهم الذين لا يفارقون الشخص بكل حال. جزم بهذا ابن وضاح والخطابى والداودى.

وقال آخرون : المراد بالملائكة فى هذا الحديث ملائكة الوحى مثل جبريل وإسرافيل وأما الحفظة فإنهم يدخلون كل بيت ولا يفارقون الإنسان أصلا إلا عند الخلاء والجماع . **وقيل :** المقصود بالملائكة الذين يطوفون بالرحمة والاستغفار .

وخص بالصورة : التى فيها روح مما لم يقطع رأسه أو لم يمتهن بأن يكون مما يوضع على الأرض ويداس عليه مثل السجاد أو المفروشات الأخرى . أو أن تكون الصورة مجسمة أو مبينة للعورات التى أمر الله أن تستتر ، أو يكون صورة لمعبود يعبد من دون الله قصد ذلك مصورها ، وقد فصلنا ذلك فى إجابة للاعتراض الأول . **وخص الكلاب :** وظاهر الأحاديث أن جميع الكلاب فى الحكم سواء من حيث امتناع الملائكة من دخول البيت مال إلى هذا الرأى القرطبى والنووى .

قال الخطابى : ويستثنى منه الكلاب التى أذن فى اتخاذها نحو كلاب الصيد والماشية والمزارع . واختلفوا فى وجه امتناع الملائكة من دخول البيت الذى فيه كلب على أقوال : قيل لكونه نجس العين ، وقيل لكونه من الشياطين ، وقيل لأجل النجاسة التى تتعلق به فإنه يكثر أكل النجاسة ، وتتلطخ به **قال العينى : قلت :** كل هذا لا يجدى لأن الخنزير أشد نجاسة منه للنص الوارد فيه ، ولا يخلو بيت من الشياطين والسنور " القطط " أيضا تكثر أكل النجاسة ومع هذا لم يرد امتناع الملائكة من الدخول فى البيت الذى فيه هرة " قطة " ولا خنزير وغيرهما إلا فى البيت الذى فيه الكلب خاصة من دون سائر الحيوانات النجسة ......" إذا فالحكمة لا يعلمها إلا الله " .

أما حدود الصورة المباحة والتى دعت الضرورة فى هذه الأيام لوجودها حيث لا تخلوا الآن الجرائد والمجلات والبطاقات والإقامات وجوازات السفر منها أو على بعض الأثواب والملابس **فيشترط فيها الآتى :-**

١- أن تكون الصورة لا ظل لها مثل الصور الضوئية " الفوتوغرافية " بشـــرط أن لا تصف أو تظهر فيها المفاتن والعورات وأن تكون دعى إليها الضرورة كمـــا سبق ذكره .

٢- ما كان رقما فى ثوب وهو ما يسمى بالطباعة أو صباغة الملابس معها الشـــرط السابق .

٧- حفظ السر

نص الحديث

عن عائشة رضي الله عنها **قالت** : كن أزواج النبى ﷺ عنده لم يغادر منهن واحدة ، فأقبلت فاطمة تمشى ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً ، فلما رآها رحب بها فقال : مرحباً بابنتى ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارها فبكت بكاء شديداً ، فلما رأى جزعها سارها الثانية فضحكت ، فقلتُ لها خصك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسرار ثم أنت تبكين ؟ فلما قام رسول الله ﷺ سألتها ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ قالت : ما كنت أفشى على رسول الله ﷺ سره ، قالت : فلما توفى رسول الله ﷺ قلت : عزمت عليك بما لى عليك من الحق لما حدثتنى ما قال لك رسول الله ﷺ فقالت : أما الآن فنعم ، أما حين سارنى فى المرة الأولى فأخبرنى أن جبريل كان يعارضه القرآن فى كل سنة مرة أو مرتين ، وأنه عارضه الآن مرتين ، وإنى لا أرى الأجل إلا قد اقترب فاتقى الله واصبرى ، فإنه نعم السلف أنا لك ، قالت : فبكيت بكائى الذى رأيت ، فلما رأى جزعى سارنى الثانية فقال : يا فاطمة أما ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة ؟ قالت : فضحكت ضحكى الذى رأيت " رواه مسلم .

بيان معنى المفردات :

١- **مشية** : على وزن فعله ، لبيان هيئة المشى .

٢- **مرحباً بك** : أى نزلت مكاناً رحباً واسعاً .

٣- **جزعها** : ضعفها من هول ما سمعت وضعفها عن تحمله .

٤- **عزمت عليك** : أقسمت بما لى عليك من الحق ، وهى كونها أم المؤمنين وزوجته ﷺ .

٥- **يعارض القرآن :** يقرأ النبى ﷺ وجبريل يســـمع ، ثـم يقـرأ جـبريل عليه السلام والرسول ﷺ يسمع ، والمراد بالقرآن ما اجتمع منه إلى حين تدارسهما ، وقـد تم نزول القرآن الكريم كله قبل وفاة النبى ﷺ بوقت قليل .

٦- **الأجل :** آخر مدة الحياة .

٧- **فاتقى الله :** عند حلول الموت ، ولا تفعلى محرماً من النياحة وغيرهـا ، فإنـه نعم السلف أنا لك ، أى فإن ما يترتب من شرف كونى سلفاً وسابقاً يعدل ما قـد يبدوا من جزع الفراق وألم المصاب .

بيان الروايات الأخرى لهذا الحديث ، مع بيان بعض الروايات التى تبين فضائل السيدة فاطمة بنت رسول الله .

روى البخارى بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : " أقبلـت فاطمـة تمشى كأن مشيتها مشى النبى ﷺ . فقال النبى ﷺ : مرحبا بابنتى ، ثم أجلسها عـن يمينه أو عن شماله ، ثم أسر إليها حديثا فبكت ، فقلت لها : لم تبكين ؟ ثم أسر إليـها حديثا فضحكت ، فقلت : ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن، فسألتها عما قـال، فقالت : ما كنت لأفشى سر رسول الله ﷺ حتى قبض النبى ﷺ ، فسألتها فقـالت : أسر إلى أن جبريل كان يعارضنى القرآن كل سنة مرة ، وإنـه لعـارضنى العـام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلى ، وإنك أول أهل بيتى لحاقا بى فبكيت ، فقال : أمـا ترضين أن تكونى سيدة نساء العالمين ، أو نساء المؤمنين ؟ فضحكت لذلك "(١) .

وروى البخارى بسنده عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت " دعا النبى ﷺ فاطمة ابنته فى شكواه الذى قبض فيه ، فسارها بشىء فبكت ، ثم دعاها فسـارها فضحكـت ، قالت : فسألتها عن ذلك فقالت : سارنى النبى ﷺ فأخبرنى أنه يقبض فـى وجعـه

---

(١) عمدة القارى ، شرح صحيح البخارى ٢١٩/٢١٨/١٣ ط الحلبى .

الذى توفى فيه فبكيت ، ثم سارنى فأخبرنى أنى أول أهل بيته أتبعه فضحكت "[١] .

وروى البخارى بسنده عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال : " فاطمة بضعة منى ، فمن أغضبها أغضبنى " ، **وروى مسلم عن المسور بن مخرمة أنه سمع رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول :** " إن بنى هشام بن المغيرة استأذنونى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب فلا آذن لهم إلا أن يحب ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى ، وينكح ابنتهم فإنما ابنتى بضعة منى يريبنى ما رابها ، ويؤذينى ما آذاها " . **وروى مسلم بسنده عن المسور بن مخرمة :** " أن على بن أبى طالب خطب بنت أبى جهل وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبى ﷺ ، فقالت له : إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك ، وهذا على ناحكاً ابنة أبى جهل . قال المسور فقام النبى ﷺ فسمعته حين تشهد ثم قال : أما بعد فإنى أنحكت أبا العاص بن الربيع فحدثنى فصدقنى ، وإن فاطمة بنت محمد مضغة منى وإنما أكره أن يفتنوها ، وإنها والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبداً ، قال فترك على الخِطبة " .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

عن عائشة رضي الله عنها – سبقت ترجمتها – قالت : " كن " بضم الكاف وتشديد النون حرف أتى به لجماعة النسوة " أزواج النبى ﷺ عنده فأقبلت فاطمة رضي الله عنها تمشي" جملة حالية ، " ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله ﷺ شيئاً " يجوز أن تعرب الجملة حالاً من ضمير تمشى أو من فاعل أقبلت فتكون مترادفة ، ويجوز أن تكون جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً جواباً عن سؤال كيفية مشيتها .

(١) وكذا مسلم ٦/٦ ، ٥ ط الريان .

والمشية : بكسر الميم فى الموضعين لبيان الهيئة . " وشيئاً " منصوب على المفعول المطلق أى شيئاً من المشية أو المفعول به أى من الأحوال . " فلما رآها " أى أبصرها ، " رحب بها " أى بادرها بالترحيب ، وفسر ذلك بقوله ﷺ " قال : مرحباً بابنتى " ومعنى مرحباً بك أى نزلت مكاناً رحباً واسعاً بها " ثم أجلسها عن يمينه أو " شك الراوى " شماله " وأتى بثم لتراخى الإجلاس عن ابتداء وقوع النظر عليها حال إقبالها أو أنه استعيرت ثم مكان الفاء ، " ثم سارها " لعل ما أومت إليه "ثم" من التراخى نظراً إلى أنه ﷺ قدم قبل ذلك مؤانستها بأنواع من الكرم وشريف الكلام لئلا يتلقاها بذلك أول ما قدمت عليه وتشرفت بجلوسها بين يديه " سارها " أى أخفى الأمر مبالغاً فى إخفائه عن سواها ويؤيده كتمها له عن السيدة عائشة كما استفسرتها عنه " فبكت بكاء شديداً " ، كما فى ذلك من عظم المصاب وشدة الهول

وفى هذا المعنى قالت :

صُبتْ علىّ مصائبٌ لو أنها صُبت على الأيام صرن لياليا

فما " رأى " ﷺ " جزعها " بفتح أوله مصدر جزع الرجل من باب تعب إذا ضعف متنه عن حمل ما نزل به ولم يجد خبراً " سارها الثانية " يجوز إعرابه مفعولاً مطلقاً أو إعرابه ظرفاً خبراً لما لحقها جرياً على ما يبدوا من ألطاف المولى سبحانه وتعالى من تعقيب الكسر بالجبر والحزن بالفرح والعسر باليسر . " فضحكت فقلت لها " تسألها عما رأته من آثار الجزع " خصك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسرار ثم أنت تبكين " أى ما فى ذلك من تكرار السرار لك دون بقية نسائه ثم تبكين . والتخصيص يقتضى الشغل به عن سائر مقتضيات البكاء ، وهذا من السيدة عائشة ﵂ لكونها لم تعلم ما أسر به إليها وإلا فلو علمت ذلك لأسعفتها بالبكاء كما أسعف الصاحبان أم أيمن لما زاراها فذكرتهما بأيام المصطفى ﷺ " فلما قام رسول الله ﷺ " أى من ذلك المجلس " سألتها ما قال لك رسول الله ﷺ " يحتمل أن يكون

المسئول عنه الأول ويوفى إلى الأول عموم قول فاطمة ﷺ " قالت ما كنت لأفشى " بكسر اللام وهو لام الجحود .

والإفشاء الإظهار : أى ما كنت لأظهر سر رسول الله ﷺ أى سر كان " فلما توفى رسول الله ﷺ " وهو بعد ذلك بزمن " قلت : " أى عائشة " عزمت عليك بما لى " الباء للقسم الاستعطافى ، ويحتمل كونها للسببية " أى أقسمت عليك تخاطب بذلك السيدة فاطمة بما لى " عليك من الحق " إذ السيدة عائشة من أمهات المؤمنين وزوج المصطفى ﷺ وأحب النساء إليه بعد خديجة " وقول السيدة عائشة ﷺ " عزمت عليك " . **استعارة القسم :** أى أقسمت عليك " لما حدثتنى بما قال لك رسول الله ﷺ " اللام موذنة بالقسم وما مزيده لتأكيد . " فقالت " أى فاطمة " أما الآن " منصوب محلا بمحذوف ، أى أما إن سألتنى الآن وفتحة " الآن " فتحة بناء " فنعم ، أما " بفتح الهمزة وتشديد الميم " حين سارنى فى المرة الأولى فأخبرنى " الظرف منصوب بمقدر : أى بكائى وقت مساررته لى أولا " إن جبريل " اسم جبريل اسم سريانى فى معناه عبد الله وقيل عبد الرحمن " كان يعارضه القرآن " أى يراجع القرآن مع النبى ﷺ " فى كل سنة مرة " قيل إن النبى ﷺ كان يقرأ القرآن فيعيده بعينه جبريل ، ولعل ذلك ليجمع بين مرتين العرض والأخذ " فالعرض قراءة النبى ﷺ على جبريل ﷺ ، والأخذ " الأخذ " من فم جبريل ﷺ ، وهو ما يسمى بالسماع " ، والمراد بالقرآن ما اجتمع منه إلى حين تدراسهما فإنه لم يكمل إلا قبيل وفاته بنحو عشرين يوما " أو " شك من الراوى " مرتين " " وإنه " أى جبريل ﷺ عارض النبى ﷺ " الآن مرتين " هذا يبين أن المعول عليه أن المعارضة فى كل عام مرة واحدة ولذا لما تكررت أخذ منه قوله ﷺ " وإنى لا أرى " بضم الألف أى أظن " الأجل " آخر مدة الحياة " إلا اقترب " أى قرب والتاء فيه للمبالغة أى ذلك إشارة أو علامة لموتى وانتقالى إلى الرفيق الأعلى " فاتقى الله " عند

حلول ذلك بأن لا تفعلى محرماً من نياحة وشق جيب وغير ذلك ، مما يشعر بعـــدم الرضى والاعتراض على الأقدار " واصبرى " أتى به مع تناول ما قبله له اهتمامـــاً بشأنه فإنه واسطة عقد المأمور به حينئذ ، وذلك لغاية داعية الطبع إلى مـــا يـــترتب على الجزع غالباً من التبرم والتضجر ، **وقوله** " فإنه نعم السلف أنا لـــك " جملـــة مستأنفة كالتعليل لما قبلها : أى فإن ما يترتب على ذلك من شرف السلف لك يعـــدل ما قد يبدوا من جزع الفراق " فبكيت بكائى الذى رأيت " أى بكاء سالماً مـــن الإثـــم ومثله لا يمنع منه وإلا لنهاها عنه المصطفى ﷺ لأنه لا يقر على مَحَـــرم . " فلمـــا رأى جزعى " أى أثره من البكاء " سارنى الثانية فقال : يا فاطمة أما " أداة اســتفتاح أتى بها لتنبيه المخاطب على ما بعدها لعظم موقعه " ترضين أن تكونى سيدة نســـاء هذه الأمة " وهل مسل ثان لها عن عظيم ألم توقع فراقها لسيد الأحباب ، فلما كـــان ذلك المصاب أعظم مصاب ناسب أن يجارى الصابرون عليه بأعظم الثـــواب مـــن فضل الوهاب وفاطمة رضى الله عنها سيدة نساء أهل الجنة ، لأن الأمة الإســـلامية أفضل الأمم " فضحكت ضحكى الذى رأيت " أى الخالى عن البطر والتعالى ، وذلك أنه لكمال شرفها وطيب أصلها لم يغير توقع فقدها لسيد الأحباب استسلامها لربـــها ، وإنما جزع قلبها ودمعت عيناها مع الصبر على مراد مولاها سبحانه وتعالى ، فـــهو نظير ما ورد عن قوله ﷺ يوم مات إبراهيم : " العين تدمع والقلب يحزن ولا نقـول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون " ولا لحقها أشـــر ولا بطـــر إذ بشرت بما بشرت به لكمال يقينها وفريد تمكينها بل كان لسان حالها حاله ﷺ " أنـــا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر " .

إذاً فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- جواز مساررة الواحد بحضرة الجماعة ، وليس ذلك من نهيه عن مناجاة الاثنين دون الواحد ، لأن المعنى الذى يخاف من ترك الواحـــد لا يخـــاف مـــن تـــرك

الجماعة ، وذلك أن الواحد إذا تسار مع غيره بدونه وقع فى نفسه أنهما يتكلمان فيه بالسوء ، ولا يتفق ذلك مع الجماعة .

٢- لا ينبغى إفشاء السر إذا كانت فيه مضرة على المسر ، لأن السيدة فاطمة رضى الله عنها لو أخبرت بما أسر إليها النبى ﷺ فى ذلك الوقت " أقصد فى مرض موته من قرب أجله " لحزنت نساؤه بذلك حزنا شديدا . وكذلك لو أخبرتهن بأنها سيدة نساء المؤمنين لعظم ذلك عليهن واشتد حزنهن ، ولما أمنت السيدة فاطمة بعد موت النبى ﷺ أخبرت بذلك .

٣- جواز البكاء الخالى من الإثم ووجوب أمر الأهل بالمعروف .

٨ـ الوفاء بالعهد

نص الحديث الأول

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : " أربع من كن فيه منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر "(١) .

نص الحديث الثانى

وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان "(٢) .

التعريف بالصحابى :

هو: عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم ابن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب ، يكنى أبو محمد أو عبد الرحمن أو أبو نصير القرشى السهمى الزاهد العابد الصحابى ابن الصحابى ، وأمه ريطة بنت منبه بن الحجاج، أسلم قبل أبيه، وكان بينه وبين أبيه فى السن اثنتى عشرة سنة،

(١ ، ٢) أخرجه البخارى ، " كتاب الإيمان " ، " باب علامة المنافق " ، ١/٨٩ .

وقيل إحدى عشرة ، وكن غزير العلم مجتهدا فى العبادة ، وكان اكثر حديثا من أبـى هريرة لأنه كان يكتب وأبو هريرة لا يكتب ، ومع ذلك فالذى روى له قليل بالنسـبة إلى ما روى لأبى هريرة .

روى له سبعمائة حديث ، اتفق البخارى ومسلم على سبعة عشـر ، وانفـرد البخارى بثمانية ، ومسلم بعشرين ، مات بمكة أو بالطائف أو بمصر فى ذى الحجـة من سنة خمس أو ثلاث أو سبع وستين عن اثنتين وسبعين سنة[١] .

" بيان لغات الحديث ومفرداته "

١- **لفظ المنافق** : من النفاق وزعم ابن سيده إنه الدخول فى الإسـلام مـن وجـه والخروج عنه من وجه آخر ، وهو مشتق من نافقاء الـيربوع ، فـإن إحـدى جحريه يقال له النافقاء وهو موضع يرققه بحيث إذا ضرب رأسه عليها ينشـق وهو يكتمها ويظهر غيرها ، فإذا أتى الصائد إليه من قبـل القاصعـاء ، وهـو جحره الظاهر الذى يقصع فيه : أى يدخل ، ضرب النافقاء برأسه فـانتفق : أى خرج فكما أن اليربوع يكتم النافقاء ويظهر القاصعاء ، كذلك المنافق يكتم الكفر ، ويظهر الإيمان ، أو يدخل فى الشرع من باب ويخرج من آخر ويناسبه من وجه آخر ، وهو أن النافقاء ظاهره يرى كالأرض وباطنه الحفرة فيها فكذا المنافق .

وقال القزاز : يقال نافق اليربوع ينافق فهو منافق : إذا فعل ذلك ، وكذلك نفق ينفق فهو منافق من هذا .

وقيل المنافق مأخوذ من النفق : وهو السرب تحت الأرض ، يراد به أنـه يستتر بالإسلام كما يستتر صاحب النفق فيه وجمع النفق أنفـاق ، والحـاصل : أن المنافق هو المظهر لما يبطن خلافه .

---

(١) أنظر : • تهذيب الكمال ، ١٥/٣٥٧ . • تهذيب التهذيب ، ٥/٢٩٨ .

أما المنافق في الاصطلاح : هو الذى يظهر الإسلام ويبطن الكفر . فإن كان فى اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر ، وإلا فهو نفاق العمل ويدخل فيـــه الفعـــل والـــترك وتتفاوت مراتبه ، وهذا التفسير للمنافق هو تفسير الزنديـــق اليـــوم ، **ولـــهذا قـــال القرطبى :** إن النفاق على عهد رسول الله ﷺ هو الزندقة عندنا اليوم .

فإن قيل : المنافق من باب المفاعلة وأصلها أن تكون لاثنين أجيب بأن ما جاء على هذا عندهم لأنه بمنزلة خادع وراوغ ، وقيل بل لأنه يقابل بقبول الإسلام منـــه ، فإن علم أنه منافق فقد صار الفعل من اثنين ، وسمى الثـــانى باســـم الأول مجـــازا للازدواج كقوله تعالى " **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه** " .

واعلم : أن حقيقة النفاق لا تعلم إلا بتقسيم نذكره وهو أن أحوال القلب أربعة :

١- الاعتقاد المطلق عن الدليل وهو العلم .

٢- الاعتقاد المطلق لا عن الدليل وهو اعتقاد المقلد .

٣- الاعتقاد الغير المطابق وهو الجهل .

٤- خلو القلب عن ذلك ، فهذه أربعة أقسام .

وأما أحوال اللسان فثلاثة :

١- الإقرار .

٢- الإنكار .

٣- السكوت ، **فيحصل من ذلك اثنا عشر قسما وهما كالآتى :**

الأول : ما إذا حصل العرفان بالقلب والإقرار باللسان ، فـــهذا الإقـــرار إن كـــان اختياريا فصاحبه مؤمن حقا ، وإن كان اضطراريا فهو كافر فى الظاهر .

الثانى : أن يحصل العرفان القلبى والإنكار اللسانى، فهذا الإنكار إن كان اضطراريا فصاحبه مسلم ، وإن كان اختياريا كان كافرا معاندا .

الثالث : أن يحصل العرفان القلبى ويكون اللسان خاليا عن الإنكار والإقرار ، فهذا السكوت إما أن يكون اضطراريا أو اختياريا ، فإن كان اضطراريا فهو مسلم حقا ، ومنه ما إذا عرف الله تعالى بدليله ، ثم إنه لم يأت بالإقرار ، **فقال الغزالى : إنه مؤمن .**

الرابع : اعتقاد المقلد لا يخلو معه الإقرار أو الإنكار أو السكوت ، فإن كان معه الإقرار وكان اختياريا فهو إيمان المقلد ، وهو صحيح خلافا للبعض ، وإن كان اضطراريا فهذا يفرع على الصورة الأولى ، فإن حكمنا هناك بالإيمان وجب أن نحكم هاهنا بالنفاق ، **وهو القسم الخامس .**

السادس : أن يكون معه السكوت فحكمه حكم القسم الثالث اضطراريا أو اختياريا .

السابع : الإنكار القلبى ، فإما أن يوجد معه الإقرار أو الإنكار أو السكوت فإن كان معه الإقرار فإن كان اضطراريا فهو منافق ، وإن كان اختياريا فهو كفر الجحود والعناد ، وهو أيضا قسم من النفاق **وهو القسم الثامن .**

التاسع : أن يوجد الإنكار باللسان مع الإنكار القلبى ، فهذا كافر .

العاشر : القلبى الخالى ، فإن كان معه الإقرار ، فإن كان اختياريا يخرج من الكفر ، وإن كان اضطراريا لم يكفر .

الحادى عشر : القلبى الخالى مع الإنكار باللسان ، فحكمه على العكس مع حكم القسم العاشر .

الثانى عشر : القلب الخالى مع اللسان الخالى ، فهذا إن كان فى مهلة النظر فذاك هو الواجب ، وإن كان خارجا عن مهلة النظر وجب تكفيره ، ولا يحكم بالنفاق البتة ، وقد ظهر من هذا أن النفاق الذى لا يطابق ظاهره باطنه .

٢- **خالصا** : من خلص الشيء يخلص من باب نصر ينصر ، ومصـــدره خلوصــا وخالصة . **والخـــالص** : الأبيــض مـــن الألـــوان ، وخلــص الشـــيء إليـــه خلوصا : وصل .

٣- **خصلة** : أى خله .

٤- **حتى يدعها** : أى يتركها قالوا أميتَ ماضى " يدع " ولكن قد استعمل ماضيه فى قراءة من قرأ " ما ودعك ربك " بالتخفيف .

٥- **إذا أؤتمن** : على صيغة المجهول من الائتمان ، وهو جعل الشخص أمينا ، وفى بعض الروايات " أوْتمن " بتشديد التاء ، وهو بقلب الهمزة الثانيـــة منـــه واوا وإبدال الواو ياء ، وإدغام الياء فى التاء .

٦- **خان** : من الخيانة وهو التصرف فى الأمانة على خلاف الشرع ، **وقـــال ابـــن سيده** : هو أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح . **يقال** : خانه خونا وخيانـــة ومخانـــة واختتانة . **ويقال** : رجل خائن وخائنة وخون وخوان وجمع الكلمة خانة وخونـه وخوان ، وقد خانه العهد والأمانة . **قال الأزهرى** : رجل خائنة : إذا بولغ فـــى وصفه بالخيانة ، وأصل الخيانة من النقص .

٧- **كذب** : الكذب : هو الإخبار على خلاف الواقع ، **وقيل** : الكذب هو الانصـــراف عن الحق ، **وقيل** : الكذب بالشيء على خلاف ما هو بـــه . **وفـــى المحكـــم** : الكذب نقيض الصدق ، كذب يكذب كذبا وكذبة وكذابا ، ورجل كاذب وكـــذاب وتكذيب وكذوب وكذوبة وكذبان .

ويقال للأنثى : كاذبة وكذابة وكذوب . وكذب الرجل : أخبر بالكذب ، والكذب جمع كاذب مثل راكع وركع . **ويقال** : كذب كذابا : أى متناهيا فى الكـــذب ، وقـــد قرأى عمر بن عبد العزيز " وكذّبوا بآياتنا كذابا " .

٨- **عاهد** : من المعاهدة ، وهى المخالفة والموافقة .

٩- غدر : من الغدر وهو ترك الوفاء . **قال الجوهرى** : غدر به فهو غادر ، وأكثر ما يستعمل هذا فى النداء بالشتم . **قال فى المجمل** : الغدر نقض العهد وتركه ، **ويقال** : أصله من الغدير وهو الماء الذى يغادره السيل : أى يتركـــه . **يقـــال** غادرت الشىء : إذا تركته فكأنك تركت ما بينك وبينه من العهد .

١٠- **خاصم** : من المخاصمة وهى المجادلة .

١١- **فجر** : من الفجور ، وهو الميل عن القصد والشق . **ويقال فجر** : مـــال عـــن الحق ، وقال الباطل ، أو شق الديانة .

" بيان الإعراب والمعانى "

قوله " أربع " مبتدأ بتقدير أربع خصال أو خصال أربع ، لأن النكرة الصرفـــة لا تقع مبتدأ . **وخبره قوله** " من كن فيه "، فيقول من موصلة متضمنة معنى الشرط، **وقوله** " كن فيه " صلتها ، **وقوله** " كان منافقا " خبر للمبتدأ الثانى : أعنى **قوله "من"** والجملة خبر المبتدأ الأول كما ذكرنا . **وقال الكرمانى** : يحتمل أن تكون الشـــرطية صفة ، يعنى صفة أربع ، " وإذا أؤتمن خان " خبره بتقدير أربع كذا هى الخيانة عند الائتمان إلى آخره .

قوله " منافقا " خبر كان ، وخالصا صفته ، **وقوله** " من " مبتـــدأ موصولـــة ، **وقوله** " كانت فيه خصلة " جملة صلة لها، **وقوله** " كانت فيه خصلة " خبر المبتـــدأ، والضمير منهن يرجع إلى الأربع .

قوله " حتى " للغاية و " يدعها " منصوب بأن المقدرة ، أى حتى أن يدعـــها ، **قوله** " إذا أؤتمن خان " إذا للظرف فيه معنى الشرط ، **وقولـــه** " خـــان " جوابـــه ، والباقى كذلك وهو ظاهر .

" بيان المعانى البلاغية فى الحديث "

أ- **فيه ذكر إذا فى الجمل الأربع الدالة على تحقق الوقوع** تنبيها على أن هذه عادة المنافق ، وكذلك حذف المفاعيل الأربعة تنبيها على العموم .

ب- **وفيه عطف الخاص على العام** ، لأن الوعد نوع من التحديث ، وكان داخلا فى قوله " إذا حدث " ، ولكنه أفرده بالذكر معطوفا تنبيها على زيادة قبحه على سبيل الإدعاء ، كما فى عطف جبريل عليه السلام على الملائكة مع كونه داخلا فيهم تنبيها على زيادة شرفه ، وذلك كقوله تعالى " وإن تظاهروا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير "(١) .

جـ- **وفيه الحصر بالعدد فإن قلت** : يعارضه الحديث الآخر الذى فيه لفظ " ثلاث من كن فيه " .

نقول : لا يعارضه لأن معنى قوله " وإذا عاهد غدر " ، معنى قوله " وإذا أؤتمن خان " لأن الغدر خيانة فيما أؤتمن عليه من عهده .

قال **النووى** : لا منافاة بين الروايتين من أربع خصال كما فى الحديث الذى معنا أو من ثلاث خصال كما فى الحديث الآخر ، لأن الشىء الواحد قد يكون له علامات كل واحدة منها يحصل بها صفة ، ثم قد تكون تلك العلامة شيئا واحدا وقد تكون أشياء . وروى أبو إمامة موقوفا " وإذا غنم غل ، وإذا أمر عصى ، وإذا لقى جبن " . **قال الطيبى** : لا منافاة لأن الشىء الواحد قد يكون له علامات ، فتارة يذكر بعضها وأخرى جميعها أو أكثرها . **وقال القرطبى** : يحتمل أن النبى ﷺ استجد له من العلم بخصالهم ما لم يكن عنده ، ولكن الأولى أن يقال : إن التخصص بالعدد لا يدل على الزائد والناقص .

---

(١) سورة التحريم ، الآية {٤} .

" بيان استنباط الأحكام "

نستنبط من هذه العلامات الأربعة صفة المنافق ، ووجه الانحصار عليها هـــو التنبيه على فساد القول والفعل والنية **فبقوله** " إذا حدث كذب " نبه على فساد القول ، **وبقوله** " إذا أؤتمن خان " نبه على فساد الفعل ، **وقوله** " إذا عاهد غـــدر " و " وإذا خصام فجر " أيضا نبه على فساد الفعل وفساد النية . **قال العلماء** : يستحب الوفـــاء بالوعد بالهبة وغيرها استحبابا مؤكدا ، ويكره خلافه كراهـــة تنزيـــه لا تحريـــم ، ويستحب أن يعقب الوعد بالمشيئة ليخرج عن صورة الكذب ، ويســـتحب إخـــلاف الوعيد إذا كان التوعد به جائزا ولا يترتب على تركه مفسدة . **واعلم أن عددا مـــن العلماء** عدوا هذا الحديث من المشكلات من حيث أن هذه الخصال قد توجـــد فـــى المسلم المصدق بقلبه ولسانه مع أن الإجماع حاصل علـــى أنـــه لا يحكـــم بكفـــره ولا بنفاق يجعله فى الدرك الأسفل من النار ؟ **ونجيب على هذا الإشكال بالآتى :**

الأول : ما قاله النووى : ليس فى الحديث إشكال ، إذ معناه أن هذه الخصال نفـــاق وصاحبها شبيه للمنافق فى هذه ومتخلق بأخلاقهم ، إذ النفاق إظهار ما يبطن خلافه وهو موجود فى صاحب هذه الخصال ، ويكون نفاقه خاصا فى حـــق من حدثه ووعده وائتمنه لا أنه منافق فى الإسلام مبطن للكفر .

الثانى : ما قاله بعضهم : هذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه ، وأما من نـــدر ذلك منه فليس داخلا فيه .

الثالث : ما قاله الخطابى : هذا القول من النبى ﷺ تحذير من اعتاد هذه الخصـــال خوفا أن يفضى به إلى النفاق دون من وقعت نادرة منه من غـــير اختيـــار أو اعتياد ، وقد جاء فى الحديث " التاجر فاجر ، وأكثر منافقى أمتى قراؤها " ومعناه التحذير من الكذب إذ هو فى معنى الفجور ، فلا يجب أن يكـــون

التجار كلهم فجار ، والقراء قد يكون من بعضهم قلة إخلاص للعمل وبعض الرياء ، وهو لا يوجب أن يكون كلهم منافقين .

والنفاق ضربان : أحدهما : أن يظهر صاحبه الدين وهو مبطـــن للكفـــر ، وعليه كانوا فى عهد رسول الله ﷺ ، **والثانى** : ترك المحافظة على أمـــور الديـــن سرا ومراعاتها علنا وهذا أيضا يسمى كما جاء " سباب المؤمن فسوق وقتاله كفـــر " وإنما هو كفر دون كفر وفسق دون فسق ، كذلك هو نفاق دون نفاق .

الرابع : وقيل ورد الحديث فى رجل بعينه منافق وكان رسول الله ﷺ لا يواجهـــهم بصريح القول فيقول فلان منافق بل يشير إشارة كقوله عليه الصلاة والسلام " ما بال أقوام يفعلون كذا " فها هنا إشارة بالآية إليه حتـــى يعـــرف ذلـــك الشخص بها .

الخامس : المراد به المنافقون الذين كانوا فى زمن رسول الله ﷺ حدثوا بأنهم آمنوا فكذبوا وأؤتمنوا على دينهم فخانوا ووعدوه فى نصرة الدين فأخلفوا .

قال القاضى عياض : وإليه مال كثير من أئمتنا وهو قول عطاء بن أبى ربـــاح فى تفسير الحديث وإليه رجع الحسن البصرى ، وهو مذهب ابن عمر وابن عبـــاس وسعيد بن جبير ﷺ ورووا فى ذلك حديثا ، **يروى أن رجلا قال لعطـــاء** : ســـمعت سمعت الحسن يقول : من كان فيه ثلاث خصال لم أتحرج أن أقول إنه منافق : مـــن إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان . **فقال عطاء** : إذا رجعت إلـــى الحسن فقل له إن عطاء يقرؤك السلام ويقول لك : اذكر أخوة يوسف عليه السلام ، واعلـــم أنه لن يخلق أهل الإسلام أن يكون فيهم الخيانة ، والخلف نحن نرجو أن يعيذهـــم الله من النفاق ، وما استقر اسم النفاق قط إلا فى قلب جاحد ، وقد قـــال الله فـــى حـــق المنافقين – ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا – فذكر زوال الإسلام عن قلوبـــهم ، ونحـــن

نرجوا أن لا يزول عن قلوب المؤمنين ، **فأخبر الحسن فقال** : جزاك الله خيرا ، **ثـم قال لأصحابه** : إذا سمعتم منى حديثا فحدثتم به العلماء فما كان غير صواب فـردوا على جوابه . **وروى أن سعيد بن جبير أهمه هذا الحديـث ، فسـأل ابـن عمـرو ابن عباس** رضي الله عنهما **فقالا** : أهمنا من ذلك يا ابن أخى مثل الذى أهمك، فسألنا رسـول الله ﷺ ، **فضحك النبى** ﷺ **وقال** : مالكم ولهن ؟ إنما خصصت به المنافقين أما قولى : إذا حدث كذب فذلك فيما أنزل الله تعالى على – إذا جاءك المنافقون – الآية ، أفـأنتم كذلك ؟ **قلنا** : لا . **قال** : فلا عليكم أنتم من ذلك براء . وأما قولى إذا وعد أخلـف فذلك قوله تعالى " ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقـن ... " الآيـات الثلاث ، أفأنتم كذلك ؟ **قلنا** : لا . **قال** : لا عليكم أنتم من ذلك براء ، وأما قولى "إذا أؤتمن خان" فذلك فيما أنزل الله تعالى على " إنا عرضنا الأمانـة علـى السـماوات والأرض والجبال ... " الآية ، فكل إنسان مؤتمن على دينه يغتسـل مـن الجنابـة ويصلى ويصوم فى السر والعلانية ، والمنافق لا يفعل ذلك إلا علانية ، أفأنتم كذلك؟ **قلنا** : لا . **قال** : لا عليكم أنتم من ذلك براء .

السادس : **ما قاله حذيفة بن اليمان** : ذهب النفاق ، وإنما كان النفاق علـى عـهد رسول الله ﷺ ولكنه الكفر بعد الإيمان فإن الإسلام شاع وتوالـد النـاس عليه فمن نافق بأن أظهر الإسلام وأبطن خلافه فهو مرتد .

السابع : إن المراد التشبيه بأحوال المنافقين فى هذه الخصال فى إظهار خلاف مـا يبطنون لا فى نفاق الإسلام العام ، ويكون نفاقه على من حدثهم ووعدهـم وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس .

الثامن : إن المراد بالنفاق نفاق العمل ، لأنه وصف بالخلوص فى هذه الصفات فقط لا فى غيرها لأن الخلوص بهذه المعانى لا يستلزم الكفر الملقى فى الـدرك

الأسفل من النار ، وأما كونه خالصا فيه فلأن الخصال التى تتم المخالفة بين السر والعلن لا تزد عليه .

٩- القناعة والعفاف

التعريف بالعنوان :

القناعة : الرضا بالقسم . والعفاف والاقتصاد : انفعال من القصد ، وهو ما بين الإسراف والتقتير ، " فى المعيشة والإنفاق " إخراج المال الطيب فى الطاعة والمباحات أى التوسط فيها كما قال تعالى " ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ... "[١] .

نص الحديث

عن أبى هريرة ﷺ قال : قال النبى ﷺ : " ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس " متفق عليه[٢] . **المقصود بالعرض : المال .**

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

يخبرنا رسول الله ﷺ فى هذا الحديث عن الغنى الممدوح والمذموم . **فيقول :** ما معناه : ليس الغنى أى الممدوح فى الشرع المرضى عند الله سبحانه المعد لثواب الآخرة أو النافع أو العظيم هو الذى يكون عن كثرة المال ، " ولكن " أتى بهاﷺ للاستدراك لدفع توهم كثرة العرض ينافى المحمود فدفعه بقوله " ولكن الغنى غنى النفس " .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية رقم {٢٩} .

(٢) أخرجه البخارى ، " كتاب الرقاق " ، " باب الغنى غنى النفس " ، ٢٧١/١١ ، وأخرجه مسلم ، " كتاب الزكاة " ، ٧٢٦/٢ عن أبى هريرة .

ليس حقيقة الغنى كثرة المال ، فيكثر من الموسع عليه فيه ولا ينتفع بما أوتى جاهدا فى الازدياد لا يبالى من أين يأتيه ، فكأنه فقير من شدة حرصه ، وإنما حقيقة الغنى غنى النفس ، وهو من استغنى بما أوتى وقنع به ورضى ولم يحرص على الازدياد ولا ألح فى الطلب ، وإنما كان الممدوح غنى النفس ، لأنها حينئذ تكف عن المطامع فتعز وتعظم ويحصل لها من الحظوة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذى يناله مع كونه فقير النفس لحرصه فإنه يورطه فى رذائل الأمور وخسائس الأفعال لدناءة همته وبخله وحرصه ، فيكثر من يذمه من الناس فيصغر قدره عندهم فيصير أحقر من كل حقير وأذل من كل ذليل .

والحاصل : أن المتصف بغنى النفس يكون قانعا بما قسم الله له لا يحرص على الازدياد لغير حاجة ولا يلح فى الطلب بل يرضى بما قسمه له فكأنه واجدا أبدا والمتصف بفقر النفس على ضد منه ثم غنى النفس إنما ينشأ عن الرضا بقضاء الله والتسليم لأمره ، علما بأن الله سبحانه وتعالى خير وأبقى ، وإنما يحصل غنى النفس بغنى القلب ، بأن يفتقر إلى ربه فى جميع أموره فيتحقق أنه المعطى المانع فيرضى بقضائه ويشكره على نعمائه فينشأ عن افتقار القلب لربه غنى النفس عن غير ربه والغنى الوارد فى قوله تعالى " **ووجدك عائلا فأغنى** "(١) ينزل على غنى النفس فإن الآية مكية ، ولا يخفى ما كان فيه النبى ﷺ قبل أن يفتح الله عليه خيبر وغيرها من قلة المال .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

الحث على الرضا بما قسم الله تعالى ، وعدم الحرص على الازدياد لغير حاجة ، لتطلع فى أيدى الآخرين .

---

(١) سورة الضحى .

١٠- الحث على الأكل من عمل اليد

التعريف بالعنوان :

الحث : هو التحريض على الأكل من عمل يده بـــالاحتراف والاكتســـاب مـــع التعفف بالاكتساب عن السؤال والتعرض أى التطلب للإعطاء ، قال تعـــالى " **فـــإذا قضيت الصلاة** " أى صلاة الجمعة " **فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضـــل الله** "(١) أى رزقه .

نص الحديث

عن أبى عبد الله الزبير بن العوام ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " لأن يـــأخذ أحدكم أُحبُلَهُ ، ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فكيـــف الله بها وجهه خيرٌ له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه "(٢) .

المفردات :

١- **أُحبُلَهُ :** جمع حبل .

٢- **فكيف الله بها وجهه :** يغنيه بثمنها عن سؤال الناس والتعبير بالوجه لأن السؤال يكون به وهو أشرف جزء بالإنسان .

٣- **منعوه :** ردوه ولم يعطوه .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

قال ﷺ مؤكداً للشىء المقطوع بصدقه بالقسم المقدر المؤذن به ، وهى الـــلام من قوله ﷺ " لأن يأخذ أحدكم " أى والله لأخذ أحد منكم " أحبلـــه " بفتـــح أولـــه ،

---

(١) سورة الجمعة .

(٢) أخرجه البخارى ، " كتاب الزكاة " ،: باب الاستعفاف عن المسألة " ، ٣/٣٣٥ .

وسكون الحاء ، وضم الباء ، جمع لحبل " ثم يأتى الجبل " أى مثـــلاً فيعــبره مــن المفازات محال الحطب ، كذلك ولعل التصريح به لما فى الصعود فيه مـــن زيـــادة المشقة على سلوك الأدوية " فيأتى بحزمة من حطب على ظهره " من نفسه أو مـــن ظهر دابته والأول أنسب لما قبله " فيبيعها فكيف الله بها وجهه " أى فيمنع الله بـــها ذاته من الحاجة ، وعبر بالوجه عن الكل لأنه أشرف الأجـــزاء الإنســـانية ، أو لأن السؤال إنما يكون غالباً " خير له من أن يسأل الناس " .

قال الحافظ ابن حجر فى كتابه فتح البارى : خير ليس للتفضيل إذ لا خير فى السؤال مع القدرة على الكسب بل الأصح حرمته ويحتمل أنه كذلك بحسب اعتقـــاد السائل وتسميته الذى يعطاه خيراً ، وهو فى الحقيقة " شر أعطوه أو منعوه " تقســيم للسؤال المفضل عليه للاكتساب وتصدير الحديث بالقسم الدالة عليه اللام لتأكيده فـــى نفس السامع ، وفيه مزيد الحض عن التعفف عن المسألة والتنزه عنها ولـــو امتـــهن المرء نفسه فى طلب الرزق ، وارتكب المشاق فى ذلك ، ولولا قبح المسألة فى نظر الشرع لما فضل عليها ذلك لما يدخل على السائل من ذل السؤال ومن الرد إذا لـــم يعط ، ولما يدخل على المسئول من ضيق من ماله إذا أعطى كل سائل .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- الحث على العمل لتحصيل الرزق ولو امتهن المكلف حرفة بسيطة وحقيرة فـــى نظر الناس .

٢- ضرورة الاعتماد على النفس فى قضاء شئون الحياة ، وأن لا يذل الإنسان نفسه إلى غيره ، وهى التربية الاستقلالية التى تبعث فى النفس العمل والنشـــاط ، وألا يركنوا إلى الكسل والاستجداء فالإسلام دين الحياة والعمل لصالح الدنيا والآخرة.

٣- إجهاد النفس فى تحصيل الرزق الحلال .

١١- الكرم والجود والإنفاق

التعريف بالعنوان :

الجود : هــو الكــرم . **قال القاضى عياض فى كتابه الشفاء :** الكرم والجود والسخاء والسماحة معانيها متقاربة وفرق بعضهم بينها فجعل الكرم : الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وهو ضد النذالة .

نص الحديث

عــن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يُرَبِّيّ أحدكم فَلُوَّهُ حتى تكون مثل الجبل "(١) متفق عليه .

المفردات :

١- **بعدل :** بفتح العين أى بقيمتها .

٢- **من كسب طيب :** أى حلال خال من الغش والخديعة .

٣- **ولا يقبل الله إلا الطيب :** جملة معترضة .

٤- **يقبلها بيمينه :** كناية عن قبول الصدقة .

٥- **فَلُــوَّهُ :** بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو ، وهو المهر لأنه يفلى أن يفطن ، وقيل : هو كل فطين من ذات حافر ، والجمع أفلاء ، كعدو وأعداء .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

أخبــر الرسول ﷺ فى هذا الحديث أن من تصدق بقيمة تمرة " وهو المقصود بعدل " لأنها بالفتح المثل وبالكسر الحمل – من كسب طيب أى حلال خال من الغش والخديعــة ، **وقــوله** " ولا يقبل الله إلا الطيب " جملة معترضة بين الشرط والجزاء

(١) أخرجه البخارى ، " كتاب الزكاة " ، " باب لا يقبل الله صدقة من غلول " ، ٣/٢٧٨ .

لتقريــر ما قبله . **قال القرطبى :** وإنما لم يقبل الله الصدقة بالحرام لأنه غير مملوك للمتصـــدق وهو ممنوع من التصرف فيه ، والتصدق به تصرف فيه فلو قبل لزم أن يكون الشيء مأموراً ومنهياً من وجه واحد وهو محال .

" فإن الله يقبلها بيمينه " أى يتلقاها الرحمن بيده كما ورد فى مسند البزار " ثم يـــربيها " والظاهـــر أن المراد بعظمها أن عينها تعظم لتثقل فى الميزان ويحتمل أن يكـــون ذلـــك معبـــراً به عن ثوابها . وهذا الحديث إنما عبر به على ما اعتادوا فى خطابهم ليفهموا عنه فكنى عن قبول الصدقة باليمين وعن تضعيف أجرها بالتربية .

وقد فسر العلماء ذلك عدة تفسيرات :

١- لمـــا كـــان الشـــيء الـــذى يرتضى يتلقى باليمين ويؤخذ ، استعمل فى مثل هذا واســـتعير اليمين للقبول وليس به المراد الجارحه ، وقيل عبر باليمين عن جهة القـــبول إذ الشمال بضده ، وقيل المراد باليمين الدافع إليه الصدقة وإضافتها إلى الله تعالى إضافة ملك واختصاص لوضع هذه الصدقة فى يمين الآخذ الله تعالى .

٢- الكناية عن التراض والقبول بالتلقى باليمين لتثبيت المعانى المعقولة فى الأذهان وتحقـــيقها فى النفوس تحقيق المحسوسات أى لا تشكك فى القبول كما لا يتشكك مـــن عاين التلقى الشيء باليمين لا أن التناول كالتناول المعهود ، ولكن التناول يتناسب مع ذاته سبحانه وتعالى وتنزهه عما لا يليق بجلاله .

والفلـــوّ فـــيه لغتان أفصحهما وأشهرهما بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو ، وثانـــيهما أشـــار إليه بقوله أى المصنف ، ويقال بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو وهو المُهر " الفرس " .

قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى : هو كل فطيم من ذات حافر وضرب به المـــثل لأنـــه يـــزيد زيادة بينه ولأن الصدقة نتاج العمل وأحوج ما يكون النتاج إلى التـــربية إذا كـــان فطيماً ، وإذا أحسن العناية به انتهى إلى حد الكمال ، وكذا عمل

ابـــن آدم لا ســـيما لصدقة فإن العبد إذا تصدق من كسب طيب لا يزال الله يكسبها الكمال حتى تنتهى بالتضعيف إلى نصاب تقع المناسبة بينه وبين ما قدم نسبه ما بين التمرة إلى الجبل .

إذاً فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- لا يقـــبل الله الصـــدقة إلا من الحلال الطيب ، لأن المتصدق بالحرام لا يملكه ، وهو ممنوع من التصرف فيه .

٢- إذا تصـــدق المســـلم من كسب طيب ، فإن الله تعالى يكسبها الكمال حتى تنتهى بالتضعيف إلى أن تصبح مثل الجبل .

٣- الله منزه عن متشابهة المخلوقات .

هذه بعض الموضوعات الإسلامية التى تطرقنا إليها فى هذا الكتاب ، وسوف أقـــوم بصياغة جديدة تكملة له فى المستقبل القريب ليكون نبراساً للشباب يستفيدون مـــنه فى حياتهم خاصة فى أوقات الفراغ ، وتكون بها وفيها الأجر والثواب أو إنها على الأقل من اللهو البرىء الذى لا يحاسب عليه الإسلام ولا يعاتب فيه .

وإلى اللقاء فى الجزء الثانى •

هذا وبالله التوفيق

المؤلف ،،

التعريف بالمؤلف

١- هو /عبد الله عبد العليم محمد على فرج الصبان .

٢- من مواليد قرية دبيج فى ٢٢- ٣- ١٩٦٢م - مركز ديرب نجم محافظة الشرقية . مصر .

٣- ينتمى إلى أسرة الصبان المشهورة بالعلم والأدب قديما وحديثا والمنتشرون فى ربوع مصر والمملكة العربية السعودية واليمن وسوريا وتونس والمغرب .

٤- الأول فى ترتيبه على زملائه فى مرحلة الإبتدائية .

٥- حول مساره التعليمى إلى الأزهر الشريف وكان ترتيبه الأول دائما على زملائه فى مراحل الدراسة فضلا عن نشاطه فى مجال الدعوة وهوفى سن مبكر جعله مثار إعجاب الناس فى بلده ومركز(ديرب نجم)على وجه الخصوص كما أنه كان رائدا لفصله منذ الصف الأول الابتدائى ورئيسا لاتحاد طلاب المدرسة وكذا كان الحال فى المعهدالأزهرى عندما غير مساره إلى أن تركه للدراسة فى الجامعة .

٦-اختار كلية أصول الدين من بين كليات الجامعة لما يهدف إليه من خدمة الدعوة ووجد أن الأمر لايتم إلا بمعرفة ما يحكم على الدين كله ألا وهو دراسة الحديث النبوى الشريف وعلومه حيث إن الأئمة جميعا دون استثناء هم من المحدثين ولا يتم أمر الدعوة إلا بمعرفة فكر صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم فتخصص فى الحديث والتفسير وكان ترتيبه الأول على كلية أصول الدين بالمنصورة عام ١٩٨٤ م - ١٩٨٥ م فى هذا التخصص.

وكان من إعجاب أساتذته به فى الكلية أن لايبقى مع الطلاب بعد انتهاء المحاضرات بل يكون معهم فى مكاتبهم محاورا ومناقشا، وكانوا يزورونه فى

بيته بل وقد يفاجأ بأن أحدهم قد سبق فزف بشرى نجاحه لأبويه فى المنزل قبل مجيئه من الكلية ، بل وفى الصيف يشتاقون لتلميذهم ومحاورهم فيأتون للقرية لزيارته مما كان أيضا مثار إعجاب أهل بلده وفرحهم بابن قريتهم النجيب ٠

٧-قام بأداء الواجب العسكرى ضابطا احتياطيا بسلاح الإشارة ولم يكمل المدة العسكرية نظرا لتعينه معيدا ٠

١- تم تعينه معيدا بقسم الحديث بكلية أصول الدين جامعة الأزهر فرع الزقازيق وكان استلام العمل فى ٦-٤- ١٩٨٧ م ٠ بقسم الحديث الشريف وعلومه ٠

٢- فى شهر ١١-١٩٨٧ م حصل على السنة الأولى بالدراسات العليا ٠

٣- فى شهر ٨- ١٩٨٨م حصل على السنة الثانية للدراسات العليا من كلية أصول الدين بالقاهرة ٠

٤- ناقش رسالة التخصص(الماجستير) فى (الجزء السادس من مسند أنس بن مالك من كتاب المسند للإمام أحمد بن حنبل (ضبط أحاديثه وتخريجها وبيان درجة إسناد كل منها والتعليق عليها عند الحاجة) وكان المشرف عليها هو الأستاذ الدكتور / عزت على عيد عطية وكيل كيلة أصول الدين بالقاهرة وكانت المناقشة فى مدرج الشيخ /محمد حسين الذهبى ٠ ٢٢-٢-١٩٩٠ م

١٢-كان قرار لجنة المناقشة هو حصوله على درجة الماجستير بتقدير(ممتاز)

١٣- واعتمد قرار اللجنة واعتمدها مجلس الكلية فى ١٤-من شعبان ١٤١٠ هـ واعتمدها مجلس الجامعة فى ٥ من رمضان ١٤١٠ الموافق ١- من إبريل ١٩٩٠ م ٠وقد كتبت جريدة الأهرام فى شهر رمضان نفس العام مقالا على لسان

الصحفى / أحمد إبراهيم البعثى مشيدة بالنتيجة التى توصل إليهاالباحث : عبد الله عبد العليم الصبان فى بحثه .

١- عين مدرسا مساعدا بقسم الحديث وعلومه بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق فى ٦-٥- ١٩٩٠ م .

٢- قام بالتسجيل للدكتوراة فى الحديث وعلومه متخذا موضوعا من الموضوعات المهمة ألا وهو (جهود الإمام ابن أبى حاتم فى السنة) أتمها فى عامين وقدمها للمناقشة .

٣- أوذى واضطهد واضطر إلى الا ستقالةمن عمله بالجامعة ـــ بسبب أعداء النجاح الذى كشف ألاعيبهم وتزويرهم فى أعمال الامتحانات ـــ ولقوة شخصيته ،وحضوره الذى أعجب طلابه، مع احتضانه للطلبة المتفوقين ومدافعته عن الظلم الذى يقع على الطلبة على وجه العموم ،فأوقعوا الظلم به، وأجمعوا على ضره ، ورد رسالته بعد تأخيرها عامين من موعدها ظلما وعدوانا بعد أن ناقشهم وأفحمهم أكثر من خمس ساعات كاملة متحديا لهم بالإتيان بالكتب التى تثبت صدق وجدية بحثه ولكنه الكيد المبيت من الكلية والجامعة ـــ وقتها ـــ فردت الرسالة مما اضطره للاستقالة والتى قبلت بأسرع مما يتوقع حيث قدمت الاستقالة يوم ١٨-١٢ - ١٩٩٤ م ووافق عليها السيد رئيس الجامعة بتاريخ ٢٢-١٢ - ١٩٩٤م ولذا تعد من أسرع الاستقالات فى العالم .

٤- استقال وجلس فى بيته مؤثرا البعد عن شرهم وشررهم وقدم عدة موضوعات لدكتوراة جديدة وبعد عام تقريبا من تقديمه تمت الموافقة على أصعب الموضوعات المقدمة على أن يعتمد الموضوع بتاريخ تقديمه أى من عام سبق إمعانا فى التعجيز .

٥- كان موضوع الرسالة الجديدة بعنوان:
(الموازنة بين الذهبى وابن حجرفى كتابة تراجم رواة الحديث ومنهجهما فى التصحيح والتضعيف) ٠ بإشراف الأستاذ الدكتور/ عبد المهدى عبد القادر عبد الهادى أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين بالقاهرة ٠

٦- قدم الرسالة الجديدة للمناقشة بعد كتابة لها دامت خمس سنوات وستة أشهر حصل بها على درجة الدكتوراة فى الحديث وعلومه بتقدير(مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبع الرسالة وتداولها مع الجامعات) وكان ذلك فى يوم الثلاثاء ٢٩ من جمادى الأولى ١٤٢١هـ الموافق ٢٩- ٨ - ٢٠٠٠م بمدرج الشيخ الذهبى والذىناقش فيه الماجستير من قبل وردت فيه أيضا رسالته الأولى للدكتوراة - ووافق مجلس كلية أصول الدين بالقاهرة فى ٩ من جمادى الآخرة ١٤٢١ هـ الموافق ٧ من سبتمبر ٢٠٠٠ م ومجلس الجامعة بتاريخ ٢٣ من جمادى الآخرة ١٤٢١ هـ ٢١ من سبتمبر - ٢٠٠٠ م

٧- قدم أوراقه للعودة إلى الجامعة بدرجة مدرس بقسم الحديث وعلومه بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق ونظرا لتفوقه وعدم وجود النظير له كانت الموافقة على عودته فى ٢- ٥ - ٢٠٠١ م

٨- حصل على درجة أستاذ مساعد بقسم الحديث وعلومه فى ٢٩ - ٦- ٢٠٠٥ م ٠ويعمل الآن رئيسا لقسم الحديث وعلومه بالكلية ٠

٩- مؤلفاته العلمية :

١- بيان كيف تستثمر الأوقات من حديث سيد السادات صلى الله عليه وسلم٠ وقد طبع أكثر من ست طبعات نفذت جميعا والآن تعد الطبعة السابعة وهى منقحة ومزيدة ٠

٢- بدايات الأنوار فى مصطلح حديث المختار صلى الله عليه وسلم ،وقد طبع مرتين وقد نفذت الطبعة وسوف تطرح طبعة جديدة قريبا .

٣- السيرة الذاتية لخير البرية صلى الله عليه وسلم طبع خمس مرات الجزء الأول .

٤- رواة الكتب الستة بين يدى أقلام العلماء قبل الحافظين الذهبى وابن حجر . طبع مرتين .

٥- المختار من كلام المختار صلى الله عليه وسلم. وقد طَبع أكثر من خمس مرات .

٦- السيرة الذاتية لخير البرية الجزء الثانى. وقد طبع أكثر من خمس مرات

٧- الخلاصة المفهمة لما فى كتاب التقدمة. طبع الطبعة الأولى .

٨- الانفتاح فى علوم الاصطلاح. طبع الطبعة الأولى .

٩- عبد الرحمن الرازى ومنهجه فى كتابه الجرح والتعديل. طبع خمس طبعات .

١١-الإمام الحافظ عبدالرحمن بن أبى حاتم حياته ومؤلفاته طبع الطبعة الأولى.

١٢- لمحات من حياة كامل الأوصاف صلى الله عليه وسلم. طبع الطبعة الأولى.

١٣- إلى محمود وخلود نفحات من أحاديث سيد الوجود صلى الله عليه وسلم . طبع الطبعة الأولى .

١٤- التأسيس لعلوم أنفس نفيس صلى الله عليه وسلم . طبع الطبعة الأولى

١٥- لحظ البصر من كتب علوم الأثر . طبع الطبعةالأولى

١٦- المباهج بين المصطلح والمناهج . طبع الطبعة الأولى

تحت الطبع

١- منهج العلامة محمد بن على الصبان فى كتابه (إسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وآل بيته الطاهرين)٠

٢- ديوان (قصاصات الأوقات)٠

٣- ديوان (سهام) ٠

٤- ديوان (هيا بنا نرحل من هذا الوطن)٠

٥- ديوان (أيها الحق : أين أنت ؟)٠

فى مجال الدعوة إلى الله

١- محاضر ومناقش فى مجالات الدعوة والقضايا الوطنية فى مراكز الإعلام والمنتديات العامة ٠

٢- أذيع ويذاع له أحاديث فى التلفزيون العربى (القناة الرابعة) والإذاعة المصرية(إذاعة القرآن الكريم) وقناة المحور، وكان محاورا يقظا وعنيدا أمام(قناة المنار) فى قضية المهدى النتظر٠

٣- له الحضور البارز فى الدعوة إلى الله على مستوى بلده ومحافظة الشرقية على وجه الخصوص حتى إنه ليسمى بـ (فارس الدعوة إلى الله) ٠

فهرست المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- **آداب الشافعى ومناقبه** ، لابن أبى حاتم الرازى ، تحقيق : الشيخ / عبد الغنى عبد الخالق ، مكتبة التراث الاسلامى ، حلب ، سوريا .

٣- **أبــو جعفر الطحاوى وأثره فى علم الحديث** ، تأليف د/ عبد المجيد محمود ، ط الهيئة العامة المصرية للكتاب صـــ ١٩٧٥ .

٤- **أحــوال الــرجال** ، لأبى إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى ٢٥٩ هـــ ، تحقــيق : صــبحى الــبدرى السامرائى ، ط مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ – ١٩٨٥ .

٥- **إحياء علوم الدين** ، للإمام أبى حامد الغزالى ٥٠٥ ، تحقيق : د/ بدوى طبانه ، ط عيسى البابى الحلبى .

٦- **إرشاد الفحول** ، للإمام محمد بن على بن محمد الشوكانى ت ١٢٥٥ ، تحقيق : أحمــد عــبد الســـلام ، ط دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـــ – ١٩٩٤م .

٧- **إرواء الغليل فى تخريج منار السبيل** ، تأليف / محمد ناصر الدين الألبانى ، ط المكتب الإسلامى ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩ ، ١٩٧٩م .

٨- **أسد الغابة فى معرفة الصحابة** ، لعز الدين بن الأثير الجزرى ت ٦٣٠ ، ط دار إحــياء التــراث العربــى ، تحقيق : عادل أحمد الرفاعى ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ ، ١٩٩٦

٩- **أســماء الصـــحابة الــرواة** ، لأبـــى محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى الأندلسى ، تحقيق : سيد كسروى حسن ، ط دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ ، ١٩٩٢م .

١٠- **أصول الحديث وعلومه** ، د/ محمد عجاج الخطيب ، ط دار المنارة ، مكة ، جدة ، الطبعة السادسة ، ١٤١٤ ، ١٩٩٤ .

١١- **أصول التخريج** ، د/ محمود الطحان ، ط دار الكتب السلفية ، القاهرة .

١٢- **أعــلام الموقعين عن رب العالمين** ، شمس الدين أبى عبد الله بن محمد أبى بكـــر المعـــروف بابن القيم الجوزية ٧٥١ هــ ، ط دار الكتب العلمية – الطبعة الثانية ، ١٤١٤ ، ١٩٩٣م .

١٣- **ألفــية الســـيوطى علـــى علم الحديث** ، تحقيق : أحمد شاكر ، ط دار الكتب العلمية

١٤- **اقتضـــاء الصراط المستقيم** ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، تحقيق:

د/ ناصر بن عبد الكريم العقل ، ط الأولى ١٤٠٤ هــ .

١٥- **اهــتمام المحدثـــين بـــنقد الحديث** ، د/ محمد لقمان السلفى ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ ، ١٩٨٧ .

١٦- **الإجازة للمعدوم والمجهول** ، للخطيب البغدادى ، ط دار الكتب العلمية .

١٧- **الإحكام فى أصول الأحكام** ، لابن حزم الظاهرى، ط دار الكتب العلمية، بدون ذكر طبعه.

١٨- **الإحكـــام فى أصول الأحكام**، سيف الدين بن أبى الحسن على بن أبى على بن محمد الآمدى

تحقيق : / إبراهيم العجوز ، ط دار الكتب العلمية .

١٩- **الأدب المفرد** ، للإمام البخارى ، ط دار الكتب العلمية .

٢٠- **الأحكام للإمام النووى** ، ط دار التراث العربى .

٢١- **الإشـــارة إلى وفيات الأعيان** ، للحافظ الذهبى ، تحقيق : إبراهيم صالح ، ط دار ابن الأثير، بيروت الطبعة الأولى ١٤١١ ، ١٩٩١ .

٢٢- **الإغتباط بمعرفة من رمى بالختلاط** ، سبط بن العجمى ٨٤١ ، ط دار الكتاب العربى .

٢٣- **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ** ، للحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٢٤- **الاستيعاب فى معرفة الأصحاب** ، للحافظ ابن عبد البر ، بهامش الإصابة .

٢٥- **الإصابة فى تمييز الصحابة** ، للحافظ ابن حجر ، ط دار الكتاب العربى .

٢٦- **الأعــلاق النفســية** ، **لابن رسته أبى على أحمد بن عمر بن رستة ، ط دار صادر ، بيروت.**

٢٧- **الإكمـــال فـــى ذكر من له رواية فى مسند أحمد من الرجال ، لأبى المحاسن** شمس الدين محمد بن على بن الحسن بن حمزة الحسينى الشافعى ، تحقيق : د/ عبد المعطى قلعجى ، ط جامعة الدراسات الإسلامية ، باكستان .

٢٨- **الإكمـــال فـــى رفـــع الارتـــياب عن المؤتلف والمختلف فى الأسماء والكنى والأنساب،** للأمير على بن هبة الله بن ماكولا ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٢٩- الإلمـــاع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضى عياض بن موسى اليحصبى ، ط دار التراث ، القاهرة ، سنة ١٩٧٨ .

- ب -

٣٠- **بـــدر الـــدين العينى وأثره فى علم الحديث** ، صالح يوسف معتوق ، ط دار البشائر الإسلامية بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ ، ١٩٨٧م .

٣١- **بحـــوث فى تاريخ السنة المشرفة** ، للدكتور / أكرم ضياء العمرى ، ط دار الكتب العلمية .

٣٢- **بقـــية الألمعى فى تخريج الزيطى** ، جمال الدين أبى محمد عبد الله بن يوسف الحنفى الزيطى ، ط مكتبة الرياض الحديثة .

٣٣- **بلـــوغ الآمال فى ترتيب أحاديث ميزان الاعتدال** ، **جمعه / أبى عبد الرحمن** محمود الجزائرى ، ط دار المكتب الإسلامى ، بيروت ، **الطبعة الأولى ، ١٤١٢ ، ١٩٩١**

٣٤- **بلـــوغ الأمانـــى مـــن أسرار الفتح الربانى** ، **للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا** السعاتى ، ط دار الشهاب ، القاهرة .

٣٥- **بيان خطأ البخارى فى تاريخه** ، للحافظ عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى ، مؤسسة الكتب الثقافية .

٣٦- **الـــبدر الطالـــع بمحاسن من بعد القرن التاسع** ، للشوكانى ، ط دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة .

٣٧- **الـــبداية والـــنهاية** ، **للحـــافظ ابن كثير** ، ط دار مكتبة المعارف ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٣ .

٣٨- **البـــيان والتعـــريف فـــى أســـباب ورود الحديث الشريف** ، لابن أبى حمزة الحسينى ، ط المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، **الطبعة الأولى ١٩٨٢** .

- ت -

٣٩- **تأويل مختلف الحديث** ، للإمام / محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة " ٣٧٦ " ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٤٠- **تـــاريخ خلـــيفة بن خياط ٢٤٠** ، أبى عمرو خليفة بن خياط ، ط دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٥ ، ١٩٩٥ .

٤١- **تاريخ أصبهان** ، للحافظ أبى نعيم الأصبهانى ، تحقيق : السيد كسروى حسن ، ط دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ .

٤٢- **تاريخ بغداد** ، للحافظ الخطيب البغدادى ٤٦٣ ، ط مطبعة الخانجى ، القاهرة ، ودار الفكر للطباعة والنشر .

٤٣- **تاريخ أسماء الثقات** ، لابن شاهين ، ط دار الباز ، مكة المكرمة ، ودار الكتب العلمية ، ١٤٠٦ ، ١٩٨٤ .

٤٤- **تاريخ الثقات** ، للحافظ أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى ٢٦١ ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤٠٥ ، ١٩٨٤ .

٤٥- **تاريخ عثمان بن سعيد الدارمى** ، تحقيق : د/ أحمد محمد نور سيف ، ط دار المأمون للتراث ، دمشق ، بيروت .

٤٦- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير من الأعلام** ، للحافظ الذهبى ، ط دار الغد العربى ، ط الأولى ١٩٩٦ .

٤٧- **تاريخ أبى زرعة الدمشقى** ، للحافظ عبد الرحمن بن عمر الدمشقى ، ط مكتبة الباز ، مكة المكرمة ، دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٧ ، ١٩٩٦ .

٤٨- **تاريخ الطبرى** ، أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ٣١٠ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار المعارف ، الطبعة الرابعة .

٤٩- **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه** ، للحافظ ابن حجر ، تحقيق : محمد على البجاوى ، ط المكتبة العلمية .

٥٠- **تحرير تقريب التهذيب** ، للدكتور/ بشار عواد وشعيب أرنؤط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، الأولى ١٤١٧ ، ١٩٩٧ .

٥١- **تراجم الرجال بين الجرح والتعديل** ، صالح اللحيدان ، ط دار طويق السعودية .

٥٢- **تحفة الأحوذى بشرح صحيح جامع الترمذى** ، للمباركفورى ١٣٥٣ ، ط دار الفكر .

٥٣- **تحفـــة الناظـــرين فـــيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين** ، للشيخ عبد الله الشرقاوى ، ط المشهد الحسينى ، القاهرة .

٥٤- **تدريب الراوى** ، للحافظ السيوطى ، تحقيق : د/ عبد الوهاب عبد اللطيف ، الطبعة الثانية ١٣٨٥ ، ١٩٦٦ .

٥٥- **تذكرة السامع والمتكلم** ، لبدر الدين بن جماعة الكنانى ٧٣٣ ، ط دار الكتب العلمية .

٥٦- **تذكر الحفاظ** ، للحافظ الذهبى ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٧- **تذهيب التهذيب** ، للحافظ الذهبى (مخطوط) .

٥٨- **تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة** ، للحافظ ابن حجر ، ط دار الكتاب العربى .

٥٩- **تسمية فقهاء الأمصار من الصحابة فمن بعدهم** ، للإمام النسائى ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

٦٠- **تسمية من لم يرو عنه غير رجل واحد للنسائى** ، ط دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤١٣ ، ١٩٩٣ .

٦١- **تصحيفات المحدثين** ، لأبى أحمد العسكرى ٣٨٢ ، تحقيق : د/ محمود الميرة ، ط الطبعة العربية الحديثة ، القاهرة .

٦٢- **تطهير الجنان واللسان** ، للحافظ أحمد ابن حجر الهيثمى ، تحقيق : دكتور / عبد الوهاب عبد اللطيف ، ط مكتبة القاهرة ، لصاحبها على يوسف .

٦٣- **تفسير القرآن العظيم** ، لابن كثير ، دار إحياء الكتب العربية ، حلب .

٦٤- **تقريب التهذيب** ، للحافظ ابن حجر ، ط دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، الأولى ١٤١٣ ، ١٩٩٣ .

٦٥- **تقريب التهذيب** ، للحافظ ابن حجر ، تحقيق : محمد عوامة ، ط دار الرشيد ، سوريا ، ط الرابعة ١٤١٢ ، ١٩٩٢ .

٦٦- **تغليق التعليق** ، للحافظ ابن حجر ، تحقيق : سعيد عبد الرحمن القزقى ، ط المكتب الإسلامى ، بيروت ودار عمار ، عمان .

٦٧- **تكملة إكمال الإكمال فى الأنساب والأسماء والألقاب** ، جَمال الدين أبى حامد الصابونى ، ط دار الكتب العلمية .

٦٨- **تلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير** ، للحافظ ابن حجر ، ط نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ ، ١٩٩٧ .

٦٩- **تلخيص المستدرك** ، للحافظ الذهبى ، ط دار الكتب العلمية الأولى ، ١٤١١ ، ١٩٩٠

٧٠- **تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر** ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط دار الكتب العلمية الأولى ، ١٤١٥ ، ١٩٩٤ .

٧١- **تهذيب الكمال للحافظ المزى ٧٤٢** ، تحقيق : بشار عواد ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣ .

٧٢- **تهذيب الأسماء واللغات** ، للحافظ النووى ٦٧٦ ، ط دار الكتب العلمية .

٧٣- **تهذيب مستمر الأوهام** ، لابن ماكولا ، تحقيق : سيد كسروى ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٠ ، ١٩٩٠ .

٧٤- **تهذيب الآثار** ، لأبى جعفر الطبرى ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٧٥- **توضيح الأفكار** ، ط دار إحياء التراث العربى ، للأمير محمد بن إسماعيل الصنعانى ، الطبعة الأولى ١٣٦٦ هـ .

٧٦- **تمييز الطيب من الخبيث** ، لابن البديع الشيبانى ، ط مكتبة محمد على صبيح بميدان الأزهر ١٩٦٣ .

٧٧- **التاريخ ليحيى بن معين** ، تحقيق : أحمد محمد نور سيف ، ط جامعة الملك عبد العزيز

الأولى ١٩٧٩ .

٧٨- **الترغيب والترهيب** ، للحافظ عبد القوى المنذرى ، ط دار الحديث بجوار إدارة الأزهر .

٧٩- **التاريخ الصغير للبخارى** ، ط دار المعرفة .

٨٠- **التاريخ الكبير** ، للإمام البخارى ، ط دار الباز ، مكة المكرمة .

٨١- **التخويف من النار** ، للحافظ ابن رجب الحنبلى ، ط مكتبة الإيمان عابدين ، القاهرة .

٨٢- **التصحيف وأثره** ، أسطيرى جمال ، ط دار طيبة .

٨٣- **التعريفات للشريف** ، محمد بن على الجرجانى ، دار الكتب العلمية ١٤١٦ ، ١٩٩٥ .

٨٤- **التعليق الغنى على الدارقطنى** ، لأبى الطيب محمد أبادى ، ط إحياء التراث العربى ، بيروت .

٨٥- **التدليس فى الحديث** ، إعداد : د/ مسفر بن عزم الله الدمينى ، ط الإمارات العربية المؤلف نفسه .

٨٦- **التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد** ، للحافظ أبى بكر بن نقطة الحنبلى ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨ ، ١٩٨٨ .

٨٧- التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح ، للحافظ زين الدين العراقى ٨٠٦ ، تحقيق : محمد عبد الله شاهين ، دار الكتب العلمية الأولى ، ١٩٦٦ .

٨٨- **التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد** ، لأبى عمر بن عبد البر ، ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب ، ١٩٩٠ .

- ث -

٨٩- **الثقات ، لابن حبان البستى ٣٥٤** ، مؤسسة الكتب الثقافية ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣ ، حيدر أباد الدكن .

- جـ -

٩٠- جامع الأحاديث للجامع الصغير وزوائد الكبير ، للحافظ السيوطى ، جمعه ورتبه أحمد عبد الجواد ، وأحمد عباس صقر ، طبع على نفقة الدكتور / حسن عباس زكى

٩١- **جامع العلوم والحكم ، للحافظ ابن رجب** ، ط مؤسسة الرسالة ، تحقيق : شعيب أرنؤط إبراهيم باجس ، الطبعة الثالثة ١٩٩١ .

٩٢- **جامع الأصول من أحاديث الرسول** ، لابن الأثير ، ط دار إحياء التراث العربى، الطبعة الأولى ، ١٩٥٠ .

٩٣- **جامع بيان العلم وفضله** ، لابن عبد البر ٤٦٣ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت.

٩٤- **جمهرة أنساب العرب ابن حزم الأندلسى ٤٥٦** ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤٠٣ ، ١٩٨٣ .

٩٥- **الجامع الصغير** ، للحافظ السيوطى ، ط مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى .

٩٦- **الجرح والتعديل** ، لابن أبى حاتم ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

٩٧- **الجواهر والدرر** ، للحافظ السخاوى ، تحقيق : حامد عبد المجيد ، و د/ طه الزينى ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

- حـ -

٩٨- **حاشية الشنوانى على** ، مختصر ابن أبى جمرة ، ط دار الفكر .

٩٩- **حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة** ، للحافظ السيوطى ، ط دار الكتب العلمية الأولى ، ١٤١٨ ، ١٩٨٧ .

١٠٠- **حلية الأولياء** ، للحافظ أبى نعيم الأصفهانى ، ط دار الفكر ١٤١٦ ، ١٩٩٦ .

١٠١- **حياة الصحابة** ، لمحمد بن يوسف الكاندهلوى ، ط دار القلم ، دمشق ، حلب ، الأولى .

١٠٢- **حياة محمد** ، للدكتور / محمد حسين هيكل ، دار المعارف الخامسة عشر

١٠٣- **الحافظ ابن حجر العسقلانى أمير المؤمنين فى الحديث** ، تأليف الأستاذ / عبد الستار الشيخ ، الطبعة الأولى ١٩٩٢ ، ط دار القلم ، دمشق .

- خـ -

١٠٤- **خلق أفعال العباد** ، للإمام البخارى ، ط مكتبة التراث الإسلامى ، عابدين ، القاهرة .

- د -

١٠٥-**دراسات فى الجرح والتعديل** ، دكتور / محمد ضياء الرحمن الأعظمى ، ط مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة الأولى ١٤١٥ ، ١٩٩٥ .

١٠٦-**دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث** ، للدكتور / امتياز أحمد ، تحقيق الدكتور/ عبد المعطى أمين قلعجى الأولى ١٤١٠ ، ١٩٩٠ .

١٠٧-**الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة** ، للحافظ ابن حجر ، ليس به رقم الطبعة ولا اسم الدار .

١٠٨-**الديباج المذهب فى معرفة علماء المذهب** ، للإمام القاضى إبراهيم بن نور الدين المعروف فرحون الماكلى ١٩٩٧ ، ط دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١، ١٩٩٦.

- ذ -

١٠٩-**ذكر من يعتمد قوله فى الجرح والتعديل** ، للحافظ الذهبى ، تحقيق : الشيخ / عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب .

١١٠-**ذيل ميزان الاعتدال** ، للحافظ العراقى ، ط دار الكتب العلمية الأولى ، ١٤١٦ ، ١٩٩٥.

١١١-**ذيل تذكرة الحفاظ** ، لأبى المحاسن الحسينى ، ط دار الكتب العلمية .

١١٢-**ذيل طبقات الفقهاء والشافعين للعبادى** ، تحقيق : د/ أحمد عمر هاشم ، ط دار المكتبة الثقافية الدينية ، بالقاهرة ، ط ١٩٩٣ ، ١٤١٣ .

١١٣-**ذيل طبقات الحفاظ للذهبى** ، للحفاظ السيوطى ، دار الكتب العلمية .

١١٤-**ذيل الكاشف** ، لأبى زرعة العراقى ٨٢٦ هـ ، تحقيق : بوران الضناوى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط الأولى ١٤٠٦ ، ١٩٨٦ .

١١٥-**ذيل التقييد** ، للحافظ تقى الدين أبى الطيب محمد بن أحمد الفاسى المكى ، ٨٣٢ هـ ، ط دار الكتب العلمية ط الأولى ، ١٤١٠ ، ١٩٩٠ .

- ر -

١١٦-**رجال السند والهند** ، للقاضى أبو المعالى أطهر المباركبورى ، ط دار الأنصار ، الطبعة الأولى ١٣٩٨ .

١١٧-**رسالة أبى داود فى وصف السنن** ، تحقيق : صدقى محمد جميل العطار ، ط دار الفكر، ١٤١٥ ، ١٩٩٥ .

١١٨-**رفع الملام عن الأئمة الأعلام** ، للعلامة ابن تيمية ، ط دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٤ .

١١٩-**الرسالة** ، للإمام محمد بن إدريس الشافعى ٢٠٤ ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ط المكتبة العلمية .

١٢٠-**الرسالة المستطرفة** ، للعلامة محمد بن جعفر الكتانى ١٣٤٥ ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٦ ، ١٩٩٥ .

١٢١-**الرحلة فى طلب الحديث** ، للحافظ الخطيب البغدادى ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ، ١٩٩٣ .

١٢٢-**الرفع والتكميل فى الجرح والتعديل** ، لأبى الحسنات الكلنوى الهندى ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط الثالثة ١٩٨٧ .

- ز -

١٢٣-**زاد المعاد فى هدى خير العباد** ، لابن قيم الجوزية ، ط المطبعة المصرية ، القاهرة .

١٢٤-**زيادات على المختلف والمؤتلف** ، للأصفهانى ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٢٥-**الزهد** ، للإمام أحمد بن حنبل ، ط مكتبة الإيمان ، الكيت كات .

- س -

١٢٦-**سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب** ، للشيخ / محمد أمين بغدادى الشهير بالسويدى ، ط دار القلم ، دمشق .

١٢٧-**سنن أبو داود** ، ط دار الفكر .

١٢٨-**سنن النسائى** ، ط دار الكتب العلمية .

١٢٩-**سنن ابن ماجة** ، ط المكتبة العلمية ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى .

١٣٠-**سنن الدرامى** ، ط دار الفكر .

١٣١-**سنن الدارقطنى** ، ط دار إحيار التراث العربى .

١٣٢-**السنن الكبرى للبيهقى** ، ط دار الفكر .

١٣٣-**السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى** ، للدكتور / مصطفى السباعى ، ط المكتب الإسلامى .

١٣٤-**السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث** ، للشيخ / محمد الغزالى ، ط دار الشروق ، ط الحادية عشر ١٩٩٦ مارس . .

١٣٥-**السيرة النبوية** ، لابن هشام ، تحقيق : الدكتور / مصطفى السقا ، ط مكتبة المصطفى ، حلب .

- ش -

١٣٦-**شرح نخبة الفكر** ، للحافظ ابن حجر ، ط مكتبة الغزالى ، دمشق ، مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت ، ط الثانية ، ١٤١٠ ، ١٩٩٠ .

١٣٧-**شذرات الذهب** ، لابن العماد الحنبلى ، ط دار الفكر .

١٣٨-**شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد** ، للشيخ / محمد السفارينى الحنبلى ، ط المكتب الإسلامى ، بيروت ، ط ١٣٩٩ .

١٣٩- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** ، للقاضى عياض بن موسى اليحصبى ، ط دار الفكر ، ١٤١٥ ، ١٩٩٥ .

- ص -

١٤٠- **صحيح البخارى بحاشية السندى** ، ط دار التراث العربى للطباعة والنشر

١٤١- **صحيح مسلم** ، بتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى ، ط دار الكتاب المصرى

١٤٢- **صحيح مسلم** ، بشرح النووى ، ط مكتبة أسامة الإسلامية .

١٤٣- **صحيح سنن الترمذى** ، محمد ناصر الدين الألبانى ،ط دار مكتبة التربية العربى لدول الخليج الأولى ١٩٨٣ .

١٤٤- **صفة الصفوة** ، لابن الجوزى ، ط دار المعرفة .

١٤٥- **الصواعق المحرقة** ، لابن حجر الهيثمى ، تحقيق : الدكتور / عبد الوهاب عبد اللطيف ط مكتبة ، القاهرة .

- ض -

١٤٦- **الضعفاء الصغير للبخارى** ، ط دار عالم الكتب الأولى ١٤٠٤ ، ١٩٨٤ .

١٤٧- **الضعفاء الكبير** ، لأبى جعفر العقيلى ، ط دار الكتب العلمية الثانية ، ١٤١٨ ، ١٩٩٨ ، تحقيق : د/ عبد المعطى أمين قلعجى .

١٤٨- **الضعفاء والمتروكين** ، للحافظ النسائى ، ط دار الفكر الثانية ١٤٠٧ هـ ، ١٩٧٨ ، تحقيق : كمال يوسف الحوت .

١٤٩- **الضعفاء والمتروكين** ، للحافظ الدارقطنى ، تحقيق : موفق بن عبد الله عبد القادر ، ١٩٨٤ ، ١٤٠٤ ، ط المعارف ، الرياض .

١٥٠- **الضعفاء والمتروكين** ، للحافظ ابن الجوزى ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، تحقيق : أبو الفدا عبد الله القاضى .

١٥١-**الضعفاء** ، لأبى نعيم الأصبهانى ، تحقيق : فاروق حماده ، ط دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب ١٤٠٥ ، ١٩٨٤ .

- ط -

١٥٢-**طبقات المحدثين بأصبهان** ، للحافظ أبى محمد عبد الله بن جعفر بن حيان المعروف بابن أبى الشيخ ، ط دار الكتب العلمية الأولى ، ١٤٠٩ ، ١٩٨٩ .

١٥٣-**طبقات المدلسين** ، للحافظ ابن حجر ، ط مكتبة الكليات الأزهرية ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد .

١٥٤-**طبقات الفقهاء الشافعين** ، لابن كثير ، تحقيق : الدكتور / أحمد عمر هاشم ، ط المكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة .

١٥٥-**طرق تخريج حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم** ، للأستاذ الدكتور / عبد المهدى بن عبد القادر بن عبد الهادى ، ط دار الاعتصام .

١٥٦-**طريق الهجرتين وباب السعادتين** ، لابن القيم ، ط دار الكتب العلمية .

١٥٧-**الطبقات الكبرى** ، **لابن سعد** ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٠ ، ١٩٩٠ .

١٥٨-**الطبقات الكبرى** ، للإمام الشعرانى ، ط محمد على صبيح .

١٥٩-**الطبقات** ، لخليفة بن خياط ، تحقيق : الدكتور / أكرم ضياء العمرى ، ط بغداد .

١٦٠-**الطبقات** ، للإمام النسائى ، تحقيق : نصر أبو العطايا ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٩٩٣ .

- ع -

١٦١-**علم التأريخ عند المسلمين** ، تأليف / فرانزروزنثال ، ترجمة : د/ صالح أحمد العلى ، ط مؤسسة الرسالة .

١٦٢- **علل الحديث** ، لابن أبى حاتم الرازى ، ط دار السلام ، حلب .
١٦٣- **علل الحديث ومعرفة الرجال** ، ط دار الوعى ، حلب ، للحافظ على بن المدينى .
١٦٤- **عمدة القارئ** ، شرح صحيح البخارى للإمام بدر الدين أبى محمد محمود بن احمد العينى .
١٦٥- **عون المعبود** ، شرح سنن أبى داود للعلامة أبى الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادى ط دار الفكر .
١٦٦- **العقد الثمين فى فتوح الهند** ، جمعه القاضى أبو المعالى أطهر المباركبورى ، ط دار الأنصار ، القاهرة .
١٦٧- **العواصم من القواصم** ، للقاضى أبى بكر بن العربى ، تحقيق : د/ عمار طالبى ، ط دار التراث العربى ، القاهرة .

- غ -

١٦٨- **غريب الحديث** ، لأبى عبيد القاسم بن سلام الهروى ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤٠٦ ، ١٩٨٦ .
١٦٩- **غوامض الأسماء المبهمة الواقعة فى متون الأحاديث المسندة** ، لأبى القاسم بن بشكوال تحقيق دكتور / عز الدين على السيد ، والدكتور / محمد كمال الدين ، ط عالم الكتب الأولى ١٤٠٧ ، ١٩٨٧ .

- ف -

١٧٠- **فتح البارى شرح صحيح البخارى** ، للحافظ ابن حجر ، ط دار الفكر .
١٧١- **فتح الباقى على ألفة العراقى** ، للشيخ : زكريا بن محمد الأنصارى ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٧٢- **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث** ، للحافظ العراقى ، ط دار الكتب السلفية

١٧٣-**فتح المغيث بشرح ألفة الحديث** ، للحافظ السخاوى ، حققه : عبد الرحمن محمد عثمان ، ط المكتبة السلفية ، بالمدينة المنورة .
١٧٤-**فتوح الشام** ، للواقدى ، ط المشهد الحسينى .
١٧٥-**فتوح البلدان** ، لأبى الحسن البلاذرى ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٧٦-**الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى** ، للشيخ/ أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتى ، ط دار الشهاب .
١٧٧-**الفوائد المجموعة للشوكانى** ، للإمام محمد بن على الشوكانى ، تحقيق : عبد الرحمن المعملى اليمانى ، ط دار الكتب العلمية ، ١٤١٦ ، ١٩٩٥ .
١٧٨-**الفتاوى الكبرى الفقهية** ، للعلامة ابن حجر الهيثمى ، ط المشهد الحسينى ، القاهرة .

- ق -

١٧٩-**قاعدة فى الجرح والتعديل** ، وقاعدة فى المؤرخين ، للحافظ تاج الدين عبد الوهاب ابن على السبكى ، ط مكتبة المطبوعات .
١٨٠-**قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث** ، للشيخ / محمد جمال الدين القاسمى ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٨١-**قواعد علوم الحديث** ، للشيخ/ ظفر أحمد العثمانى التهانوى ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، ط مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، الثالثة ١٩٧٢ ، ١٣٩٢
١٨٢-**القاموس المحيط** ، للعلامة مجد الدين الفيروز أبادى ، ط دار إحياء التراث الأولى ١٩٩١ .
١٨٣-**القول المسدد فى الذب** ، عن مسند أحمد للحافظ ابن حجر ، تحقيق : عبد الله درويش ، اليمامة ، دمشق .

١٨٤- **القصاص والمذكرين** ، للعلامة / ابن الجوزى ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٩٨٦ .

- ك -

١٨٥- **كشف الخفا ومزيل الإلباس** ، الشيخ / إسماعيل العجلونى ١١٦٢ هـ ، تحقيق: أحمد القلاش ، ط دار التراث ٢٢ شارع الجمهورية ، القاهرة .

١٨٦- **كشف الظنون عن أسامى الفنون** ، للعلامة حاجى خليفة ، ١٠٦٧ ، ط دار الفكر ١٤٠٢، ١٩٨٢ .

١٨٧- **كشف اللثام** ، للدكتور / عبد الموجود عبد اللطيف ، ط مكتبة الأزهر ، ط الأولى ، ١٤٠٤ ، ١٩٨٤ .

١٨٨- **الكامل فى ضعفاء الرجال** ، للحافظ ابن عدى ٣٦٥ ، ط دار الفكر الأولى ، ١٤٠٤ ، ١٩٨٤ .

١٨٩- **الكاشف** ، للحافظ الذهبى ، تحقيق : الدكتور / عزت عطيه وموسى محمد على الموشى ط دار الكتب الحديثة الأولى ، ١٣٩٢ ، ١٩٧٢ .

١٩٠- **الكاشف** ، للحافظ الذهبى ، تحقيق : محمد عوامه ، ط دار القبلة الأولى ، ١٤١٣ ، ١٩٩٢ .

١٩١- **الكفاية فى علم الرواية** ، للخطيب البغدادى ط دار الكتب العلمية الأولى ، ١٤٠٩ ، ١٩٨٨ .

١٩٢- الكواكب النيرات ، لأبى البركات محمد بن أحمد بن يوسف الذهبى الشهير بابن الكيال ٩٢٩ ، تحقيق : حمدى عبد المجيد السلفى ، ط دار العلم بنها الأولى ١٤٠١ .

- ل -

١٩٣-**لب اللباب فى تحرير الأنساب** ، للحافظ السيوطى ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤١١، ١٩٩١ .

١٩٤-**لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ، لتقى الدين محمد بن فهد المكى ، ط بيروت.

١٩٥-**لسان العرب** ، لابن منظور ، ط دار المعارف ، القاهرة .

١٩٦-**لسان الميزان** ، للحافظ ابن حجر ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٦ ، ١٩٩٦ .

١٩٧-**اللآلئ المصنوعة** ، للسيوطى ط دار الكتب العلمية الأولى ، ١٤١٧ ، ١٩٩٦ .

١٩٨-**اللؤلؤ والمرجان** ، للشيخ محمد فؤاد عبد الباقى ، ط دار الحديث ١٤٠٧ ، ١٩٨٦ .

- م -

١٩٩-**ما اتفق لفظه واختلف معناه** ، لأبى السعادات ابن الشجرى ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٧ ، ١٩٩٦ .

٢٠٠-**محاسن الاصطلاح** ، للعلامة البلقينى ، ط الهيئة العامة المصرية للكتاب .

٢٠١-**مختصر نصيحة إلى أهل الحديث** ، للخطيب ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان الأولى ١٩٩٣ .

٢٠٢-**مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذرى** ، تحقيق : محمد ناصر الألبانى ، ط المكتب الإسلامى .

٢٠٣-**مدارج السالكين** ، لابن القيم ، ط دار التراث العربى ، القاهرة .

٢٠٤-**مختصر فتح رب الأرباب** ، تأليف عباس بن محمد المدنى ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٠٥-**مسند عمر بن عبد العزيز** ، لابن الباغندى ، ط مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .

٢٠٦-مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ط المكتب الإسلامى .

٢٠٧-**مشاهير علماء الأمصار** ، لابن حبان البستى ، ط دار الكتب العلمية ، ط الأولى ١٤١٦، ١٩٩٥ .

٢٠٨-**مشارق الأنوار** ، للقاضى عياض ، ط المكتبة العتيقة ، تونس ودار التراث بالقاهرة .

٢٠٩-**مشكل الحديث وبيانه** ، للحافظ أبى بكر بن فورك ، تحقيق : موسى محمد على ، ط دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

٢١٠-**مصباح الزجاجة على زوائد** ، ابن ماجه للشهاب البوصيرى ، تحقيق : د/ عزت عطيه ، ط دار الكتب الحديثة .

٢١١-**معجم البلدان** ، لياقوت الحموى ، ط دار صادر ، بيروت ، الأولى ١٩٩٥

٢١٢-**معجم شيوخ الذهبى** ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، تحقيق : د/ روحية عبد الرحمن السيوفى الأولى ، ١٤١٠ ، ١٩٩٠ .

٢١٣-**معجم محدثى الذهبى** ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، تحقيق : د/ روحية عبد الرحمن السيوفى ، ١٤١٣ ، ١٩٩٣ .

٢١٤-**معرفة علوم الحديث للحاكم** ، ط مكتبة المتنبى ، القاهرة .

٢١٥-مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ، ط دار الكتب العلمية .

٢١٦-**مقدمة ابن الصلاح** ؛ تحقيق : د/ عائشة عبد الرحمن ، ط دار الكتب العلمية ، ١٩٧٤ .

٢١٧-**مقدمة ابن خلدون** ، للعلامة عبد الرحمن بن خلدون ٨٠٨ ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٣ ، ١٩٩٣ .

٢١٨-**منهج كتابة التاريخ الإسلامى** ، تأليف / محمد بن صامل العليانى السلمى ، ط دار طيبة الأولى ، ١٤٠٦ ، ١٩٨٦ .

٢١٩-**مناسبات تراجم البخارى** ، للقاضى ابن جماعة ، ط دار الفكر .

٢٢٠-**موارد الخطيب البغدادى** ، للدكتور / أكرم ضياء العمرى ، ط دار طيبة الثانية ١٤٠٥ ، ١٩٨٥ .

٢٢١-**منهج النقد فى علوم الحديث** ، للدكتور/ نور الدين عتر ، ط ، دار الفكر المعاصر ، بيروت.

٢٢٢-**موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان** ، للحافظ أبى بكر الهيثمى ، ط دار الثقافى العربية ، دمشق الأولى ، ١٩٩٠ .

٢٢٣-موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادى ، ط دار الفكر ١٩٥٩حيدر أباد الدكن.

٢٢٤-**ميزان الاعتدال للحافظ الذهبى** ، ط دار الكتب العلمية الأولى ، ١٤١٦ ، ١٩٩٥ .

٢٢٥-**من كلام أبى زكريا يحيى بن معين فى الرجال** ، رواية أبى خالد الدقاق ، تحقيق : أحمد محمد نور سيف ، ط دار المأمون للتراث .

٢٢٦-**المتكلمون فى الرجال للحافظ السخاوى** ، ط المطبوعات الإسلامية ، بحلب ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة .

٢٢٧-**المجروحين** ، لابن حبان البستى ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، ط دار الوعى ، حلب.

٢٢٨- **المجمع المؤسس للمعجم المفهرس** ، للحافظ ابن حجر ، تحقيق : يوسف عبد الرحمن المرعشلى ، ط دار المعرفة الأولى ، ١٤١٥ ، ١٩٩٤ .

٢٢٩- **المحصول فى علم أصول الفقه** ، للإمام الفخر الرازى ، ط جامعة الإمام / محمد ابن سعود الإسلامية ، تحقيق : د/ طه جابر فياض العلوانى .

٢٣٠- **المراسيل** ، لأبى داود ، ط دار الفكر ، ١٤١٥ ، ١٩٩٥ ، على شرح عون المعبود .

٢٣١- **المحدث الفاصل بين الراوى والواعى** ، للحافظ محمد بن خلاد الرامهرمزى ، تحقيق د/ محمد عجاج الخطيب ، ط دار الفكر ، الثالثة ، ١٤٠٤ ، ١٩٨٤ .

٢٣٢- **المستصفى فى علم الأصول** ، للإمام أبى حامد الغزالى ٥٠٥ ، ط دار الكتب العلمية ، ١٤١٧ ، ١٩٩٦ .

٢٣٣- **المستدرك على الصحيحين للحاكم** ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤١١ ، ١٩٩٠ .

٢٣٤- **المسودة فى أصول الفقه** جمعها شهاب الدين أبو العباس الحنبلى الحرانى ، الدمشقى ، تحقيق : وتعليق : د/ محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط دار الكتاب العربى .

٢٣٥- **المستزاد من إتحاف الخيرة للبوصيرى** ، ط مؤسسة قرطبة الأولى ، ١٤١٧ ، ١٩٩٧ بهامش المطالب العالية .

٢٣٦- **المشتبه فى أسماء الرجال** ، للحافظ الذهبى ، تحقيق : على محمد بجاوى ، ط الدار العلمية دلهى .

٢٣٧- **المشترك وضعاً والمفترق صقعاً** ، لياقوت الحموى ، ط عالم الكتب .

٢٣٨- **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية** ، للحافظ ابن حجر ، ط مؤسسة قرطبة الأولى ١٤١٨ ، ١٩٩٧ .

٢٣٩- **المعجم الصغير للطبرانى** ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، الأولى ، ١٤٠٣ ، ١٩٨٣ .

٢٤٠- **المعرفة والتاريخ** ، ليعقوب بن سفيان ، الفسوى ، تحقيق : د/ أكرم ضياء العمرى ، ط مكتبة الدار المدينة المنورة .

٢٤١- **المعجم الوجيز فى اللغة العربية** ، ط مجمع اللغة العربية ، ١٤١٢ ، ١٩٩٢ .

٢٤٢- **المعجم المفصل فى الإملاء** ، إعداد الأستاذ / ناصف يمين ، ط دار الكتب العلمية الثالثة، ١٤١٧ ، ١٩٩٧ .

٢٤٣- **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى** ، أرندجان فنسنك ، ط دار الدعوة ، اسطنبول ١٩٨٦ .

٢٤٤- **المفرد العلم فى رسم القلم** ، تأليف / السيد أحمد الهاشمى ، ط دار الكتب العلمية .

٢٤٥- المغنى فى ضعفاء الرجال للحافظ الذهبى ، تحقيق : د/ نور الدين عتر .

٢٤٦- **المؤتلف والمختلف** لأبى الفضل محمد بن طاهر المعروف بابن القيسرانى ، ط دار الكتب العلمية الأولى ، ١٤١١ ، ١٩٩١ .

٢٤٧- **المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور** ، تصنيف أبى الحسن عبد الغفار بن إسماعيل ، تحقيق : د/ محمد أحمد عبد العزيز ، ط دار مكتبة العلمية .

٢٤٨- **الموطأ** ، **للإمام مالك** ، ط كتاب الشعب ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى .

٢٤٩- **الموقظة فى علم مصطلح الحديث** ، للحافظ الذهبى ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، ط مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، الثانية ، ١٤١٢ .

٢٥٠- **الموافقات فى أصول الشريعة** ، لأبى إسحاق الشاطبى ٧٩٠ ، ط دار الكتب العلمية .

٢٥١- **المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب أحمد** ، لأبى اليمن العليمى ٩٢٨ ، تحقيق : عادل نويهض ، ط عالم الكتب الأولى ، ١٤٠٣ ، ١٩٨٣ .

٢٥٢- **المنار النيف فى الصحيح والضعيف** ، لابن قيم الجوزية ، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

- ن -

٢٥٣- **نصب الراية لأحاديث الهداية** ، للحافظ/ جمال الدين يوسف الزيلعى ، مكتبة الرياض الحديثة .

٢٥٤- **نقعة الصديان** فيمن فى صحبتهم نظر من الصحابة ، الإمام الحسن بن محمد الصاغانى دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٥٥- **نيل الأوطار** ، للإمام الشوكانى ، ط مكتبة شهاب الأزهر .

٢٥٦- **نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار** ، للشيخ/ سيد الشبلنجى ، مكتبة الجمهورية العربية ، الأزهر .

٢٥٧- **نهاية الاغتباط ممن رمى من الرواة بالاغتباط** ، لعلاء الدين على رضا ، دار المعرفة ، بيروت .

٢٥٨- **النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة** ، لجمال الدين أبو المحاسن يوسف تغرى بردى ، تحقيقه : د/ إبراهيم على طرخان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٣٩٢هـ ، ١٩٧٢م .

٢٥٩- **النكت على كتاب ابن الصلاح** ، لابن حجر العسقلانى ، تحقيقه : مسعود عبد الحميد السعدنى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٦٠-**النهاية فى الفتن والملاحم** ، للحافظ بن كثير الدمشقى ، تحقيق : محمد أحمد عبد العزيز ، ط دار التراث الإسلامى ، الأزهر .

-هـ -

٢٦١- **هدى السارى** ، للحافظ ابن حجر العسقلانى ، ط دار الفكر .
٢٦٢-**الهند فى عهد العباسيين** ، للقاضى أبو المعالى أطهر المباركبورى ، ط دار الأنصار، القاهرة .

- و -

٢٦٣-**الوضع فى الحديث** ، للدكتور / عمر حسن فلاته ، ط المؤلف .

- ى -

٢٦٤-**اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر** للعارف سيدى عبد الوهاب الشعرانى ، مطبعة المشهد الحسينى ، القاهرة .

رقم الايداع بدار الكتب المصرية
١٥٦٧٥ / ٢٠٠١